الدكتور جميل حمداوي

محاضـــرات فـــي لسانيـــات النـــص

المؤلف: جميل حمداوي

الكتاب: محاضرات في لسانيات النص

الطبعة الأولى:2015م

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الإهـــداء

إلى أمي وأبي

إلى أهلي وعشيرتي

إلى أساتذتي

إلى زملائي وزميلاتي

إلى كل من علمني حرفا

أهدي هذا الكتاب اللساني راجياً من المولى

عز وجل أن يجد القبول والنجاح

المقدمـــــة

يتناول هذا الكتاب لسانيات النص بالدرس و التأر يخ والتحليل والمناقشة والاستقراء، على أساس أن لسانيات النص هي فرع من فروع اللسانيات العامة التي وضعها فرد يناند دوسوسير (F.De Saussure). وإذا كانت اللسانيات تدرس الجملة ضمن مستويات صوتية، وفونولوجية، وصرفية، وتركيبية، ودلالية، وتداولية؛ فإن لسانيات النص تجاوزت هذه الجملة إلى النص أو الخطاب.

ومن ثم، فقد طبقت اللسانيات النصية مجموعة من المقاييس لتحليل النصوص وتفسيرها، سواء أكانت تلك النصوص شفوية أم كتابية ، عادية كانت أم تخييلية ؛ مثل : الاتساق، والانسجام، والتناص، والسياق، والمقصدية، والارتباط، والدينامية، والتأويل، والتفاعل، والذكاء الاصطناعي، والتوليد، والتحويل، والزمان، والفضاء، والبؤرة، والعنونة، والتشاكل، وا لنسيج النصي، والحوارية، والتناسل، والصراع، والبناء النصي، والبنية الدلالية العامة، والموضوع الدلالي، والتغريض، والنص المركزي ، والنص الفرعي، وتنميط النصوص...

ومن هنا، فلسانيات النص هي التي تدرس انبناء النص وكيفية تركيبه وتوليده وتحويله من جملة نووية صغرى إ لى خطاب نصي مسهب وممطط. بمعنى معرفة كيف تتوسع البؤرة الم حورية دلاليا وتركيبيا وسياقيا لتتحول إلى فقرات ومقاطع ومتواليات حتى تصبح نصا متس قا ومنسجما.

إذاً، ما النص؟ وما الخطاب؟ وما مفهوم لسانيات النص؟ وما أهدافه؟ وما نشأته التاريخية؟ و ما أهم الكتابات في هذا المجال؟ وما أهم القضايا التي تتناولها لسانيات النص؟ وما أهم منظوراتها واتجاهاتها ؟

هذا ماسوف نرصده في كتابنا هذا الذي عنوناه بـ (**محاضرات في لسانيات النص**)، على أساس أن هذه اللسانيات النصية أو الخطابية لها أدوار مهمة على الصعيد المعرفي والبيداغوجي والديد كتيكي واللساني والأدبي؛ لأنها تعرفنا بمختلف الطرائق والآليات التي يبنى بها النص ويشيد، مهما كانت طبيعته الخطابية. وتسعفنا أيضا في التمييز بين النصوص وتنميطها وتجنيسها وتصنيفها ، وفق مقاييس وقواعد لسانية ولغوية ونقدية . كما تعرفنا بمختلف المميزات والسمات التي يتميز بها النص عن اللانص، وما يميز النص عن الخطاب.

وعليه، فقد اتبعنا، في كتابنا هذا، منهجية تحليلية وتاريخية استقرائية تجمع بين النظرية والتطبيق، وتجمع بين ما هو أصيل في التراث العربي الإسلامي، وماهو حداثي معاصر في الثقافة الغربية، بغية تقديم كتاب يعرف الطلبةوالباحثين والمدرسين بنظريةة لسانيات النص ، في مختلف تعاريجها التاريخية والنظرية والتطبيقية والمفاهيمية، بأسلوب تعليمي واضح وبسيط.

و نرجو من الله عز وجل أن يوفقنا في هذا الكتاب المتواضع، و يسدد خطانا، ويرشدنا إلى ما فيه صالحنا، ونستغفره عن هفواتنا وكبواتنا وأخطائنا وزلاتنا. كما نستسمح القراء الأفاضل عما في هذا الكتاب من

نقص وتقصير ونسيان، فالكمال والتمام من صفات سبحانه وتعالى جل شأنه وعلا، وماتوفيقي إلا بالله.

الفصل الأول:

من لسانيات الجملة إلى لسانيات النص

المبحث الأول: مفهـــوم النــص

من المعروف أن النص من فعل نصص. وقد عرفه ابن منظور في معجمه (**لسان العرب**) بقوله:" نصص : النص : رفعك الشيء . نص الحديث ينصه نصا : رفعه . وكل ما أظهر فقد نص . وقال عمرو بن دينار :ما رأيت رجلا أنص للحديث من الزهري ، أي أرفع له وأسند . يقال : نص الحديث إلى فلان أي رفعه ، وكذلك نصصته إليه . ونصت الظبية جيدها : رفعته . ووضع على المنصة أي على غاية الفضيحة والشهرة والظهور . والمنصة : ما تظهر عليه العروس لترى ، وقد نصها وا نتصت هي والماشطة تنص العروس فتقعدها على المنصة ، وهي تنتص عليها لترى من بين النساء . وفي حديث عبد الله بن زمعة :أنه تزوج بنت السائب فلما نصت لتهدى إليها طلقها ، أي أقعدت على المنصة وهي بالكسر سرير العروس ، وقيل : هي بفتح الميم الحجلة عليها من قولهم نصصت ا لمتاع **إذا جعلت بعضه على بعض** . وكل شيء أظهرته فقد نصصته . والمنصة: الثياب المرفعة ، والفرش الموطأة . ونص المتاع نصا : جعل بعضه على بعض . ونص الدابة ينصها نصا : رفعها في السير ...

والنص والنصيص : السير الشديد والحث ولهذا قيل : نصصت الشيء رفعته ومنه منصة الع روس . وأصل النص أقصى الشيء وغايته ، ثم سمي به ضرب من السير سريع . ابن الأعرابي :النص الإسناد إلى

الرئيس الأكبر والنص التوقيف والنص التعيين على شيء ما ونص الأمر شدته ... ونص الرجل نصا إذا سأله عن شيء حتى يستقصي ما عنده . [1]"

ومن هنا، يدل النص على معان عدة، منها الظهور، والارتفاع، والبروز، وضم العناصر إلى بعضها البعض، والإدراك والغاية والمنتهى، والاستقصاء في الشيء حتى إدراكه وفهمه واستيعابه، والانتصاب والاستواء والاستقامة. ومن ثم، فالنص ، في دلالته الحقيقية، عبارة عن نسيج من الجمل المتضامة والمتضافرة والمتجادلة والمتراكبة والمتتابعة، لايمكن فهمه إلا بتتبع ملفوظاته واستقصائه جملة جملة بغية إدراك المعنى والغاية والمنتهى والفائدة المرجوة .

أما النص (Texte/Text/Texto) ، في الثقافية الغربية ، فيعني نسيجا لفظيا أو مكتوبا، في شكل جمل وفقرات ومتواليات مترابطة و متراصة ومتسقة ومنسجمة . وبتعبير آخر، النص بناء كلي متسق ومنسجم ومتشاكل، خاضع لمجموعة من القواعد النحوية والصوتية والصرفية والمعجمية. ومن ثم، فالنص ليس له طول مح دد إلا في الشعر كما في السونيت (**Sonnet**) أو الهايكو (**Haiku**). ومن ثم، فالمقاربة التي تهتم بدراسة النص هي اللسانيات النصية (**Linguistique textuelle**).

وينطلق عبد الفتاح كيليطو ، في كتابه(**الأدب والغرابة**) [2]، من ثنائية الأدب والنص، مبينا أننا نستعمل كلمة الأدب بطريقة فضفاضة واعتباطية ، دون

[1]- ابن منظور: **لسان العرب،** الجزء الرابع عشر،حرف النون، مادة نصص .، دار صادر،

مساءلة دلالاته اللغوية والاصطلاحية ومقاصده السياقية والمفهومية. ومن ثم، نفتقر إلى تصورات حقيقية حول الأدب وماهيته ووظيفته ، وما يميز النص الأدبي عن باقي النصوص الأخرى . إننا لانبحث عما يجعل النصوص الأدبية أدبية، بل نكتفي بربطها بالمجتمع أو ما تتركه من آثار نفسية في المتلقي. وينطبق هذا أيضا على مصطلح النص الذي يثير كثيرا من الإشكال على مستوى التحديد والضبط والتدقيق. هذا ما دفع الناقد لتعريفه باستحضار مقابله الذي يتمثل في مفهوم (اللانص). ومن هنا، فللنص - حسب كيليطو- هو الذي يتميز بالنظام والانفتاح ، ويحمل مدلولا ثقافيا، ويكون قابلا للتدوين والتعليم والتفسير والتأويل، و قابلا للاستشهاد به، حينما ينسب إلى مؤلف حجة، معترف بقيمته الأدبية والفكرية، ومكانته العلمية والثقافية . أي: لابد أن يكون المؤلف شيخا مرموقا في الساحة الثقافية. و يكون النص كذلك غامض الدلالة ، قوامه الغرابة والانزياح والخرق بدل الألفة والكلام العادي السوقي .لذا، فالنصوص - **حسب ميشيل فوكو-** نادرة وقليلة.

وتتوفر في النص مجموعة من الشروط الجوهرية هي :الاتساق [43]، والانسجام[5]، والتناص[6]، والقصد[7]، والقبول[8]، والإتصال[9]، والمقامية [10].

---

[2]- عبد الفتاح كليطو :**الأدب والغرابة**، دار الطليعة ، بيروت ، لبنان،الطبعة الثانية، سنة 1983م.

[3] -De Beaugrand :**Introduction to text linguistics**;RA.De Beaugrand;p3.

وقد كان النص موضوع البلاغة والأدب منذ القديم، إلا أنه منذ منتصف القرن العشرين أ صبح النص موضوعا لسانيا بامتياز، بعد تطور الدراسات الدلالية والتداولية والتلفظية . وقد ساهمت هذه النظريات في ظهور أنحاء النص ما بين سنوات الستين والسبعين من القرن الماضي مع فان ديك (V.Dijk)، وكومير (W.Kummer) وهار ويغ(Harweg)، وبيتوفي(Petöfi)... مستلهمة في ذلك تصورات النحو التوليدي التحويلي لنوام شومسكي (N.Chomsky). وفي الوقت نفسه، كان هناك تيار آخر يدرس النص والخطاب معا هو التيار التلفظي مع مانجونو (Maingueneau)، وكوليولي (A.Culioli)، وأوريكشيوني(Orecchioni)، وفيون (Vion)،مع الاستعانة بآراء إميل بنيفنست (E.Benveniste)، ورومان جاكبسون (R.Jakobson)،

---

[4]- الاتساق مجموعة من الروابط اللغوية، مثل : الضمائر، وأسماء الإشارة، والأسماء الموصولة، والتكرار، والضمائر...

[5]- الانسجام عبارة عن عمليات معنوية ، مثل : التغريض، والتـأويل، والمشابهة، والسيناريوهات، والمدونات، والخطاطات، والعناوين...

[6]- التناص بمعنى الحوارية وتداخل النصوص . ويسمى ، في الثقافة العربية، بالاقتباس، والتضمين، والاستشهاد...

[7]- القصد بمعنى المقصدية أو الرسالة المباشرة وغير المباشرة.

[8]- بمعنى الاعتراف الشرعي والمؤسساتي بالنص.

[9]- الإعلام بمعنى الاتصال والإبلاغ.

[10]- المقامية بمعنى السياق.

وميخائيل باختين (M.Bakhtine). ومن ثم، فقد اهتم هذا الاتجاه بالخطاب أو النص في علاقاته التلفظية، داخل سياق تواصلي ما، بالتركيز على أطراف التواصل، والملفوظ، والسياق، والتواصل، والاندماج الحضوري. ومن هنا، لم يعد هناك فرق كبير بين النص والخطاب.

علاوة على ذلك، يخضع النص لأنماط من الاتساق اللساني، والاتساق التلفظي، والاتساق التداولي، والاتساق الدلالي.

المبحث الثاني: الفرق بين النص والخطاب

هناك مشكل عويص يتعلق بالفرق بين ا لنص (Texte) والخطاب(Discours). فهل هما بمعنى واحد أم ثمة اختلاف بينهما؟

هناك من الباحثين من يرادف بين النص والخطاب. بيد أن هناك من يميز بينهما بشكل دقيق . فالخطاب مرتبط بالتلفظ والسياق التواصلي. في حين، يتميز النص بكونه مجردا عن هذا السياق بشكل كلي. وقد ميز ميشيل آدم (M.Adam) بينهما بهذا الشكل الرياضي:

" الخطاب = النص+ ظروف الإنتاج

النص= الخطاب- ظروف الإنتاج

وبتعبير آخر، فالخطاب، بكل تأكيد، ملفوظ يتميز بخصايات نصية، لكنه يتميز أساسا بوصفه فعلا خطابيا أنجز في وضعية معينة (مشاركون، مؤسسات، موضع، زمان)... أما النص، فهو ، بالمقابل، موضوع مجرد ناتج عن نزع السياق عن الموضوع المحسوس"

لنقل، بعبارة أخرى، إن الموضوع الذي هو الخطاب يدمج السياق : أي الظروف الخارج لسانية المنتجة له . في حين، إن النص يبعدها بوصفه ترتيبا لقطع تعود إلى البعد اللساني: أي السياق"[11].

وإذا كان النص موضوعا مجردا ، ونظرية عامة لتأليف الوحدات والمتواليات والمقاطع . ومن ثم، يعني مجموعة من الجمل المتلاحمة والمترابطة والمتسقة عضويا ومعنويا، فإن الخطاب عبارة عن ملفوظا ت شفوية أو مكتوبة مرتبطة بسياقها التواصلي الوظيفي. لذا، فأصحاب تحليل الخطاب، ينطلقون " من مبدأ أن الملفوظات لاتقدم نفسها بوصفها جملا

---

[11]- ماري آن بافو وجورج إليا سرفاتي : **النظريات اللسانية الكبرى،** ترجمة: محمد الراضي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى سنة 2012م، ص:315.

أو متواليات جمل، بل بكونها نصوصا . والنص، في واقع الأمر، طريقة تنظيم خاصة، ويجب أن يدرس ، بناء على هذه الصفة، بإرجاعه إلى الظروف التي أنتج فيها . إن دراسة بنينة النص بإرجاعه إلى ظروف إنتاجه يعني تصوره بوصفه خطابا.[12]"

وإذا كان النص ينبني على النصية ، والعلاقات التراتبية للوحدات والمتواليات، وتميزه باستقلاله الشكلي، وتنظيمه الداخلي ، فإن الخطاب يركز على الخطابية أو التلفظية. بمعنى أن الخطاب يرادف الملفوظ.

وهكذا، تتداخل لسانيات النص مع تحليل الخطاب، وإن كان النص أعم وأشمل من الخطاب، ولاسيما في مجال السرد، فالنص يتضمن من جهة الدلالة القصة (الأحداث، والشخصيات، والفضاء). ومن جهة الشكل، يتضمن الخطاب (المنظور السردي، والزمن السردي، والأصوات اللغوية والأسلوبية). بيد أن هناك من يرادف بين النص والخطاب، فيجمع بينهما في صيغة ترادفية واحدة، فيقول: " لسانيات النص أو لسانيات الخطاب ".

ونجد هذا جليا عند فان ديك الذي يرادف بينهما :"توجد فوارق متسقة الاطراد بين الجملة المركبة وانتظام توالي الجمل وتسلسلها، وخاصة من نوع المستوى التداولي.ثم إن الجمل يمكن أن تتعلق بدلالة أو بمعنى جمل أخرى من العبارة نفسها حتى ولو كان ذلك ليس دائما مشابها في شيء لمعاني القضايا في تركيبها أو الجمل المؤلفة.وهناك أسباب أدت بنا إلى أن نسلم بأن العبارات المنطوقة يجب أن تعاد صياغتها تبعا لوحدة أوسع ما

[12]- ماري آن بافو وجورج إليا سرفاتي: **النظريات اللسانية الكبرى**، ص:328

تكون وأعني بذلك المتن أو النص . وهذا الاصطلاح الأخير إنما استعمل هنا لي فيد الصياغة النظرية المجردة المتضمنة لما يسمى عادة بالخطاب."[13]

ومن جهة أخرى، يعرف الخطاب (Discours) بأنه الإطار الشكلي للمتن أو المحتوى، أو التعبير والصياغة الفنية والجمالية للمضامين والمحتويات المعروضة ضمن القصة أو الحكاية ، إذا كان الحديث - مثلا- عن النص السردي. وغالبا، ما يشمل الخطاب ، في هذا الإطار، ما يسمى بـللوصف، والرؤية، والصوت، والزمن . في حين ، تحوي الحكاية الأحداث، والشخصيات، والفضاء السردي. ويتسم الخطاب كذلك بالكلية، والإيحاء، والتلميح، والتضمين، والانتظام، والاتساق، والانسجام، والشكلية، والاهتمام بج مالية اللغة، والانقطاع عن الإحالة المرجعية، والتنصيص على الأدبية القولية الداخلية، والارتكان إلى الوظيفة الإنشائية والقولية البنائية التي تخضع بدورها للتحديث والانزياح والتجريب . ومن ثم، فما "يميز الخطاب الأدبي- حسب عبد السلام المسدي- هو انقطاع وظيفته المرجعية ، لأنه لايرجعنا إلى شيء، ولا يبلغنا أمرا خارجيا، وإنما هو يبلغ ذاته، وذاته هي المرجع المنقول في الوقت نفسه . ولما كف الخطاب الأدبي، عن أن يقول شيئا عن شيء إثباتا أو نفيا، فإنه غدا هو نفسه قائلا

---

[13]- فان ديك: **النص والسياق**، ترجمة: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى سنة 2000م، ص:19.

ومقولا، وأصبح الخطاب الأدبي من منقولات الحداثة التي تدك تبو يب أرسطو للمقولات مطلقا."[14]

ويرى الباحث الجزائري نور الدين السد أن الخطاب الأدبي يأخذ"استقراره بعد إنجازه لغة، ويأخذ انسجامه وفق النظام الذي يضبط كيانه، ويحقق أدبيته بتحقيق انزياحه، ولا يؤتى له عدوله عن مألوف القول دون صنعة فنية، وهذا ما يحقق للخطاب الأدبي تأثيره، ويمكنه من إبلاغ رسالته الدلالية، غير أن دلالة الخطاب الأدبي ليست دلالة عارية، يمكن القبض عليها دون عناء، بل الذي يميز الخطاب هو التلميح، وعدم التصريح."[15]

وخلاصة القول: إذا كان النص بناء لغويا مجردا عن أطرافه التواصلية، فإن الخطاب له علاقة وثيقة بالإنجاز والكلام التلفظي.

المبحث الثالث: لسانيات الجملـــة

[14] - عبد السلام المسدي : **الأسلوبية والأسلوب** ، الدار العربية للكتاب، طبعة 1982م، ص:116.

[15] - نقلا عن عبد القادر شرشار : **تحليل الخطاب الأدبي وقضايا النص** ، منشورات مختبر الخطاب الأدبي في الجزائر، الطبعة الأولى 2006م، ص:46-47.

من المعروف أن لسانيات الجملة هي التي تدرس الجملة ، بمختلف مكوناتها الصغرى: الفونيم، والمورفيم، والمقطع، والمونيم. ويمكن القول بأن الجملة عبارة عن تلفظ مزدوج .أي: المونيم والفونيم. وقد تدل لسانيات الجملة على العبارة والمركب(Syntagme) والكلم التام الفائدة.

ومن هنا، فقد عرفت الجملة النحوية تعريفات عدة ومختلفة . فهناك من يعتبرها كلاما مفيدا. وهناك من يعتبرها فعلا وفاعلا، أو مبتدأ وخبرا، أو هي عبارة عن مسند ومسند إليه، وعلاقتهما إسنادية. ويعني هذا أن الجملة إسناد وعمدة، وقد تتجاوز ذلك إلى مكملات موسعة أو فضلة توسيعية [16].

أي: إن الجملة عبارة لغوية تتركب من حمل نووي أو موسع، ومكون أو مكونات خارجية. ومن ثم، تنقسم الجملة إلى جملة بسيطة ذات محمول نووي واحد، أو جملة مركبة ذات محمولين فأكثر.

ويرى الباحث المغربي عبد السلام سليمي أن الجملة نسق ثلاثي التركيب يتمثل في: المسند، والمسند إليه، والتكملة، ونسق نحوي يعتمد على تمام التكوين، وصحة التأليف. وهي أيضا ذات نسق متصرف، إذ تقبل التحليل والتحويل والإعراب[17].

---

[16]- الفضلة هي التي تلحق بالجملة النووية، وهي سبعة عناصر : المستفيد، والمفعول المطلق، والمفعول لأجله، والمفعول معه، والحال، والمستثنى، والإضافة.

[17]-عبد السلام سليمي: **دراسة في التركيب**، كلمات للنشر والطباعة والتوزيع، سلا، الطبعة الأولى سنة 2010م، ص:19-21.

بيد أن النحاة العرب لم يولوا " اهتماما كبيرا ، في دراساتهم ال نحوية، بمسألة دراسة الجملة العربية، من حيث تأليفها وتركيبها والعلاقات داخلها وفيما بينها، فيما عدا ما قام به ابن أم قاسم المرادي (ت749هـ) الذي كتب رسالة في جمل الإعراب، وتلاه بعد ذلك ابن هشام الأنصاري (ت761هـ) الذي عقد للجملة بحثا مستقلا هو الباب الثاني من كتابه (مغني اللبيب).

وفي هذه الفترة أيضا كتب شهاب الدين الأصبحي ال عنابي (ت776هـ) رسالة نحوية صغيرة بعنوان : (**الحلل في الكلام على الجمل**).

وباستثناء هذه الأمثلة، لانجد اهتماما واضحا بالجملة في الدراسات النحوية، إلا ما رأيناه مؤخرا من اهتمام جيد بدراستها م ن قبل بعض الدارسين المحدثين."[18]

ونستحضر من هؤلاء الدارسين المحدثين والمعاصرين : فخر الدين قباوة في كتابه (**إعراب الجمل وأشباه الجمل**)[19]، وحسني عبد الجليل يوسف في كتابه (**إعراب النص.. دراسة في إعراب الجمل التي لامحل لها من الإعراب)**[20]، وإبراهيم صالح الحندود في **(الجمل المختلف في**

---

[18]- حسين منصور الشيخ : **الجملة العربية،** المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى سنة 2009م، ص:13-14.

[19]- فخر الدين قباوة : **إعراب الجمل وأشباه الجمل،** دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، 1981م.

[20]- حسني عبد الجليل يوسف: **إعراب النص.. دراسة في إعراب الجمل التي لامحل لها من الإعراب**،دار الآفاق العربية، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى سنة 1997م.

إعرابها)[21]، وصالح فضل السامرائي في (**الجملة العربية .. تأليفها وأقسامها)**[22]، وشكر محمود عبد الله في (**دلالة الجملة الاسمية في القرآن الكريم**)[23]، ومحمد حماسة عبد اللطيف في كتابيه (**العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث**)[24]، و (**في بناء الجمل ة العربية)**[25]، وأيمن عبد الرزاق الشوا في (**مبادئ أساسية في فهم الجملة العربية)**[26]، ومحمود أحمد نحلة في (**مدخل إلى دراسة الجملة العربية)**[27]، ومجدي محمد حسين في (**الجملة الاسمية**)[28]، ومصطفى

---

[21]- إبراهيم صالح الحندود : **الجمل المختلف في إعرابها،** الدراسات اللغوية . 1/5، 2004م.

[22]- صالح فضل السامرائي : **الجملة العربية ..تأليفها وأقسامها**، دار الفكر، عمان، الطبعة الأولى سنة 2002م.

[23]- شكر محمود عبد الله: **دلالة الجملة الاسمية في القرآن الكريم**، دار دجلة، الطبعة الأولى سنة 2009م.

[24]- محمد حماسة عبد اللطيف: **العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث**، دار الفكر العربي، القاهرة، بدون تاريخ نشر.

[25]- محمد حماسة عبد اللطيف : **في بناء الجملة العربية،** دار القلم، الكويت، الطبعة الأولى سنة 1982م.

[26]- أيمن عبد الرزاق الشوا : **مبادئ أساسية في فهم الجملة العربية،** دار اقرأ، دمشق، سورية، الطبعة الأولى سنة 2006م.

[27]- محمود أحمد نحلة : **مدخل إلى دراسة الجملة العربية،** دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى سنة 1988م.

حميدة في (**نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية**)[29]، وفاضل صالح السامرائي في (**الجملة العربية والمعنى**)[30]، وكريم حسن ناصح الخالدي في (**نظرات في الجملة العربية**)[31]، وحسين منصور الشيخ في (**الجملة العربية**)[32]، ومهدي المخزومي في كتابيه (**في النحو العربي.. نقد وتوجيه**)[33] و(**في النحو العربي ..قواعد وتطبيق**)[34]، وأحمد المتوكل في

---

[28]- مجدي محمد حسين : **الجملة الاسمية،** دار ابن خلدون للنشر، الطبعة الأولى سنة 2004م.

[29]- مصطفى حميدة: **نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية،** دار نوبار للطباعة، الطبعة الأولى سنة 1997م.

[30]- فاضل صالح السامرائي: **الجملة العربية والمعنى،** دار ابن حزم، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى سنة 2000م.

[31] - كريم حسن ناصح الخالدي :**نظرات في الجملة العربية** ، دار صفاء ومكتبة الم جتمع العربي، عمان، الأردن، الطبعة الأولى سنة 2005م.

[32]- حسين منصور الشيخ : **الجملة العربية،** المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى سنة 2009م.

[33]- مهدي المخزومي: **في النحو العربي.. نقد وتوجيه،** دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية 1986م.

[34]- مهدي المخزومي : **النحو العربي..قواعد وتطبيق على المنهج العلمي الحديث،** بدون ناشر، الطبعة الثالثة سنة 1985م.

(الجملة المركبة في اللغة العربية)[35] ، وعبد السلام سليمي في **(دراسة في التركيب)**[36] **...**

هذا، وقد تحدث النحاة العرب القدامى عن الجملة الفعلية والجملة الاسمية. لكن هناك من أضاف الجملة الظرفية ، مثل : ابن هشام الأنصاري(761هـ)، وتبعه في ذلك السيوطي (911هـ). ومن أمثلة هذه الجملة: (أعندك زيد؟ أفي الدار زيد؟). وأضاف الزمخشري الجملة الشرطية إلى الجملتين الأساسيتين الفعلية والاسمية ، وقد أشار إليها من قبل كل من الخليل والمبرد .

ومن جهة أخرى، فقد تحدثوا عن أنواع أخرى من الجمل هي:

❶ **الجملة الأصلية** : هي التي تتكون من العلاقة الإسنادية التي تجم ع بين الفعل والفاعل أو بين المبتدأ والخبر.

❷ **الجملة الصغرى** : هي المبنية على المبتدإ .

❸ **الجملة الكبرى** : هي التي يكون فيها الخبر جملة اسمية أو فعلية، مثل: السماء كواكبها لامعة، أو الوردة طابت رائحتها.

وهناك من قسم الجملة العربية إلى الجملة الإسنادية، والجم لة الشرطية، والجملة الظرفية، والجملة البسيطة، كما ذهب إلى ذلك عبد الهادي

---

[35]- أحمد المتوكل: **الجملة المركبة في اللغة العربية،** منشورات عكاظ، الرباط، المغرب، الطبعة الأولى سنة 1989م.

[36]- عبد السلام سليمي: **دراسة في التركيب،** كلمات للنشر والطباعة والتوزيع، سلا، الطبعة الأولى سنة 2010م،

الفضيلي في كتابه (**دراسات في الإعراب**)[37].وقد قسمها تمام حسان إلى الجملة الاسمية، والجملة الفعلية، والجملة الوصفية [38]، والجملة الشرطية، والجملة الإنشائية.[39]

وهناك من قسمها إلى الجملة الفعلية ، والجملة الاسمية، والجملة المعربة، والجملة غير المعربة، والجملة الكبرى، والجملة الصغرى، كما هو الشأن عند حسين منصور الشيخ في كتابه (**الجملة العربية**)[40] ...

وعلى العموم، تتنوع الجملة ، من الناحية اللسانية، حسب مجموعة من النحاة القدامى والمحدثين والمعاصرين، إ لى جملة فعلية، أو جملة اسمية، أو جملة رابطية أو كونية، أو جملة بسيطة ذات محمول واحد، أو جملة مركبة ذات محمولين فأكثر، أو جملة ظرفية [41]، أو جملة شرطية، أوجملة نداء، أو جملة أساسية إسنادية ، أو جملة صريحة (حرفية)، أو جملة

---

[37]- عبد الهادي الفضيلي : **دراسات في الإعراب ،** تهامة للنشر، جدة، السعودية، الطبعة الأولى سنة 1984م. صص:135-136.

[38]- تتكون من ركنين، الركن الأول : اسم الفاعل أو اسم المفعول، أو صيغة المبالغة، أو الصفة المشبهة، أو أفعل التفضيل، والركن الآخر: معمول هذه الصفات.

[39]- تمام حسان : **الخلاصة النحوية** ، عالم الكتب، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى سنة 2000م، ص:105-153.

[40]- حسين منصور الشيخ، **الجملة العربية،** صص:49-81.

[41]- هي تلك الجملة التي يتصدرها ظرف زمني أو مكان ي، أو جار ومجرور، نحو : عندك محمد، في الصباح ضباب مكثف، في القسم رجل.

استلزامية (ضمنية)، أو جملة اقتضائية (جملة الإحالة)، أو جملة ذيلية (Tall)،...

وفي إطار المدرسة الوظيفية لأندري مارتيني (André Martinet)، تعتبر الجملة عبارة عن تمفصل مزدوج، تتكون من مونيمات ومورفيمات وفونيمات، وظيفتها الأساس هي التواصل . ومن ثم ، تنقسم الجملة إلى جملة إسنادية حملية ، وجملة فضلة أو موسعة تكميلية[42].

أما في إطار النحو التوليدي التحويلي، كما وضعه نوام شومسكي(N.Chomsky) [43]، فتنقسم الجملة إلى نوعين : جملة عميقة أساسية، وجملة سطحية محولة . ويعني هذا أن شومسكي يتحدث عن الجملة النواة أو الجملة الأساسية التي توجد في البنية العميقة، والجملة المحولة (Phrase transformé) المرتبطة بالبنية السطحية . ومن ثم، فهي تخضع لمجموعة من التحولات الطارئة ؛ مثل: الزيادة، والنقصان، والحذف، والاستبدال. علاوة على ذلك، فالجملة الأولى هي جملة بسيطة وتامة وصريحة ومبنية للمعلوم وموجبة. في حين، تعد الجملة الثانية فاقدة لإحدى السمات التي تتميز بها الجملة الأولى.

---

[42] - André martinet : **Eléments de linguistique générale**, Armand. Collin, Paris, France, 1960.

[43] - N.Chomsky: **Santactic Structures**, The Hague, Mouton, Tra.Fr.Ed. Seuil. Paris, 1967.

ويقسم أحمد المتوكل الجملة إلى أنواع خمسة هي [44]: الجمل المبتدئية، والجملة الندائية، والجملة الذيلية، والجملة البسيطة ، والجملة المركبة.

تلكم أهم أقسام الجملة النحوية واللسانية على مستوى البنية . فهناك أقسام أخرى على مستوى الهدف ، مثل : الجملة الإخبارية التقريرية، والجملة الاستفهامية، والجملة التعجبية، والجملة الطلبية أو الأمرية.

[44]- أحمد المتوكل: **اللسانيات الوظيفية**، منشورات عكاظ، الرباط، المغرب، الطبعة الأولى سنة 1988م.

المبحث الرابع:مفهــوم لسانيات النص

يقصد بلسانيات النص ذلك الاتجاه اللغوي الذي يعنى بدراسة نسيج النص انتظاما واتساقا وانسجا ما، ويهتم بكيفية بناء النص وتركيبه . بمعنى أن لسانيات النص تبحث عن الآليات اللغوية والدلالية التي تساهم في ا نبناء النص وتأويله. أضف إلى ذلك أن هذه اللسانيات تتجاوز الجملة إلى دراسة النص والخطاب ، بمعرفة البنى التي تساعد على انتقال الملفوظ من الجملة إلى النص أو الخطاب، أو الانتقال من الشفوي إلى المكتوب النصي . ويعني هذا أن لسانيات النص هي التي تدرس النص، وتحلل الخطاب، ولاتهتم بالجملة المنعزلة، بل تهتم بالنص باعتباره مجموعة من الجمل المترابطة ظاهريا وضمنيا. ومن ثم، فقد انطلقت من لسانيات الملفوظ مع بنفنست (E. Benveniste)[45].

ومن هنا، فلسانيات النص (**Text linguistics**) هو فرع من فروع علم اللسانيات (**Linguistique/Linguistics**)، ويتعامل مع النص باعتباره نظاما للتواصل والإبلاغ السياقي. وفي هذا، يقول فان ديك(Van

[45] - Benveniste, E. : **Problèmes de linguistique générale**. *Paris :* Gallimard.1976.

Dijk)" إن كل خطاب مرتبط على وجه الاطراد بالفعل التواصلي.وبعبارة أخرى، فإن المركب التداولي ينبغي ألا يخصص الشروط المناسبة للجمل ومقتضى الحال فيها، بل يخصص هذا المركب ضروب الخطاب أيضا. وإذاً، فإن أحد الأغراض السامية لهذا الكتاب هو الإعراب والإفصاح عن العلاقات المتسقة الاطراد بين النص والسياق التداولي."[46].

ومن ثم، تهدف هذه اللسانيات إلى وصف النصوص والخطابات نحويا ولسانيا، في ضوء مستوياتها الصوتية، والصرفية، والتركيبية، والدلالية، والتداولية، والبلاغية...كما توصف الجمل حسب المدارس الل سانية؛ لأن النص جملة كبرى . وما ينطبق على الجملة الصغرى ينطبق أيضا على الجملة الكبرى.

وعليه، فلسانيات النص هي التي تدرس النص على أساس أنه مجموعة أو فضاء ممتد وواسع من الجمل والفقرات والمقاطع والمتواليات المترابطة شكلا ودلالة ووظيفة ، ضمن سياق تداولي وتواصلي معين. ومن ثم، يحمل مقصديات مباشرة وغير مباشرة، ويهدف إلى الإبلاغ أو الإمتاع أو الإفادة أو التأثير أو الإقناع أو الاقتناع أو الحجاج...

وتدرس لسانيات النص ما يجعل النص متسقا ومنسجما ومترابطا، بالتركيز على الروابط التركيبية، والدلالية، والسياقية، سواء أكان ت صريحة أم ضمنية . ولاتكتفي لسانيات النص بماهو مكتوب فقط، بل

[46]- فان ديك: **النص والسياق،** ص:20

تدرس حتى النصوص الشفوية والملفوظات النصية القولية.أي: تبحث عن آليات بناء النص ، ومختلف الوظائف التي يؤديها ضمن سياق تداولي معين.

من المعلوم أن النص (le texte) عبارة عن مجموعة من الكلمات والجمل التي تشكل ، في البداية ، ما يسمى عند أندريه مارتينيه (A.Martinet) بالتمفصل أو التلفظ المزدوج (Double Articulation). ومن ثم، يتكون النص عبر التحام الجمل واتساقها نسيجا وانتظاما، وترابطها عضويا وموضوعيا . ومن ثم، يلاحظ أنه عبر امتداد مساحة النص يتشكل ما يسمى بالف قرات (paragraphes)، والمقاطع(strophes) والمتواليات (séquences)التي تؤلف بدورها في الأخير ما يسمى بالنص، ووظيفته الأساسية و البارزة التواصل والإبلاغ والتداول.

هذا، ويتميز النص عن اللانص - حسب عبد الفتاح كليطو - بمجموعة من الضوابط التي تتمثل في كون النص يحمل ثقافة، ويعتمد على النظام، وهو قابل للتدوين والتعليم، وينسب إلى كاتب حجة، ويحتاج إلى تفسير وتأويل.[47]

وعليه، فلقد انصب اهتمام لسانيات النص على ثنائية الجملة / النص التي اهتمت بها اللسانيات البنيوية التوزيعية والتوليدية التحويلية سابقا . ويرى

[47] - عبد الفتاح كليطو **: الأدب والغرابة**، دار الطليعة، بيرو ت، لبنان، الطبعة الأولى سنة 1982، ص:12-20.

بلومفليد(Bloomfield) أن الوحدة اللسانية الكبرى هي الجملة، وأن اللسانيات مقتصرة على دراسة الجمل وتوزيعها إلى مكوناتها الإسمية والفعلية والحرفية أو إلى مكملاتها . بيد أن لسانيات النص عقدت العزم على تجاوز الجملة لدراسة ترابط الجمل واتساقها وانسجامها، وتحديد العلاقات الموجودة بين الوحدات الجملية داخل النص، وك ذلك الاهتمام بتعريف النص، واستخلاص مكوناته ومرتكزاته التركيبية والدلالية والتداولية. هذا النمط من الدراسة كانت تعده اللسانيات الكلاسيكية اهتماما بالقضايا الهامشية.

ويعرف كوليش رايبال (Gulish Raible) لسانيات النص بقوله: «رتقصد بنحو النص مجموعة الأعمال اللسانية التي تملك، كقاسم مشترك، خاصية تجعلها تجسد موضوع دراستها في المتواليات الخطابية ذات الأبعاد التي تتجاوز حدود الجملة...»[48].

إذاً، فلسانيات النص هي التي تدرس المتواليات النصية ، وتجعل وحدتها الكبرى في النص لا في الجملة كم ا كان يفعل البنيويون اللسانيون، وكذا التوليديون التحويليون.

ولقد انكبت لسانيات النص، تطبيقيا، على مجموعة من القضايا المهمة والشائكة ، مثل : الضمائر العائدة (Les anaphores)، والتماسك النصي(La coherence tetuelle)، و الاتساق(Cohesion)،

[48] - أنظر: عبد الجليل غزالة (نحو النص بين النظرية والتطبيق)، **أنوال الثقافي**، المغرب، العدد 1986/26 ، ص: 11.

والانسجام (Coherence)إلخ... وهذه القضايا التي ذكرناها، لا تغطي الإشكاليات الخطابية برمتها ؛ «وذلك لأن قطاع تحليل الخطاب يحاول ، في هذا الصدد، تجاوز إطار الجملة : حيث يدرس عدة جوانب للعلاقات المتنوعة بين الأزمنة الموجودة داخل الخطاب، كما أنه يتعرض للنبر في الجملة، وخاصة قضية " العروضية / التلحينية "(La prosodie)، ثم العلاقات المتبادلة بين المسند و المسند إليه، والاقتضاء، والإضمار، والنفي، والغموض، والبرهنة، وهي قضايا تفرض علينا الاهتمام ببنيات الترابط الجملي (القول).

وبصفة عامة، فإن نحو النص /الخطاب يطمح إلى إنجاز مجموعة من قواعد التماسك التي ستمنح لـلعلاقات بين الضمائر العائدة خصوصية متميزة، أو لأنواع الجمل المترابطة ا لأخرى. إن " قواعد التماسك النصي" تعمل كمؤشرات وقرائن الشروط والظروف الخطابية، والتي يجب أن تتوفر عليها الجمل السابقة واللاحقة ... وذلك لكي يكون نص معين متماسكا...»[49]

وهكذا، يهدف تحليل الخطاب إلى تحديد الوحدات النصية الكبرى، والتساؤل عن كيفية بروزها واتساقها وانسجامها وتماسكها، ومعرفة كيف تبنى وتصاغ من أجل تأسيس نظرية للأنواع الخطابية . وتعنى كذلك بالبرهنة الحجاجية (L'argumentation) ، والسردية النصية (La narrativité) ...

[49] - انظر: عبد الجليل غزالة (نحو النص بين النظرية والتطبيق) ، ص 12.

ومن هنا، تعتبر لسانيات النص من أهم المقاربات التي استهدفت تحليل النص أو الخطاب إلى جانب السيميائيات ، والشعرية، والتداوليات، والسوسيولوجيا...

فبعد التحليل البنيوي للجملة أو الملفوظ اللغوي، سواء على مستوى التوزيع أم الوظيفة أم التوليد التحويلي، انتقلت اللسانيات إلى تحليل النص أو الخطاب، فوسعت مجال موضوعها، وبلورت مصطلحاتها الإجرائية، وبحثت عن مفاهيم جديدة ، ضمن تصورات أكثر نجاعة، صالحة للإحاطة بالنصوص.

ولقد اهتمت لسانيات النص كذلك بمدى انسجام النصوص واتساقها وترابطها ، سواء على مستوى التركيب أم الدلالة أم الوظيفة التداولية. كما بحثت هذه اللسانيات في البنيات العميقة المولدة للنصوص اللا متناهية العدد، بالتركيز على عمليات التوليد والتحويل ؛ مثل: النقصان، والزيادة، والحذف، والاستبدال...

الفصل الثانـي:

نشأة لسانيات النص وأهم مقارباتـــها

المبحث الأول: نشــأة لسانيات النص

لقد ظهرت المحاولات الأولى للسانيات النص منذ صدور كتاب(**الحكايات الروسية العجيبة**) لفلاديمير بروب (V.Propp) سنة 1928م، حيث قدم أول دراسة لسانية تحليلية لمقاطع الحكاية بغية تحديد الوظائف السردية، وتبيان عواملها وشخوصها النحوية. بمعنى أنه اهتم بالتنظيم المقطعي . فالجديد في كتابه - إذاً- هو تقسيم كل حكاية إلى مقاطع ومتواليات سردية. ولم تكن المقارنة بين هذه الحكايات الفانطاستيكية الروسية قائمة على المعطيات الخارجية، بل كانت تستند إلى وحداتها البنيوية الداخلية .أي: كان بروب أول من استعمل تقنية التقطيع النصي إلى وحدات وفقرات ومقاطع وظيفية.

وقد حدد جان ميشيل آدم (J.M.Adam) خمسة أنواع من المقاطع أو المتواليات النصية التي توجد في خطاب معين هي: المتوالية السردية، والمتوالية الوصفية، والمتوالية الحجاجية، والمتوالية التفسيرية، والمتوالية الحوارية. ويتكون كل مقطع من م لفوظات تركيبية متسقة ومنسجمة ومتتابعة لها وظيفة دلالية ضمن التنظم النصي . وتترابط هذه المقاطع والمتواليات بشكل متسلسل ومتدرج ومتسق. بل يمكن الحديث عن مقاطع

مهيمنة ومقاطع خاضعة، أو مقاطع مدمجة (بكسر الميم) ومقاطع مدمجة (بفتح الميم).

المبحث الثاني: مقاربات لسانيات النص

يمكن الحديث عن مجموعة من المقاربات المختلفة التي اشتغلت على النص والخطاب ، ويمكن حصرها فيما يلي:

المطلب الأول: المقاربة المعجمية

لقد تعاملت هذه المقاربة مع النص في ضوء رؤية دلالية ومعجمية، مستعينة بالإحصائيات والمعطيات الكمية . ويعني هذا أن هذه المقاربة كانت تدرس معاني الكلمات، وتهتم بالحقول الدلالية والمعجمية داخل السياق النصي. وقد اهتمت هذه المقاربة المعجمية بتتبع دلالات الكلمات داخل النصوص بصفة عامة، والخطابات السياسية بصفة خاصة . وقد اتكأت هذه المقاربة على التناول الإحصائي للكلمات المكررة، واستجلاء نسبة تواردها في النص . وقد اهتمت أيضا بالتحليل بالمقومات أو السيمات(Analyse componentielle)، ودراسة العلاقات البنيوية بين الكلمات النصية، والتمييز بين الكلمات الحرفية والكلمات الإيحائية.

المطلب الثاني: المقاربة اللسانية التركيبية

ارتبطت بالتوزيعي الأمريكي هاريس (Harris) الذي حاول أن يدرس النص أو الخطاب وفق المنهج اللساني التوزيعي، باستعمال المكونات المباشرة وغير المباشرة . ويعني هذا أن هاريس كان يدعو إلى تجاوز الجملة نحو النص أو الخطاب أو المقاطع التي يتكون منها ذلك النص. وقد اعتبر النص جملة كبرى تخضع للمقاييس ال لسانية والنحوية نفسها التي تخضع لها الجملة الصغرى .ويعني هذا أن النص يتميز بمستويات عدة : صوتية، وفونولوجية، وصرفية، وتركيبية.

بيد أن هذه المقاربة لم تدرس إلا بعض الظواهر النصية وفق البنيوية التوزيعية. بمعنى أنها كانت مقاربة انتقائية تجز يئية، ولم تكن مقاربة نصية كلية.

وعليه، فهاريس" هو من ابتدع عبارة تحليل الخطاب منذ1952م في مقال له بمجلة (**اللغة**) يحمل عنوان (**تحليل الخطاب**) ترجم إلى الفرنسية في 1969م.وقد قدم في هذه الصياغة تحليلا لتتبع الملفوظ المكتوب أو الشفهي الذي نسميه خطابا .أي: بنية لغوية أكبر من الجملة .ويقترح تطبيق المنهج التوزيعي على هذا البعد (النص مثلا) بطريقة ينبغي توضيح كيفية اشتغالها: " من الممكن ألا نعرف ما يقوله النص بالتدقيق، لكن يمكننا أن نحدد الكيفية التي يقول بها . أي: ما هي الصيغ الا طرادية للصرفيات الأساسية التي تكونه"

إن برنامج هاريس حول تحليل الخطاب غني بمشروعين : التحليل الصوري للنصوص من جهة (وهو ما سيتم تطويره من قبل آخرين تحت

اسم اللسانيات النصية)، والتحليل الاجتماعي للإنتاجات اللفظية .أي: الأخذ بعين الاعتبار المجال الخارج لساني :" من الممكن تصور تحليل الخطاب انطلاقا من صنفين من المشاكل هما في الواقع مرتبطان . يخص الأول منهما مد اللسانيات الوصفية لتشمل أكثر من جملة واحدة في الآن نفسه.ويخص الثاني العلاقات بين الثقافة واللغة (أي بين السلوك غير اللفظي والسلوك اللفظي)[50]."

ويقترح هاريس، في تحليل الخطاب، منهج طبقات التكافؤ (classes d'équivalence) .

" لتكن الملفوظات التالية:

هنا، تسقط الأوراق قرابة منتصف الخريف

هنا، تسقط الأوراق قرابة نهاية الشهر

يحل البرد بعد منتصف الخريف

نبدأ بالتدفئة بعد نهاية شهر تشرين الأول/أكتوبر

نقول: إن منتصف الخريف و نهاية شهر تشرين الأول /أكتوبر متكافئان لأنهما يظهران في المحيط نفسه.والشيء نفسه بالنسبة لـ" يحل البرد ونبدأ بالتدفئة".وتنعت هذه العناصر بكونها تنتمي إلى طبقة التكافؤ نفسها:

" نقول إن عناصر ما (أجزاء نص- صرفيات أو متواليات صرفيات) متكافئة في مابينها إذا كان ت تظهر في محيط لعناصر أخرى مطابقة أو مكافئة لها .كل مجموعة من العناصر المتكافئة في ما بينها تسمى طبقة

[50]- ماري آن بافو وجورج إليا سرفاتي: نفسه، ص:260-261.

تكافؤ.وكل جملة من النص، على التوالي، تمثل بمتوالية من طبقات التكافؤ التي تنتمي إليها أجز اؤها المختلفة. نحصل، إذاً، بالنسبة لكل النص، على جدول بمدخلين اثنين ، المحور الأ فقي ممثلا لطبقات التكافؤ الواردة في جملة واحدة، والمحور العمودي ممثلا للجمل المتعاقبة .إن الأمر لايتعلق بجدول لبنيات الجملة (فواعل، وأ فعال...إلخ)، بل بصيغ ورود طبقات التكافؤ في النص كله"

إن هدف التحليل الهاريسي هو بيان أن الجمل لا تترابط في ما بينها اعتباطا، و أن هناك نحوا لهذا الترابط مختلفا عن نحو اللغة، يستطيع التحليل التوزيعي أن يرصده . وهذا ما بينه الذين جاؤوا من بعده ، بشكل واسع، في الخمسين سنة الأخيرة، سواء كانوا من تيارات أخرى أم قارات أخرى.[51]"

وهكذا، يتبين لنا أ ن الولايات المتحدة الأ مريكية كانت سباقة إلى تحليل النص أو الخطاب بفضل إسهامات هاريس التوزيعية. ومن هنا، فظاهرة" الاهتمام بالوحدات عبرالجملية (Transphrastique).أي: وحدات أكبر من الجملة، هي ظاهرة أمريكية في الأ صل. فاللسانيات الأ وروبية، تشكلت، مبدئيا، بناء على المسلمة السوسيرية المحتقية باللغة والتي كانت نتيجتها، إلى حدود السبعينيات، إبعاد النصوص والخطابات أي الوحدات الأكبر من الجملة . وفي مستهل الخمسينيات أ ثار هاريس قضيتي البعد عبر الجملي وعلاقة الثقافة باللغة التي أعيد تناولها من لدن بيك (Pike) .

[51]- ماري آن بافو وجورج إليا سرفاتي: نفسه ،ص:261.

ويمكن أن نذكر، كذلك، لونغاكر (Longacre) وتنميطه للخطابات عام 1968، وكذا كتاب هاليداي وحسن (Halliday and Hassan) الذي صدر في 1976 تحت عنوان (**الاتساق في الإنجليزية**).

وللألمان ، كذلك، تقليد يخص اللسانيات النصية ، وهو ذو توجه نحوي، ويمثله بيتوفي (petöfi)، ولانج (Lang)، وتومل(Thümmel)،وفينريش(Weinrich) (1973و1989). وهي أعمال شرع في نشرها بفرنسا في بداية السبعينيات.

أما في فرنسا ، فإن مجالي السيميائيات وتحليل الخطاب هما اللذان اهتما بالعمل على مجال الكلام، لكن المحاولات الجادة التي تروم تأمل النص كانت نادرة جدا، وكانت تصدر دوما عن الفلسفة[52]. ويعود الإ عداد النظري الأكثر اكتمالا في اللسانيات حول مفهوم النص إلى سويسرا مع جان ميشال آدم(Jean-Michel Adam) (المولود عام1947) الذي تعد أبحاثه العديدة والمتطورة مرجعا في اللسانيات النصية."[53]

ويبقى هاريس أول من تناول لسانيات الخطاب من منظور توزيعي لساني وتركيبي. في حين، يبقى بروب أول من تناولها من زاوية سيميائية وأدبية.

المطلب الثالث: المقاربـة الفلسفيـة

---

[52] - أعمال بور ريكور (P.Ricoeur)(1986) ، وكومبيت (Combettes)(1983)، ولوندكيست(Lundquist) (1980)، وجاك (Jacques).(1987) ...

[53]- ماري آن بافو وجورج إليا سرفاتي: نفسه، ،ص:311-312.

هناك مجموعة من المحاولات الفلسفية لدراسة النص أو الخطاب وتجاوز نطاق الجملة . بمعنى أن هذه المحاولات وسعت فضاء اشتغال الجملة بالانتقال من حدود الملفوظ أو الجملة الواحدة إلى النص أو الخطاب، باستعمال القواعد نفسها التي طبقت على الجملة ، كما نجد ذلك واضحا عند بول ريكور في كتابه (**من النص إلى الفعل: محاولة هرمينوطيقية**) الذي ألفه سنة 1986م[54]. وقد انطلق فيه من فرضية أساسية مفادها أن الوحدات النصية الكبرى تخضع للتنظيم نفسه الذي يخضع له نظام الجملة. ومن أهم الباحثين الذي تمثلوا المقاربة الفلسفية في دراسة النص أو الخطاب نذكر : ميشيل فوكو في كتابه (**نظام الخطاب**)(1971)[55] ، وكومبيت (Combettes) في كتابه (**من أجل نحو نصي**)[56]،

[54]- Paul Ricœur : **Du texte à l'action. Essais d'herméneutique *II***, Le Seuil, 1986.

[55] -Michel Foucault **:** **L'Ordre du discours**, Paris, Gallimard, 1971, 88 p.

[56] Combettes : **Pour une grammaire textuelle**.Bruxelles : De Boeck – Duclot, 1983.

ولوندكيست(Lundquist) في كتابه(**التحليل النصي**)[57]، وفرنسيس جاك (Jacques) في كتابه (**النصية**)[58].

المطلب الرابع: المقاربـة التلفظيـة

ارتبطت هذه المقاربة بميخائيل باختين(Bakhtine) [59] وإميل بنفينيست (Benveniste)[60]، وتشارلز بالي (Bally)، ور ومان جاكبسون (Jakobson)، وك يبرات أوركشيوني (Orecchioni)[61]، وأوزوالد دوكرو (O.Ducrot) ، وأوتيي (Authier)، وكوليولي(Culioli)[62]، وفرنسيس جاك (F.Jacques)،وهابرماس(Habermas) ، ومدرسة بالو

---

[57] -Lundquist :**L'analyse textuelle**.paris.CEDIC,1983.

[58] - Jacques .F **: De la textualité. Pour une textologie générale et comparée,** Maisonneuve, 2002. Trad. espagnole par P. Jacomet, Santiago 2006.

[59] -Bakhtine **: Marxisme et la philosophie du Langage**, 1929.

[60] -Benveniste : **Problémes de linguistique générale**.Paris.gallimard,1966 et 1974.

[61] - Kerbrat- Orecchioni, C **: L'énonciation.de la subjectivité dans le langage**.Paris :A.Colins, 1980.

[62] - Culioli, A : **Pour une linguistique de l'énonciation**.3tomes.paris : Orphys, 1990-1999.

ألتو (Palo Alto)، ودومينيك مانغونو (Dominique Maingueneau)[63]، وسيرفوني (Cervoni,J)[64]...

و تتعامل هذه المقاربة مع النص على أساس أنه ملفوظ سياقي. وقد اهتمت هذه النظرية بأطراف التواصل ، وعملية التلفظ، وبالمؤشرات أو المعينات اللسانية التي تعبر عن حضور الأطراف التواصلية أو غيابها . كما اهتمت بالمشكلات التلفظية من جهة ، والأسلوب غير المباشر الحر من جهة أخرى. بمعنى أن هذه المقاربة لم تهتم باللغة باعتبلوها مظهرا اجتماعيا ثابتا، بل اهتمت بالملفوظ وعملية التلفظ .أي: بالكلام بدل اللغة. ومن ثم، ربطه بالسياق الاجتماعي . ويعني هذا أن تصور باختين التفاعلي للغة- مثلا- " يستلزم أخذ التلفظ بعين الاعتبار. فالبنسبة إليه لاوجود لدليل لغوي إلا في أدائه الاجتماعي، فالمادية والمثالية يشكلا ن كلا متكاملا . وهو لايميز بين الملفوظ وتلفظه ، فالأمر، بالنسبة إليه، يتعلق بالمعطى الواحد نفسه: أي" الملفوظ - تلفظ" الذي هو صورة- معنى.فكل صورة تحمل معنى، وهذا المعنى محصل من إنتاج اجتماعي . فلاوجود لنسق مجرد أو تعبير فردي، إذ لايمكن فهم اللغة البشرية إلا في ارتباط بالبعد الاجتماعي لأصلها.[65]"

---

[63] - Maingueneau, D **: Les termes clés de l'analyse du discours**.Paris : Seuil, 1966.

[64] - Cervoni, J: **L'énonciation**.Paris:PUF, 1992.

[65]- ماري آن بافو وجورج إليا سرفاتي: نفسه،ص:284-285.

وقد ارتبطت نظرية التلفظ بالذات المتكلمة التي استبعدتها اللسانيات البنيوية (باختين)، وإشارات التلفظ وعلاماته (بنفنست)، و السياق المرجعي الاجتماعي (باختين)، ومفهوم التواصل (جاكبسون)، و التقويم الذاتي والموضوعي (أركشيوني وجاك بسون..)، والبوليفونية التلفظية (دوكرو-أوتيي)، والتلفظ المشترك (كوليولي- هابرماس- بالو ألتو)، والجماعة التلفظية (جاك فرنسيس)، والاندماج واللااندماج (دومنيك مانغونو)، والعمليات التلفظية (كوليولي)، ...

وعليه، " تستلزم المقاربة التلفظية للغة نظرية الذات كذلك، و ذلك لأن سماتها التسجيلية في الملفوظ تشكل موضوع عمل اللساني .فإذا كانت المقاربات البنيوية والتوليدية تتجاهل مسألة الذات ، فإن المنظور التلفظي يجعلها في قلب اللسانيات .إن تصور الذات الكلاسيكية .أي: الذات المستقلة التي تصوغ أفكارها في كلمات، والمتمكنة من مضمون كلامها ومن الصور اللغوية قد تم تقويضه تماما.

تعد الذات المتكلمة، منذ العشرينيات، ومع باختين تحديدا، ذاتا مرتبطة بمحيطها، باستبطانها لمعايير وأشكال خطابية خارجية عنها، لكنها تشكلها.

إن التلفظ ، إذاً، هو الموضع الحق للكلام، الذي يعرف باعتباره تفاعلا شفهيا:" إن المادة الحقة للغة لاتتكون لامن نسق مجرد لصور لغوية ولا من تلفظ- حوار داخلي معزول، ولا من الفعل النفسي- الفزيولوجي

لإنتاجه، ولكنها تتكون من الظاهرة الاجتماعية للتفاعل الشفهي المحققة عبر التلفظ والتلفظ""[66]

وعليه، لم يدرس بنفنست التلفظ في إطاره الخطابي، بل كان يقف عند حدود الجملة، ولم يتعداها إلى الملفوظ النصي أو الخطابي . بمعنى أن مقاربة بنفنست للجملة مقاربة تلفظية نحوية ودلالية .أما دراسة الخطاب، فلم تتحقق إلا مع لسانيات النص في سبعينيات القرن الماضي ، بتجاوز الملفوظ نحو النص أو الخطاب . لكن لسانيات النص قد استفادت ، بطبيعة الحال، من نتائج نظريات التلفظ بشكل كبير.

المطلب الخامس: المقاربة التداولية

ليس النص الأدبي - حسب هذه المقاربة- مجرد خطاب لتبادل الأخبار والأقوال والأحاديث، بل يهدف - عبر مجموعة من الأقوال والأفعال الإنجازية- إلى تغيير وضع المتلقي، وتغيير نظام معتقداته، أو تغيير موقفه السلوكي من خلال ثنائية افعل ولاتفعل[67]. ويعني هذا أن الخطاب أو النص الأدبي، في مفهوم التداوليات التحليلية التي ظهرت في سنوات الخمسين من القرن العشرين مع أوستين، كما في كتابه (**نظرية أفعال الكلام**) (1962م)[68]، وسورل في كتابه (**أفعال اللغة**) (1969م)[69]،عبارة عن

---

[66]- ماري آن بافو وجورج إليا سرفاتي: نفسه،ص:284-285.

[67] - Catherine kerbrat-Orrecchioni: **Enonciation de la subjectivité dans le langage**, Paris, Armond Colin, 1980, p: 181.

[68] - J.L.Austin: **Quand dire, c'est faire**, Editions du seuil, Paris, 1970.

أفعال كلامية تتجاوز الأقوال والملفوظات إلى الفعل الإنجازي ، والتأثير الذي يتركه ذلك الإنجاز . ومن هنا، تنبني نظرية الأفعال الكلامية على ثلاثة عناصر رئيسة هي : أولا، فعل القول ، ويراد به إطلاق ألفاظ في جمل مفيدة سليمة التركيب، وذات دلالة، تحمل في طياتها حمولات قضوية وإخبارية. ومن هنا، تشتمل على مستوى صوتي وتركيبي ودلالي، مثل: " **أشكرك ياعلي** ". وثانيا، الفعل المتضمن في القول : وهو الفعل الإنجازي، وهو يحدد الغرض المقصود بالقول، كصيغة الأمر في هذه الجملة:" **انتظري اللحن الجديد** ". وثالثا، الفعل الناتج عن القول، وهو ما ينتج عن القول من آثار في المخاطب إثر فعل القول، كإقناع المخاطب، وحثه، وإرشاده، وتوجيهه، أو تضليله ...وتحضر هذه المستويات الثلاثة للفعل الكلامي جميعها في الوقت ذاته، و بدرجة متفاوتة، هي التي تجعل هذا الفعل الكلامي كاملا.

علاوة على ذلك، يميز أوستين بين الجمل الخبرية والجمل الإنجازية، وتتنوع هذه الأقوال الإنجازية إلى أقوال ظاهرة وأقوال مضمرة . فالأقوال الإنجازية قد تكون لها قوة حرفية ، مثل : الاستفهام، والتمني، والأمر ... وقد تكون لها قوة إنجازية حوارية وسياقية، مثل : الالتماس، والإرشاد، والتهديد، والتحسر، ...

---

[69] - John R.Searle: **les actes de langage**, Collection, savoir Herman, Paris, 1972.

ويعني هذا كله أن الفعل الكلامي ينقسم إلى ثلاثة أنواع : فعل القول، والفعل المتضمن في القول، والفعل الناتج عن القول . وقد لايدل الفعل المتضمن في القول على دلالته المباشرة، بل يفيد معنى إنجازيا آخر غير مباشر يحدده سياق القول . بتعبير آخر ، للجملة الواحدة ثلاثة مستويات : محتواها القضوي، وهو مجموع معاني مفرداتها ؛ والقوة الإنجازية الحرفية، وهي قوة مدركة مقاليا ؛ والقوة الإنجازية المستلزمة التي تدرك مقاميا. ويعني هذا أن أوستين يربط الأقوال بالأفعال، والمقال بالمقام . فأن نقول كلاما، يعني أننا ننجز فعلا.

ومن هنا، تنبني نظرية الأفعال الكلامية على فعل القول (قول شيء ما) الذي يتخذ مظهرا صوتيا وتركيبيا ودلاليا ؛ والفعل المتضمن في القول (إنجاز فعل معين ضمن قول ما)، وقد يكون فعلا مباشرا أو غير مباشر ؛ والفعل الناتج عن القول (الآثار المترتبة عن قول شيء ما). ويتميز الفعل الكلامي بالمطابقة مع الواقع والسياق، والتعبير عن حالة نفسية، والقدرة على الإنجاز، واختلافه باختلاف منزلة المتكلم من المتلقي، والاختلاف في أسلوب الإنجاز، واختلاف القوة الإنجازية...[70]

ويمكن تقسيم أفعال الكلام - حسب مايقصد بها من أغراض إنجازية- إلى :

1- **التقريريات**: وتفيد تأكيد المتكلم بعض الوقائع والأحداث في الواقع الخارجي، مثل: " إنني كاتب وناقد وفيلسوف".

---

[70] - راجع: جون أوستين **: نظرية أفعال الكلام العام** ، ترجمة : عبد القادر قينيني، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى سنة 2006م.

2- **الطلبيات أو الأمريات** : وتحضر في توجيه المتكلم طلبا للمخاطب لإنجاز فعل ما ، مثل: " هل سيسافر أحمد غدا؟ "، و " اخرجوا كلكم من مدرج الكلية".

3- **البوحيات أو الإفصاحيات**: تعبر عن الحالة النفسية للمتكلم، مثل:" أحب أن أراك سعيدا"، و" مللت الانتظار".

4- **الوعديات**: تفيد التزام المتكلم بإنجاز فعل في الزمان المستقبل ، مثل:"أعدك بسفر رائع إلى مصر".

5- **التصريحات**: ويقصد بها إعلان المتكلم عن إنجاز فعل يفيد تغييرا مرتقبا على مستوى العالم الخارجي، مثل:" أعلن أيها الحضور الكريم عن برنامجي الانتخابي قريبا".

وعليه، يعمد الناقد في المقاربة التداولية ، حين التعامل مع النص الأدبي، إلى استخلاص الأفعال الكلامية، وتصنيفها إلى الأفعال القضوية، والأفعال الإنجازية الخبرية، والأ فعال السياقية، وتصنيف الجمل الأدبية حسب سياقها ومقامها الوظيفي والتداولي والمقصدي.

المطلب السادس: البلاغة الجديدة أو المقاربة الحجاجية

تأسست البلاغة الجديدة أو البلاغة الحجاجية منذ 1958م مع رجل القانون الشيكي شايم بيرلمان (Chaïm *Perelman*)، و اللسانية

البلجيكية لوسي أولبريخت تيتيكا (Lucie Olbrechts-Tyteca)[71] ، حين أصدرا معا كتابهما (**الوجيز في الحجاج : البلاغة الجديدة**)[72]. وقد تبلورت هذه البلاغة أيضا مع ستيفان تولمان (Stephen Toulmin)، في كتابه (**استعمالات الدليل أو الحجة**)[73]، وشارل هامبلان (Charles Hamblin) في كتابه (**الأوهام**)[74]...

وعليه، فثمة نوعان من الحجاج: حجاج عاد عند البلاغيين الجدد، يستعمل آليات وتقنيات بلاغية ومنطقية .أي: مجمل الإستراتيجيات التي يستعملها المتكلم من أجل إقناع مخاطبه . وفي هذا المجال، لقد ارتبطت البلاغة الجديدة بالحجاج ارتباطا وثيقا ، فاستعملت تقنيات البلاغة في عملية

---

[71] - Chaïm Perelman et Lucie Olbrechts-Tyteca **: Traité de l'argumentation : La nouvelle rhétorique**, Presses Universitaires de France, Paris, 1958.

[72] - Chaïm Perelman et Lucie Olbrechts-Tyteca : **Traité de l'argumentation : La nouvelle rhétorique,** Bruxelles, Editions de l'Université de Bruxelles, 2009 .Et **Le Champ de l'argumentation**, Bruxelles, Editions de l'Université de Bruxelles, 1969.

[73] - S.TOULMIN **: The Uses of Argument** (Cambridge, Cambridge University Press, 1958), Trad., Les Usages de l'argumentation (Paris, PUF, 1992). Voir aussi la dernière version« Updated » en anglais de 2003.

[74] - C. L. HAMBLIN: **Fallacies** (London, Methuen, 1970), rééd. (Newport, VA, Vale Press, 1986).

الإفهام والإقناع، وقد اهتم بها كل من بيرلمان (Perelman) وتيتيكا(Tyteka) في كتابهما(**الوجيز في الحجاج: البلاغة الجديدة**). وقد ركز بيرلمان كثيرا على مبدأين رئيسين هما: القصد والمقام. ويمكن الاستفادة من هذا التصور الحجاجي التقليدي، حيث يساعدنا على" اكتساب خبرة منهاجية دقيقة في تحليل نصوص ذات طبيعة حجاجية قوية كالنصوص القضائية والسياسية والفلسفية ، بناء على تصور تفاعلي بين الذات المتكلمة والمخاطبين. وعلى الرغم من مميزات هذا التصور، فإنه يقصر الحجاج على بعض التقنيات والآليات البلاغية والمنطقية، وهو ما يدفعه إلى تقسيم الخطابات إلى خطابات حجاجية ذات طبيعة إقناعية، كالمناظرات والمجادلات الدينية والفلسفية والسياسية والقانونية، وأخرى غير حجاجية . بينما يتبنى التصور التقني للحجاج تقسيما آخر تصير بمقتضاه كل الخطابات المختلفة التي تستعمل لسانا طبيعيا خطابات حجاجية بدرجات مختلفة."[75]

والغرض من الحجاج - كما هو معروف- هو الاقتناع. ومن ثم، فالحجاج فعالية تداولية جدلية دينامكية فعالة ، تستلزم وجود أطراف تواصلية بينها قواسم حجاجية مشتركة، إذ يمتلك المرسل الخطيب مؤهلات معرفية وأخلاقية كفائية، ويستعمل في حجاجه اللوغوس الاستدلالي بغية إقناع الآخر، ولو باستعمال خطاب الأهواء والانفعالات . ولا يعتمد الحجاج عند

[75] - رضوان الرقبي: (الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله)، **مجلة عالم الفكر**، الكويت، العدد2، المجلد 40، أكتوبر- ديسمبر 2011م، ص:85.

بيرلمان على العنف أو التضليل أو التوهيم، بل غرضه هو بناء الحقيقة عن طريق الحوار البناء والاستدلال الذي قد يكون ذهنيا و هوويا انفعاليا . بمعنى أن الحج اج عند بيرلمان ليس قائما على الإ قناع بالفرض والقوة والعنف، بل هو قائم على الاقتناع الذاتي.

وعليه، فقد ارتبطت لسانيات النص بدراسة شروط إنتاج النص أو الخطاب، وتحديد سياقات ال تواصل، ومعرفة أنواع النصوص وأنماطها وأصنافها.

المطلب السابع: المقاربات النحوية للنصوص

يقصد بأنحاء النصوص (grammaires de textes) تلك الأنحاء التي تجاوزت البنيوية اللسانية والتوليدية التحويلية لنوام شومسكي لكونها توقفت عند الجملة، ولم تتخطاها إلى النصوص والخطابات. وترتبط هذه المقاربة بالهولندي فـان ديك (Van Dijk). ومن ثم، تهتم هذه الأنحاء بكيفية انبناء النص، مع اقتراح نماذج معينة لذلك.

وقد ركز فان ديك على اتساق النص وانسجامه . ويعني هذا أنه لم يهتم بترابط النص لغويا وخطيا وظاهريا فحسب، بل اهتم كذلك بتنسيق النص وانسجامه معنويا وضمنيا . ويشاركه في هذا التصور بعض الوظيفيين التداوليين ، مثل : ميخائيل هاليداي (Michael Halliday) الذي اهتم بالنظام التواصلي الدينامي، واهتم أيضا بالمعلومة القديمة (الموضوع)

والمعلومة الجديدة (الخبر) ، مع تبيان دورهما في التواصل السياقي الوظيفي من جملة إلى أخرى. وقد استعانت هذه المقاربة الوظيفية بمفاهيم نوام شومسكي ، مثل: الكفايتي النصية، والبنية العميقة النصية.

المطلب الثامن: المقاربة السيميوطيقية

تبلورت هذه المقاربة في سنوات السبعين مع كريماص (Greimas)، وجوزيف كورتيس (J.Courtés)، وكلود بر يمون(C.Bremond)، ورولان بارت(R.Barthes)،وجماعة أنتروفيرن(G.Entrouvernes)، ومدرسة باريس (Ecole de Paris)، وجاك فونتاني (J.Fontanille)، وجوليا كريستيفا (Julia Krestiva)، وجيرار جنيت (Genette)، وهودبين(Houdebine)...ولا ننسى كذلك السيميولوجيا التي تعنى بالتحليل النصي للإنتاجات الشفوية كما عند غريس (grize) وبوريل (Borel)...

وقد اهتمت هذه المقاربة بتفكيك الخطاب السردي في ضوء مجموعة من البنى اللسانية؛ مثل: البنية العميقة، والبنية السطحية، وبنية الظاهر . ومن ثم، فقد دعت السيميوطيقا السردية إلى تجاوز الجملة للتوقف عند ا لنص البنيوي المحايث، بتطبيق مبادىء اللسانيات السوسيرية وآليات التوليدية التحويلية على النص المعطى.

وعليه، يقوم النموذج السيميوطيقي على دراسة النص أو الخطاب انطلاقا من المستوى الظاهري أولا، ومقاربته على مستوى السطح ثانيا، وتحليله على مستوى العمق ثالثا، بتقط يع النص إلى مقاطع سردية مرقمة بشكل

متسلسل، أومعنونة بتيمات دلالية ووحدات وظائفية في شكل تواردات تشاكلية. وبعد ذلك، يتم تقطيع المقطع السردي إلى ملفوظات سردية متعاقبة في شكل جمل وعبارات سردية، فتدرس في ضوء المكون السردي من جهة، والمكون الخطابي من جهة أخرى . ومن ثم، ننتقل إلى المستوى الدلالي والسيميولوجي بدراسة السيمات النووية والسيمات السياقية، وتحديد التشاكل السيميولوجي والدلالي . وبعد ذلك، يحدد المستوى المنطقي باستحضار المربع السيميائي، واستخلاص علاقاته الثاوية، واستجلاء عملياته المضمرة.

المطلب التاسع: المقاربة اللسانية الاجتماعية

يمكن الحديث عن مقاربات لسانية أخرى تندرج ضمن لسانيات النص أو الخطاب، نذكر منها ، على سبيل الخصوص، "اللسانيات الاجتماعية"، أو " علم الاجتماع اللغوي "، أ و " علم اللغة الاجتماعي " ، أو "السوسيولسانيات"، أو" اللسانية الاجتماعية"...

هي مسميات اصطلاحية مختلفة لعلم يدرس اللغة في ضوء علم الاجتماع، أو يربط الملفوظ اللغوي بسياقه التواصلي والاجتماعي والطبقي.

ومهما تعمقنا في الفوارق الموجودة بين اللسانيات وعلم الاجتماع اللغوي ، فلانجد فرق كبيرا بينهما؛ لأن هدفهما واحد يتمثل في التواصل، والارتباط

بالسياق الاجتماعي. وأكثر من هذا تصبح اللغة حدثا اجتماعيا بامتياز. لذا، فاللسانيات ، في الحقيقة، هي اللسانيات الاجتماعية.

وتعنى اللسانيات الاجتماعية بدراسة الوظيفة الاجتماعية للغة .أي: تدرس التبدلات الاجتماعية للغة في علاقتها بالمتكلمين الناطقين ، من حيث السن، والجنس، والفئة الاجتماعية، والوسط ، والمستوى المهني، والمستوى التعليمي؛ وتحليل العلاقة القائمة بين اللغة والممارسات الاجتماعية (العائلية، والدراسية، والوظيفية ...)؛ ثم تفسير الوظيفة الاجتماعية للغة؛ والاهتمام بقضايا لغوية واجتماعية كبرى تتعلق باللغة الأم، وموت اللغات، وعلاقة اللغة باللهجة والفصيلة، والثنائية والتعددية اللغوية، والأنظمة اللغوية المركبة والمعقدة، وتدبير التعدد اللغوي، والسياسات اللغوية ، والتخطيط اللغوي...[76]

وإذا كانت اللسانيات البنيوية السوسيرية تهتم بدراسة اللغة في حد ذاتها، فإن اللسانيات الاجتماعية تدرس الكلام أوالتلفظ في علاقته بالسياق التواصلي الاجتماعي. وهذا له علاقة وطيدة بلسانيات التلفظ عند باختين، وبنفنست، ودوكرو، وأوريكشيوني، ومانغونو، وآخرين...

وتنبني المقاربة اللسانية الاجتماعية على مجموعة من المرتكزات تتمثل في: المكان الجغرافي، والعمر، والجنس، والأصل الاجتماعي، وسياقات استعمال اللغة . لذا، أثبت العالم الاجتماعي الأمريكي وليام لابوف

[76]- عبد الكريم بوفرة: **علم اللغة الاجتماعي، مقدمة نظرية،** مطبوع جامعي، جامعة محمد الأول، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، وجدة، المغرب، الموسم الجامعي، ص:11.

(William Labov) صعوبة فصل اللغة عن المكون الاجتماعي الأساسي فيها. ومن ثم، أشار إلى أهمية ربط بنية اللغة من اللغات بالسياق الاجتماعي العام الذي تنشأ فيه تلك اللغات، لدرجة استبعد فيها أي إمكانية للفصل بين اللسانيات وعلم اللغة الاجتماعي .وإذا كانت اللغة ظاهرة اجتماعية، فإن اللسانيات ذات بعد اجتماعي[77].

و " قد انتقد وليام لابوف كثيرا نظرية نوام شومسكي القائمة حسب رأيه على فكرة مثالية عن اللغة باعتبارها ملكا للفرد والمتلكم باللغة. ومرد هذا النقد اعتبار لابوف للغة الإنسانية وسيلة اجتماعية في التواصل؛ مما يجعلنا أمام نظرية مادية لوظيفة اللغة الإنسانية داخل المجتمع .فالمهم بالنسبة إليه هو اللغة داخل المجموعة اللسانية المتكلمة بها، وليس اللغة كما هي على لسان الفرد."[78]

ويعني هذا أن اللغة - حسب نوام شومسكي- ذات طبيعة عقلية وفردية وراثية. في حين، ترى اللسانيات الاجتماعية أن اللغة ظاهرة اجتماعية مكتسبة.

وقد ظهرت اللسانيات الاجتماعية رد فعل على اللسانيات البنيوية المغلقة على ذاتها إبان سنوات الخمسين والستين من القرن الماضي، ورد فعل على اللسانيات التوليدية التحويلية لنوام شومسكي التي كانت تنادي إلى نحو كلي كوني وعالمي، مشيدة بدور الفرد المتكلم، معتمدة في ذلك على

---

[77]- عبد الكريم بوفرة: **علم اللغة الاجتماعي، مقدمة نظرية،** ص:13.

[78]- عبد الكريم بوفرة: نفسه، ص:16.

قواعد مثالية مجردة افتراضية وصورية ، بعيدا عن الواقع والسياق التواصلي.

ويبدو التصور اللساني الاجتماعي واضحا عند ويليام لابوف (Labov) الذي كان يشتغل على المحكي الشفهي بشكل خاص، وكذا عالم الاجتماع الأمريكي غوفمان (Goffman) الذي كان يعنى بالمحادثة الحوارية.

ولعل هذا التصور هو الذي قاد للحديث عن مستويات مختلفة في صلتها بالتغييرات التي تطرأ على اللغة داخل المجتمع، وهي على أربعة أصناف:

❶تغييرات تاريخية مرتبطة بعامل الزمن.

❷تغييرات مكانية تتصل بالتوزيع الجغرافي للغة، وبحسب المناطق والجهات.

❸تغييرات ذات صلة بأشكال استعمالات اللغة ومستوياتها بالنظر إلى الطبيعة الاجتماعية- الاقتصادية للناطقين بتلك اللغة

❹تغييرات يتحكم فيها السياق الاجتماعي، ما يضعنا أمام سجلات مختلفة للغة مرتبطة بمناسبة الحديث والمستوى الثقافي للمتلكم اللغوي[79]."

ويمكن الحديث أيضا عن الطبقات اللغوية في علاقتها بالطبقات الاجتماعية، والتمييز بين الجملة المعيارية والجملة الشعبية . كما تحدث شارل فيركسون (Charles Ferguson) عن مستويين من اللغة :

[79]- عبد الكريم بوفرة: نفسه، ص:14.

المستوى العالي(العربية الفصحى - مثلا-)، والمستوى المتدني (العاميات واللهجات المتفرعة عن العربية الفصحى- مثلا-).

وقد اعترف أندري مارتيني (A.Martinet) ، في نهاية مشواره العلمي، بأن اللغة فعل اجتماعي بامتياز، وأن اللسانيات كلها هي لسانيات اجتماعية [80]. وسار في الاتجاه نفسه ديل هيمس (Dell Hymes) (1927-2009)" الذي جعل ما أسماه الملكة التواصلية أساس التصور القائم على ربط اللغة بمحيطها الاجتماعي، وذلك وفق نموذج أطلق عليه تسمية: S.P.E.A.K.I.N.G

ويمكن هذا النموذج من استيعاب أشكال الت غيير الثقافية الحاصلة في الأنساق التواصلية عامة . فنحن أمام نموذج يتيح لنا إمكانية مقارنة دور الخطاب داخل مجتمعات بشرية مختلفة "[81].

ويتكون هذا النموذج من العناصر الأساسية التالية:

❶ الإطار (المكان، والزمان، وأجواء الخطاب)؛

❷المشاركون (الشخصيات الحاضرة والمتفاعلة)؛

❸الأهداف(هدف اللقاء)؛

❹ الأفعال أو المنتوج(الرسائل)؛

❺الإيقاعات (الصوت، والنغمة ، وإيقاع الرسائل...)؛

---

[80] - عبد الكريم بوفرة: نفسه، ص:18.

[81]- عبد الكريم بوفرة: نفسه، ص:18.

❻الوسائل التواصلية (اللغة المنطوقة، واللغة المكتوبة، واللغة المنشودة والمغناة،..)؛

❼المعايير (المثاقفة والتناص والحوارية...)؛

❽الأجناس أو أنواع الخطاب (الحكايات، والتاريخ، والملاحم، والمآسي...).

واعتمادا على هذه المرتكزات التي تربط البنية اللغوية بسياقها الاجتماعي والتواصلي، يصعب الفصل بين اللسانيات أو سياقها كما يقول فيليب بلانشي(Philippe Blanchit)[82].

ويعتبر أنطوان مييي (Antoine Millet)(1857-1936) ؛ تلميذ فرديناند دوسوسير (F.De.Saussure)، من اللغويين الفرنسيين الأوائل الذين تحدثوا عن الطابع الاجتماعي للغة، وقد اعتبر اللغة حدثا اجتماعيا، متأثرا في ذلك بإميل دوركايم (Emile Durkheim). وقد أثبت أن الدراسة اللسانية الحقيقية هي التي تجمع بين ماهو س انكروني وماهو دياكروني .أي: بين ماهو لغوي وماهو اجتماعي تاريخي تطوري، ضمن نظام متكامل يجمع بين اللغة وظواهر المجتمع.

وهناك باحثون آخرون تبنوا المنظور الماركسي في تحليل اللغة بربطها بالمجتمع، كما عند ماركس، وأنجلز، ومارسيل كوهن (Marcel

---

[82] - Philippe Blanchit : *[Avec Calvet, L.-J. et Robillard, D. de],* ***Un siècle après le Cours de Saussure, la Linguistique en question***, Paris, L'Harmattan, 2007.

Cohen)، وبول لافارج (Paul Lafarge) الذي درس اللغة الفرنسية في علاقتها بالثورة الفرنسية، ورصد مختلف التغييرات اللغوية والمعجمية التي نتجت عن تلك الثورة.

وهناك باحثون آخرون في هذا الاتجاه، مثل : ميخائيل باختين، ورومان جاكبسون، ونيكولاي مار (Nicolaï Marr) الذي كان يدعو إلى لغة عالمية واحدة؛ مثل : اللغة الاصطناعية (الإسبيرانتوEspéranto) . وقد قسم هذا الباحث الروسي اللغات ، من حيث نشأتها التاريخية، إلى أربع مراحل حسب المقاطع الصوتية الأربعة التي كان يستعملها الكهنة والسحرة (Sal,Ber,Yôn,Roch)

المرحلة الأولى: اللغة الصينية واللغات الأفريقية؛

المرحلة الثانية: اللغات الطورانية واللغة التركية؛

المرحلة الثالثة: اللغات القوقازية واللغات الحامية؛

المرحلة الرابعة: اللغات الهند-أوروبية واللغات السامية.

ويعتبر كل مرحلة من هذه المراحل اللغوية دلالة على تقدم معين . وتحمل هذه النظرية ، في جوهرها، رؤ ية عنصرية ماركسية هدفها توحيد اللغات ضمن لغة واحدة، والقضاء على الأخرى، كالقضاء على الصراع الطبقي ووجود الدولة . وقد تحولت النظرية الماركسية للغة ، في الاتحاد السوفياتي، إلى (**النظرية اللسانية الجديدة**)، واستمرت إلى غاية سنوات الخمسين من القرن الماضي.

وقد انتشرت اللسانيات الاجتماعية في الولايات المتحدة الأمركية بشكل لافت للانتباه ؛ بسبب تواجد الكثير من الجاليات الأجنبية . ومن ثم، فقد ارتبطت بمجال التربية والتعليم ارتباطا وثيقا، كما عند بازيل برنشتاين (Basil Bernstein) الذي تحدث عن شفرتين لغويتن اجتماعيين متقابلتين: لغة ضيقة ومفككة وضعيفة عند أبناء الفقراء، ولغة غنية وموسعة عند أبناء الأغنياء.وفي هذا الصدد، يقول عبد الكريم بوفرة:"انتبه برنشتاين إلى العلاقة المباشرة بين الإنتاجات اللغوية الواقعية وبين الوضعية الاجتماعية للمتكلمين أو الناطقين اللغويين . وانطلق من ه ذه الملاحظة لكي يصل إلى استنتاج عام، مفاده أن أبناء الشرائح الاجتماعية المتواضعة يعرفون نسب فشل دراسي أكبر من أولئك المنتمين إلى طبقات اجتماعية مستقرة ماديا . ويتميز هذا التفاوت بالفرق بين نظامين لغويين اثنين: واحد ضيق، والآخر متسع...

ولمعرفة حجم الفرق بين النظامين أعلاه تم إخضاع تلاميذ المستويين الاجتماعيين المختلفين لتجربة مثيرة للاهتمام. فقد طلب منهم التعليق كتابة على مجموعة من الرسوم المتحركة الصامتة. فماذا كانت النتيجة؟

كان جواب الفئة الأولى (تلاميذ الطبقة الاجتماعية المتواضعة) على الشكل التالي:

" هم يلعبون بالكرة، قذف، تكسر الزجاج..."

بينما كان تعليق الفئة الثانية (تلاميذ الطبقة الغنية) بهذا الأسلوب:

" كان الأطفال يلعبون بالكرة، قذف واحد منهم الكرة، ومرت عبر النافذة، وكسرت الزجاج..."

ويكمن الفرق بين النظامين في شكل التعبير من الناحية اللغوية، أي من حيث قواعد النحو والتركيب أولا. ففي الحالة الأولى، نجد جملا قصيرة ، تفتقر إلى ضمائر الربط مع معجم محدود جدا .لذا، يجد أولئك التلاميذ صعوبة كبرى في التعبير. فهم عاجزون عن التعلم، وعن رؤية العالم.

وهذا يعني أن التعلم والتنشئة الاجتماعية تنشأ في الأسرة، وليس في المدرسة."[83]

وقد ساهم عالم اللغة الاجتماعي الأمريكي ويليام بريت (William Bright) في ربط الهوية الاجتماعية للمتكلم بالهوية الاجتماعية للمتلقي، ضمن سياق لغوي تواصلي معين . ومن ثم، فقد استعمل ثلاثة مفاهيم : (الملقي، والمتلقي، والسياق).

فضلا عن ذلك اهتم علماء آخرون بدراسة المدينة باعتبارها فضاء للتطاحن اللغوي، اعتمادا على منهج وصفي قائم على الملاحظة، والتتبع، والاستقراء، والمسح، والمعايشة. ويسمى هذا عند الباحث الفرنسي جان لويس كالفي (Louis- jean Calvet) باللسانيات الاجتماعية الحضرية أو باللسانيات الاجماعية المتعلق ة بالمدينة (Sociolinguistique urbaine ou linguistique de la ville)

---

[83]-عبد الكريم بوفرة: نفسه، ص:24-25.

ويعني هذا أن اللسانيات الاجتماعية الحضرية تدرس اللغة الحضرية بالتركيز على الأسئلة التالية: (من يتكلم؟ ماذا؟ مع من؟ متى؟ أين؟ لماذا؟ ولماذا؟)

وهكذا، يبدو لنا أن هذه اللسانيات الاجتماعية، ولا سيما الحضرية منها، جاءت رد فعل على النحو الكلي عند نوام شومسكي الذي يؤمن بلغة واحدة، وإنجاز لغوي واحد . في حين، تؤمن اللسانيات الاجتماعية بتعدد الألسنة واللغات .

وخلاصة القول، تهتم اللسانيات الاجتماعية بدراسة احتكاك اللغات، ورصد الدخيل والتداخل والخلط اللغوي، ودراسة البوليفونية، ومقاربة الأسلبة والتنضيد والتهجين اللغوي، ومناقشة الثنائية والتعددية اللغوية، ومعرفة علاقة اللغات باللهجات . فضلا عن الاهتمام بتصحيح اللغة، وجودة اللغة، وتقعيد اللغة، والأمان اللغوي، والتلوث اللغوي، والسياسة اللغوية، والتخطيط اللغوي ...أي: دراسة اللغات في علاقتها بالأفراد، والمجتمعات، والمؤسسات.

وقد تجاوزت اللسانيات الاجتماعية مثالية اللسانيات السوسيرية والشومسكاوية القائمة على الاستنباط والطابع الافتراضي الصوري المجرد ، بالانتقال إلى الطابع التجريبي الاستقرائي الميداني والمختبري.

المطلب العاشر: المقاربـة المنطقيـة

ظهرت مقاربات شكلية ومنطقية صورية ومجردة تعنى بدراسة انبناء النص، وتبيان قواعد ذلك إبان سنوات التسعين من القرن الماضي . ومن

أهم النماذج في هذا المجال (**نظرية تمثيل الخطاب** / « théorie de la représentation du discours » (D.R.T.)) التي تشكلت مع هانز كامب (Hans Kamp)، وقد عرفت هذه النظرية ، حاليا، تطورات مختلفة، منها (**نظرية تمثيل الخطاب المقطعي** / « théorie de la représentation du discours segmentée » (S.D.R.T.).

المطلب الحادي عشر: المقاربة الرافضة للسانيات النص

هناك مجموعة من اللسانيين الذين ينتقدون لسانيات النص موضوعا، وعلما، ومنهجا، وتخصصا . ولايرون فرقا بين لسانيات النص ولسانيات الجملة أو الملفوظ. إذ تستعمل لسانيات النص الأدوات نفسها التي تستعلمها لسانيات الجملة في فهم الخطاب وتأويله وتفسيره . ومن ثم، ليس هناك ما يميزها أو يخ صصها عن لسانيات الجملة . ومن القائلين بهذا الرأي الانتقادي الرافض والعدمي، آن ريبول (Anne Reboul)، وجاك موشلير(Jacques Moeschler)، ودان سبيربر (Dan Sperber)، ودايرد ويلسون (Deirde Wilson)...

المطلب الثاني عشر: المقاربة الحاسوبية

تتعامل هذه النظرية مع النص عل ى أساس رقمي وحاسوبي، مستلهمة نظرية الذكاء الاصطناعي . بمعنى أنها تتوسل باللسانيات الحاسوبية لمعرفة الكيفية التي تتولد بها النصوص عمقا وسطحا، وكيف تبنى خطابيا مقارنة بالنصوص الآلية والرقمية والذكائية. وهنا، يمكن التعامل مع النص

على أنه " جهاز يتوفر على عمليا ت وإواليات الفهم، قابل لأن يتلقى معطيات، ويعالجها وفق تلك العمليات والإواليات، ومن ثم قد يكون نظام الفهم إنسانا أو حاسوبا او إنسانا من المريخ..."[84]

وخلاصة القول، تلكم - إذاً- نظرة مختصرة إلى نشأة علم لسانيات النص، وتطورها في الحقل الثقافي الغربي . وقد تبين لنا أن علم النص - حسب الباحثة ثناء سالم- قد يعني " النص وصياغاته ، وصفات التوظيف الاتصالي للنصوص.وظهر هذا الفرع اللساني المعرفي في النصف الثاني من الستينيات، والنصف الأول من السبعينيات، وازدهر ازدهارا كبيرا، منطلقا من أن وحدة التحليل هي النص ، وليس الجملة ك ما كان سائدا في مناهج التحليل، فما النص غير تواشج الأ لفاظ والبنى النحوية متضافرين معا. ويعني في اللاتينية (Textus) النسيج أو الأسياخ المضفرة، من الفعل اللاتيني (texere) نسج أو جدل.

والنص بما فيه من م رتكزات وتوقعات ومعارف و إيديولوجيات تمثل سياق الموقف (Context)، وتركيب داخلي للنص (سياق البنية (Co-Text).يعتبر وحدة مركبة موظفة للاتصال؛ سواء أكان هذا الاتصال لإبلاغ معلومة، أم للتعلم، أم لإصدار تعليمات، أم للإقناع..."[85]

---

[84]- محمد خطابي: **لسانيات النص**، المركز الثقافي العربي، الدارالبيضاء، المغرب، الطبعة الأولى سنة 1991م، ص:79.

[85]- ثناء سالم : **دراسات تطبيقية في اللسانيات المعاصرة**، الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى سنة 2008م، ص:15.

وعليه، إذا كانت اللسانيات تتعامل مع الجملة باعتبارها منطلقا للدراسة والتحليل، سواء أكان ذلك في منظور البنيوية السوسيرية، أم في منظور البنيوية الوظيفية، أم في منظور الكلوسيماتيكية لهلمسليف، أم في منظور التوزيعية (بلومفيلد، وهوكيت ...)، أم في منظور التوليدية التحويلية مع نوام شومسكي، فإن ثمة مقاربات منهجية أخرى تتجاوز الجملة لدراسة الخطاب والنص، وخاصة لسانيات النص واللسانيات الوظيفية كما عند فان ديك - مثلا- في كتابه(**النص والسياق**) (1977م)[86]، وهاليداي وحسن رقية في كتابهما(**الاتساق في اللغة الإنجليزية**) (1976م). ويعني هذا أن التداوليات النصية ، بصفة خاصة، قد تعاملت مع الخطاب باعتباره كلية عضوية متسقة ومنسجمة، بل اعتبرته جملة نصية كبرى، يمكن التعامل معها كالتعامل مع الجملة اللسانية . ونجد هذا هذا التصور النصي والخطابي كذلك عند إميل بنيفنست، وهاريس، ورومان جاكبسون، والسيميائيين (كريماص)، والتأويليين (بول ريكور)، و الفلاسفة، والمناطقة، والحاسوبيين، وأعضاء جمالية التلقي (ياوس وآيزر)...

وبناء على ماسبق، تتعامل لسانيات النص مع النص الأدبي باعتباره خطابا وملفوظا لغويا ذا كلية عضوية، سواء أكان ذلك الخطاب شفويا أم كتابيا، حيث ترتبط ملفوظاته بالوظيفة، والسياق المقامي، والأداء الإنجازي، وتدرس مكوناته التلفظية السياقية، وروابطه الحجاجية المنطقية وغير

---

[86] - فان ديك: **النص والسياق**، المرجع المذكور سابقا.

المنطقية، و ترتبطه أيضا بالحوارية، والمقصدية، والإحالة، والتفاعل، والتخاطب التداولي...

الفصل الثالث:

لسانيات النص: أبحاث، وأهــداف، ومنهجيــة

المبحث الأول: دراسات في لسانيات النص

ثمة دراسات عدة في مجا ل لسانيات النص، سواء في الحقل الثقافي الغربي أم في الحقل الثقافي العربي قديما أو حديثا . ويمكن توضيح ذلك على الوجه التالي:

المطلب الأول: لسانيات النص في الحقل الثقافي الغربي

هناك مجموعة من الدراسات التي تندرج ضمن لسانيات النص ، في الحقل الثقافي الغربي، فلابـد من التوقف عند هاريس(Harris) في كتابه

(**تحليل الخطاب**)[87]؛ وفان ديك (Van Dijk) في كتابه (**النص والسياق**)[88]، وهاليداي ([89] Halliday) وحسن رقية (Hassan) في كتابيهما (**الاتساق في الإنجليزية**)، و(**اللغة، والسياق، والنص**) [90]؛ ودو بيوجراند (De Beaugrande) وفولفغانغ دريسلر (Wolfgang Ulrich Dressler) في كتابهما(**مدخل إلى لسانيات النص**) [91] ؛ وبراون وجورج يول في كتابهما(**تحليل الخطاب**)[92]؛ وويرليخ (Werlich)[93] في كتابه (**في نحو النص الإنجليزي**)؛ وروجر فاولر (Roger Fowler) في

---

[87] - Zellig Sabbetai Harris: (Discourse Analysis), in ***Language,*** vol. XXVIII, 1952.

[88] -Van Dijk:**Text and Context**.Longman.london.1977.

[89] - Halliday, M.A.K. and Hasan, R: **Cohesion in English** London: Longman.1976.

[90] - Halliday MAK and R Hasan**: *Language, Context, and Text: Aspects of Language in a Social-Semiotic Perspective.*** Geelong: Deakin University.1985.

[91] -De Beaugrande, R., & Dressler, W. U: **Introduction to text linguistics** / Robert-Alain De Beaugrande, Wolfgang Ulrich Dressler. London; New York: Longman, 1981.

[92] -Brown G.and George Yule: **Discourse analysis**.C.U.P.London 1983.

[93] - Werlich, E: **A text grammar of English**. Heidelberg: Quelle & Meyer.1976.

كتابه (**لغة الأخبار: الخطاب والإيديولوجيا في الصحافة**)[94]؛ وحاتم باسل وإيان ماسون (Hatim, Basil & Ian Mason)[95] في كتابهما المشترك (**الخطاب والترجمة**)؛ والعمري في كتابه (**لسانيات النص لط لهة الترجمة**)[96]، وكافجيك(Kavcic) في كتابه (**لسانيات النص**)[97]؛ وبول كران (A. Crane) في كتابه (**نسيج النص**) [98]؛ وإيجينس (Eggins) في كتابه (**مقدمة إلى النظام اللساني الوظيفي**)[99]؛ ومدينا بيتريز لوبيز (Medina, Beatriz López) في كتابه (**دور لسانيات النص في أقسام**

---

[94] -Roger Fowler: ***Language in the News: Discourse and Ideology in the Press***. London/ New York: Routledge.1991.

[95] -Hatim, Basil & Ian Mason:***Discourse and the Translator***. London: Longman.1990.

[96] -Al-Amri, K. H. (2007). "Text-linguistics for students of translation". King Saud University. Retrieved 10 August 2012.

[97] -Kavcic, A. (2008) ***Text linguistics***. Informally published manuscript, English and German Studies, Retrieved from www.englistika.info/podatki/3_letnik/besediloslovje-I-izpiski.doc.

[98] -A. Crane, Paul. "Texture in Text: A Discourse Analysis of a News Article Using Halliday and Hasan's Model of Cohesion" (PDF). Retrieved 10 August 2012.

[99] - Eggins, S. : ***An Introduction to Systemic Functional Linguistics*** London: Pinter.1994.

اللغات الأجنبية)[100]، وجان ميشيل أدم (Adam,J.M) في كتبه العديدة: **(اللسانيات والخطاب الأدبي)**[101] **و(تحليل اللسانيات النصية)**[102] **و(عناصر اللسانيات النصية)**[103]؛ ودولاس وفيليولي (Delas,D et J.Filiolet) في كتابهما **(اللسانيات والشعرية)**[104]؛ ومانجونو(Mainguenau) في كتابه ا **(عناصر لسانيات النص الأدبي)**[105]...

المطلب الثاني: لسانيات النص في الحقل الثقافي العربي المعاصر

---

[100] - Medina, Beatriz López (2002/2003). "The role of text linguistics in the foreign language class" (PDF). *Encuentro Revista de investigación e innovación en la clase de idiomas*: 148–156. Retrieved 10 August 2012.

[101] -Adam,J.M : **Linguistique et discours** littéraire.fernand Nathan. Paris1984.

[102] - Jean-Michel Adam, **Analyse de La linguistique textuelle - Introduction à l'analyse textuelle des discours**, Paris : Armand Colin, collection "Cursus", 2005, ISBN : 2-200-26752-5, 243 pages.

[103] - Adam, J.-M. : ***Éléments de linguistique textuelle***. Bruxelles-Liège : Mardaga.1990.

[104] -Delas,D et J.Filiolet **: Linguistique et poétique**.larousse.paris.1973.

[105] -Mainguenau,D : **Eléments linguistique pour le texte littéraire**, éd Bordas, Paris,1986.

يمكن الحديث ، على الصعيد العربي، عن مجموعة من الكتب التي تندرج ضمن لسانيات النص أو لسانيات الخطاب، منها : كتاب (**لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب**) لمحمد خطابي[106]؛ و (**نسيج النص**) للأزهر الزناد[107]؛ و(**دراسات تطبيقية في لسانيات النص**) لثناء سالم[108]؛ وعبد القادر شرشار في كتابه (**تحليل الخطاب الأدبي وقضايا النص**)[109]؛وكتاب (**دينامية النص**) لمحمد مفتاح[110]؛ و (**لسانيات النص نحو منهج لتحليل الشعر**) لأحمد مداس [111]؛ والكتاب الجماعي (**لسانيات النص وتحليل الخطاب**) لمحمد خطابي وآخرين [112]؛ وكتاب(**المصطلحات الاساسية في**

---

[106]- محمد خطابي : **لسانيات النص،** المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأاولى سنة 1991م.

[107]- الأزهر الزناد: **نسيج النص،** المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى سنة 1993م.

[108]- ثناء سالم : **دراسات تطبيقية في اللسانيات المعاصرة،** الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى سنة 2008م.

[109]- عبد القادر شرشار : **تحليل الخطاب الأدبي وقضايا النص،** منشورات مختبر الخطاب الأدبي في الجزائر، منشورات دار الأديب، وهران، الجزائر، الطبعة الأولى سنة 2006م.

[110]- محمد مفتاح: **دينامية النص،** المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى سنة 1987م.

[111]- أحمد عمار مداس : **لسانيات النص نحو منهج ل تحليل الشعر** ،عالم الكتب الحديث، الطبعة الثانية 2009م.

[112]- محمد خطابي وآخرون : **لسانيات النص وتحليل الخطاب** ، مؤلف جماعي، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة الأولى 2013م.

لسانيات النص وتحليل الخطاب) لنعمان بوقرة[113]؛وكتاب(**بلاغة الخطاب وعلم النص**) لصلاح فضل [114]؛ وكتاب (**لسانيات الخ طاب وأنساق الثقافة**) لعبد الفتاح أحمد يوسف[115]؛ وكتاب (**في لسانيات النص**) لأيمن محمود موسى[116] ؛ وكتاب(**مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه**) لمحمد الأخضر الصبيحي[117]؛ و (**نحو النص : اتجاه جديد في الدرس النحوي**) لأحمد عفيفي)[118]، وغيرها من الدراسات الأخرى هنا وهناك...

المطلب الثلث: ملامح لسانيات النص في التراث العربي القديم

يمكن الحديث عن ملامح نسبية للسانيات النص في التراث العربي القديم، كما يتضح ذلك جليا عند مجموعة من النقاد، والبلغاء، والمفسرين؛ أمثال: ابن طباطبا، وابن رشيق القيرواني، وابن حازم القرطاجني،

---

[113]- نعمان بوقرة: **المصطلحات الاساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب**،جدارا للكتاب العالمي، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، الطبعة الأولى 1429هـ 2009م .

[114]- صلاح فضل : **بلاغة الخطاب وعلم النص** ، عالم المعرفة، العدد : 164، الكويت، السنة1992م.

[115]- عبد الفتاح أحمد يوسف: **لسانيات الخطاب وأنساق الثقافة**، دار العربية للعلوم ناشرون بيروت، لبنان/ودار الاختلاف الجزائر، الطبعة الأولى سنة 2010م.

[116]- أيمن محمود موسى: **لسانيات النص**، عالم الكتب، الطبعة الأولى سنة 2015م.

[117]- محمد الأخضر الصبيحي: **مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه**، دار العربية للعلوم ناشرون بيروت، لبنان/ودار الاختلاف الجزائر، الطبعة الأولى سنة 2010م.

[118]- أحمد عفيفي : **نحو النص : اتجاه جديد في الدرس النحوي** ، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى سنة 2001م.

والزمخشري، وفخر الد ين الرازي، والزركشي، وا لسيوطي، ومحمد الطاهر بن عاشور...

وعليه، يقول ابن قتيبة في كتابه (**الشعر والشعراء**) متحدثا عن اتساق الأبيات الشعرية وترابطها: « قيل لفلان "أنا أشعر منك " قال وبم ذلك ؟ قال: لأني أقول البيت وأخاه، وأنت تقول البيت وابن عمه.»[119]

فهذه إشارة مهمة من ابن قتيبة تدل على مدى تفطن الشعراء والنقاد إلى الوحدة الفنية، والتماسك العضوي في بناء القصيدة الشعرية، واهتمامهم بالترابط المنطقي بتناسق الأبيات صدرا وعجزا، واتساقها سببا ومعنى .

بيد أن ابن قتيبة، في تنظيره للقصيدة المدحية، لم يكن يشترط فيها عناصر الوحدة والترابط؛ إذ تحدث عن القصيدة المتعددة الأغراض والمتناسبة في الطول عددا، والجيدة مطلعا ، وتخلصا، ومقطعا، وخاتمة. ومن ثم، عدد أجزاءها، وحدد وظيفته ا التأثيرية والنفسية في المتلقي . ومن هنا، حدد بعض قوانين الاستدراج في بناء القصيدة لترضى وتقبل اجتماعيا ونفسيا.

وعلى الرغم من حديثه عن القصيدة المتعددة الأغراض أو الموضوعات، فإنه لم يتحدث عن عناصر اتساقها ، ووحدتها الفنية ، وترابطها الموضوعي. أي: كيف يربط الشاعر بين الأجزاء، وهو ينتقل من موضوع إلى آخر، أو كيف تتناسق القصيدة جماليا . وقد كانت هذه القصيدة المدحية نموذجا للاحتذاء والسير فنيا على هديها، سواء كان ذلك

---

[119] - ابن قتيبة: **الشعر والشعراء**، الجزء الأول، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ب .ت، ص 34.

من الشعراء أ م من النقاد، حتى إن عنصر الاستدراج في بناء هذه القصيدة، استلهمه كل من أبي هلال العسكري صاحب (**الصناعتين**)، وابن رشيق القيرواني صاحب (**العمدة**)، دون أن يضيفا الجديد إلى ما ذكره ابن قتيبة في بنا ء القصيدة. أما حديث ابن رشيق عن الوحدة، فلم يكن إلا ترديدا لما قاله الحاتمي عن ترابط أبيات القصيدة وتلاحمها وضرورة التجاور الكامل بين أجزائها: «من حكم النسيب الذي يفتتح به الشاعر كلامه أن يكون ممزوجا بما بعده من مدح أو ذم، متصلا به غير منفصل منه. فإن القصيدة مثلها مثل خلق الإنسان في اتصال بعض أعضائع ببعض، فمتى انفصل واحد عن الآخر، وباينه في صحة التركيب غادر الجسم عاهة تتخون محاسنه، وتعفى معالم جماله، ووجدت حذاق الشعراء وأرباب الصناعة من المحدثين يحترسون في مثل هذه الحال احتراسا يحميهم من شوائب النقصان، ويقفهم على محجة الإحساس».[120] ولم تظهر قضية الوحدة بوضوح، بمفهومها الأقرب إلى المفهوم الحديث، إلا عند ابن طباطبا العلوي الذي يفوق فهمه فهم خليل مطران لها، وهذا ما أثبته أحد الباحثين المغاربة بقوله: «ونكاد نعقد أن بعض النقاد القدامى كابن طاباطبا والحاتمي كانا أص رح وأوضح في الحديث عنها من مطران. ومما يدل على ذلك، أننا لو قارنا بين ما قاله ابن طاباطبا وبين ما قاله مطران في هذا الصدد، لوجدنا أن ابن طباطبا كان أعمق وأنفذ إلى

---

[120] - ابن رشيق القيرواني: **العمدة**، الجزء الثاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الجيل، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة، 1972م، ص: 94.

أغوار الوضوع من مطران . وذلك بغض النظر عن السبق الزمني الذي يزيد على مئات السنين».[121]

ويعد ابن طباطبا من أوائل النقاد في ثراتنا ال نقدي العربي الذين تنبهوا إلى ضرورة توفيرر الوحدة الفنية في القصيدة، عبر التماسك الفني، والترابط اللغوي، والتنسيق العضوي . وكان يحاكم الشعراء انطلاقا من الوحدة والاتساق العضوي ، إذ يقول: «وينبغي للشاعر أن يتأمل تأليف شعره، و تنسيق أبياته، ويقف على حسن تجاوزها أو قبحه فيلائم بينها لتنتظم له معانيها، ويتصل كلامه فيها، ولا يجعل بين ما قد ابتدأ وصفه وبين تمامه فضلا من حشو ليس من جنس ما هو فيه، فينسي السامع المعنى الذي يسوق القول إليه، كما أنه يحترز من ذلك في كل بيت، فلا يباعد كلمة عن أختها، ولا يحجز بينها وبين تمامها بحشو يشينها، ويتفقد كل مصراع: هل يشاكل ما قبله ؟ فربما اتفق للشاعر بيتان يضع مصراع واحد منهما في موضع الآخر، فلا يتنبه على ذلك إلا من دق نظره ، ولطف فهمه، ور بما وقع خلل في الشعر من جهة الرواة والناقلين له، فيسمعون على ج هة ويؤدونه على غيرها سهوا،ولا يتذكرون حقيقة ما سمعوه منه، كقول امرئ القيس:

كأنـــي لم أركب جـــوادا للذة ولم أتبطن كاعبا ذات خلخال

ولم أسبأ الزق الروي ولم أقل لخيلي كري كرة بعد إجفال

---

[121] - سعيد الأيوبي: **عناصر الوحدة والربط في الشعر الجاهلي**، مكتبة المعارف ، الرباط، الطبعة الأولى سنة 1986م، ص:27.

هكذا الرواية، وهما بيتان حسنان، ولو وضع مصراع كل واحد منهما في موضع الآخر كان أشكل وأخل في استواء النسيج.»[122]

تقوم الوحدة الفنية لدى ابن طباطبا على الا تساق النصي، والانسجام العضوي، والتنسيق بين الأبيات، حتى تكون القصيدة مثل كلمة واحدة في ترابطها وتشاكلها النسيجي، وإن حسن الشعر لديه، «ما ينتظم القول فيه انتظاما يتسق به أوله مع آخره، على ما ينسقه قائله، فإن قدم بيت على بيت دخله الخلل كما يدخل الرسائل والخطب إذا نفض تأليفها، فإن الشعر إذا أسس فصول الرسائل القائمة بأنفسها، وكلمات الحكمة المستقلة بذاتها، والأمثال الموسومة باختصارها لم يحسن نظمه، بل يجب أن تكون القصيدة كلها ككلمة واحدة في اشتباه أولها بآخرها، نسجا وحسنا وفصاحة، وجزالة ألفاظ ودقة معان وصواب تأليف، ويكون خروج الشاعر من كل معنى يصنعه إلى غيره من المعاني خروجا لطيفا ما شرطناه في أول الكتاب – يقول ابن طباطبا – حتى تخرج القصيدة كأنها مفرغة إفراغا، كالأشعار التي استشهدنا بتا في الجودة والحسن واستواء النظم، لا تناقض في معانيها، ولا وَهْيَ في مبانيها، ولا تكلف في نسجها، تقتضي كل كلمة ما بعدها، ويكون ما بعدها متعلقا بها مفتقرا إليها.»[123]

---

[122] - ابن طباطبا: **عيار الشعر**، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى سنة 1992م، ص:129.

[123] - ابن طباطبا: نفسه، ص: 131.

يتسم منظور ابن طاباطبا للوحدة بالعمق والريادة، ما دام يدافع عن التماسك النصي، وو حدة الأبيات عضويا وفنيا، ويبعد كل حشو وما لا علاقة له بالنص. إن الوحدة لدى الناقد هي وحدة عضوية وموضوعية، مبنية على الاتساق والانسجام والتنسيق والتنضيد بين الأبيات الشعرية، والتلاحم بين المبنى والمعنى. ولقد صدق شوقي ضيف حينما قال: «وكان ابن طباطبا تنبه في دقة إلى ما ردده – ولا يزال يردده – النقاد في عصرنا من فكرة الوحدة العضوية في القصيدة، بحيث تصبح عملا محكما، فلا تخلخل بين المعاني المتعاقبة، ولا ممرات ولا خنادق تفصل بينها. إنما انتظام واتساق والتحام حتى تصبح القصيدة كأنها كتلة واحدة في معنى واحد.»[124]

ويلاحظ أن تصور ابن طاباطبا للوح دة الفنية وراءه تعمقه في كتابات أرسطو واستيعابه لها، وخاصة بعد رواج كتاب (**فن الشعر**) في الساحة النقدية، وترجمة ا لفكر اليوناني إبان المأمون الذي شيد بيت الحكمة، وحث العلماء على ترجمة التراث الهيليني ، وخاصة الفلسفي منه. وفي هذا الصدد، يقول محمد غنيمي هلال : «إن العرب تأثروا بفكرة الوحدة العضوية التي كشف عنها أرسطو (Aristote)، ولكن على نحو خاص، إذ فهموا أن معنى هذه الوحدة هو إجادة وصل أجزاء القصيدة القديمة بعضها ببعض، وإن لم يكن بين الأجزاء نفسها صلة، فبعدوا بذلك بعدا

---

[124] - شوقي ضيف: **البلاغة: تطور وتاريخ، دار** المعارف، القاهرة، مصر، طبعة 1965م، ص:127.

كبيرا عما أراد أرسطو، ولم يؤثر إدراكهم شيئا يذكر في بناء القصيدة القديم. نعم قد ترك المحدثون منهم أحيانا البكاء على الأطلال ووصف الإبل؛ ولكنهم استبدلوا بهذين الجزأين ما يقوم مقامهما من وصف الخمر والقصور والمطايا إلخ . فلم يكن لفكرة الوحدة العضوية أي أثر في ذلك التحديد، فلم يقع في وصفهم أن هذه الأجزاء لا صلة عضوية لها بغرض القصيدة».[125]

أما الحاتمي، فله نظرة عميقة إلى الوحدة حيث قال : «من حكم النسيب الذي يفتتح به الشاعر كلامه أن يكون ممزوجا بما بعده من مدح أو ذم، متصلا به غير منفصل منه . فإن القصيدة مثلها مثل خلق الإنسان في اتصال بعض أعضائه ببعض، فمتى انفصل واحد عن الآخر، و بلينه في صحة التركيب غادر الجسم عاهة تتخون محاسنه، وتعفى معالم جماله، ووجدت حذاق الشعراء وأرباب الصناعة من المحدثين يحترسون في مثل هذه الحال احتراسا ، يحميهم من شوائب النقصان، ويقفهم على محجة الإحساس حتى يقع الاتصال ويؤمن الانفصال، وتأتي القصيدة في تناسب صدورها وأعجازها وانتظام نسيبها بمديحها كالرسالة البليغة والخطبة الموجزة، لا ينفصل جزء منها عن جزء، وهذا مذهب اختص به المحدثون لتوقد خواطرهم، ولطف أفكارهم، واعتمادهم البديع وأفانينه في أشعارهم، وكأنه مذهب سهلوا حزنه، ونهجوا رسمه. فأما الفحول الأوائل

[125] - غنيمي هلال : **النقد الأدبي الحديث،** دار الثقافة، دار العودة، بيروت، لبنان، ط بعة 1973م، ص: 211.

ومن تلاهم من المخضرمين والإسلاميين ، فمذهبهم المتعالم، " عد عن كذا إلى كذا "، وقصارى كل واحد منهم وصف ناقته بالعنف، والنجابة والنجاة، وأن امتطاها فأدرع عليها جلباب الليل، وربما اتفق لأحدهم معنى لطيف يتخلص به إلى غرض لم يتعمده إلا أن طبعه السليم وصراطه في الشعر المستقيم، نصبا مناره وأوقد بالبقاع ناره.

فمن أحسن تخلص شاعر إلى معتمده، قول النابغة الذبياني:

فكفكفت منـــي عبـرة فرددتهـــا على النحو منها مستهل ودامع

على حين عاتبت المشيب على الصبا وقلت ألما أصح والشيب وازع؟

وقد حال هم دون ذلك شـــــاغل مكان الشفاف تبتغيه الأصـــابع

وعيد أبي قابوس في غير كنهه أتاني ودوني في راكس والفواجع

وهذا الكلام متناسخ تقتضي أوائله أواخره، ولا يتميز منه شيء عن شيء»[126].

يعدد الحاتمي، في هذا النص، مظاهر التلا حم والتناسق النصي، كالاتصال، والتناسب ، وحسن التخلص، وعناصر الوحدة والربط في القصيدة الشعرية.

أما حازم القرطاجني، فيعتبر أول ناقد عربي تحدث عن الوحدة في القصيدة كاملة، لا في العبارة أو البيت أو البيتين، بل في النص باعتباره بناء كليا متعاكسا ملتحم الفصول والأ جزاء والمقاطع، ولقد تأثر كثيرا بنظرية أرسطو (Aristote) في الوحدة، والفلاسفة المسلمين، ولاسيما

---

[126] - ابن رشيق القيرواني: **العمدة** ، ص :117.

ابن سينا وابن رشد . ولقد خصص حازم للوحدة كثيرا من المواطن نظرا لأهميتها في بناء القصيدة ، «اعلم أن الأبيات بالنسبة إلى الشعر المنظوم نظائر الحروف المقطعة من الكلام المؤلف والفصول المؤلفة من الأبيات، نظائر الكلم المؤلفة من الحروف، والقصائد المؤتلفة من الفصول نظائر العبارات المؤلفة من الألفاظ، فكما أن الحروف إذا حسنت ، حسنت الفصول المؤلفة منها إذا رتبت على ما يجب وضع بعضها من بعض على ما ينبغي ... كذلك يحسن نظم القصيدة من الفصول الحسان كما يحسن ائتلاف الكلام من الألفاظ الحسان إذا كان تأليفها منها على ما يجب وكما أن الكلم لها اعتبارا ن: اعتبار راجع إلى مادتها وذاتها . واعتبار بالنسبة إلى المعنى الذي تدل عليه، كذلك الفصول تعتبر في أنفسها وما يتعلق بهيآتها ووصفها، وتعتبر بحسب الجهات التي تضمنت الفصول الأوصاف المتعلقة بها...

والكلام في ما يرجع إلى أدوات الفصول، وإلى ما يجب في وضعها وترتيب بعضه من بعض. يشتمل على أربعة قوانين:

- القانون الأول: في استجادة مواد الفصول وانتقاء جوهرها.
- القانون الثاني: في ترتيب الفصول والموالاة بين بعضها وبعض.
- القانونالثالث : في ترتيب ما يقع في الفصول.

- القانون الرابع: في ما يجب أن يقدم في الفصول وما يجب أن يؤخر فيها وتختم به».[127]

ولقد علق عليه الدكتور يوسف حسين بكار قائلا : «إن حازما أول ناقد عربي قديم يتحدث عن الوحدة في القصيدة كاملة (...)، وهذا خروج على قاعدة من قواعد عمود الشعر العربي، واختلاف كبير، عن جمهرة كبيرة من النقاد (...) لذا، فإن نظرة حازم أعمق وأشمل من نظرات سابقيه ومن نظرة عمود الشعر نفسه في المسألة . ثم إنها تؤكد معرفة حازم لوحدة العمل الأدبي عند أرسطو (Aristote) التي فهمها على نحو خاص ، ولم يلتزم بتا التزاما كاملا، فظلت مجردة لا يفهم مدلولها بدقة، ثم أخذ في شرحها وبحثها على النحو الذي فهمها به . مضيفا إليه ما أملته عليه تجربته الخاصة فيما أرجح»[128].

إذا تعمقنا في هذه الآراء النقدية ، فإن المقصود بالوحدة لديهم هو «وحدة الموضوع في القصيدة الواحدة لا الوحدة العضوية، ونحن – يقول عبد العظيم أنيس – لا نأخذ على الحاتمي أو غيره من نقاد ذلك العصر حدود

---

[127] - حازم القرطاجني: **منهاج البلغاء وسراج الأدباء** ، تحقيق: محمد بلخوجة، دار الكتب الشرقية، تونس 1966 م، ص: 287-291.

[128] - يوسف حسين بكار : **بناء القصيدة العربية** ، دار الثقافة ، مصر ، طبعة 1979م، صص: 411-412.

هذا الفهم، بل إنه ليعبر عن مستوى مرتفع ودرجة متقدمة في تذوق العمل الأدبي في تاريخ النقد العربي».[129]

لم يأت نقاد العرب بجديد- حسب غنيمي هلال - « فيما يخص وحدة العمل الفني، بل سايروا الأدباء على ما جرت به تقاليد الجاهلية أو على ما يقرب منها. وقد فهموا الوحدة على نحو بعدت به كل البعد عن تحقيق وحدة القصيدة العضوية كما نفهمها اليوم، فكانت عنايتهم بالأجزاء وتوثيق الصلة بينها أشد من عنايتهم بوحدة العمل الفني جملة . وقد ذكروا وجوها بيانية تتصل بتنظيم أجزاء القصيدة أو أجزاء الرسائل والخطب، أفادوا في مع ظمها مما قاله أرسطو (Aristote) في كتاب الخطابة، ولكنهم حوروا فيها كي تساير نظام القصيدة كما ألفهوها، فاستحسنوا الاستطراد على نحو ما شرحوا، وهو ضار بنظام الوحدة في العمل الأدبي، ولم يروا في أجزاء القصيدة الجاهلية المتنافرة ما يضر بنظام وحدتها».[130]

وهكذا، يتبين لنا أن النقاد القدماء قد تنبهوا إلى بعض مظاهر لسانيات النص، وإن لم يدرسوها بالطريقة اللغوية المعاصرة . وهذه المظاهر هي: الوحدة الموضوعية والعضوية، والترابط بين الأجزاء، وتماسك النص،

---

[129] - محمود أمين العالم، عبد العظيم أنيس : **في الثقافة المصرية**، دار الأمان ، الرباط، الطبعة الثانية، 1988 ، ص:44.

[130] - محمد غنيمي هلال: نفسه ص 218.

والمناسبة بين أجزاء التأليف الواحد . وهذا له علاقة وطيدة بالاتساق والانسجام على حد سواء.

المبحث الثاني: أهـــداف لسانيات النص

لقد ارتبطت لسانيات النص بماهو ديد كتيكي وبيداغوجي، واستعملت في مجال التعليم. لذا، فهي تؤدي وظائف تربوية بامتياز.أي: أصبحت لسانيات النص منهجية ديد كتيكية. ومن ثم، فقد وظفت لسانيات النص من أ جل تحليل النصوص والخطابات على مستويات عدة : صوتية، وصرفية ، وتركيبية، ومعجمية ، ودلالية، وتداولية، ابتداء من أصغر وحدة في النص

هي الجملة إلى آخر جملة في النص ، عبر عمليات التتابع والترابط والتتالي.ومن ثم، فقد أصبح النص موضوعا للأسلوبية، وموضوعا للتلفظ، وموضوعا للنحو. وكانت الدراسة الأسلوبية والبلاغية والأدبية أقدم دراسة للنص من أجل رصد الصور الأدبية وصور الأسلوب.

يمكن القول : إن للسانيات النص مجموعة من الأهداف الأساسية ؛ مثل: معرفة كيفية بناء النص وإنتاجه، مهما كانت طبيعته الخطابية أو التجنيسية.ثم، استجلاء مختلف الأدوات والآليات والمفاهيم اللسانية التي تساعدنا على فهم النص ووصفه وتأويله، باستكشاف مبادىء الاتساق اللغوية الظاهرة، والتعرف إلى مختلف العمليات التي يستعين بها مفهوم الانسجام؛ والتثبت مما يجعل النص نصا أو خطابا؛ ثم التمكن من مختلف الآليات اللسانية في عملية تصنيف النصوص والخطابات وتجنيسها وتنميطها وتنويعها، وتبيان مكوناتها الثابتة، وتحديد سماتها المتغيرة.

علاوة على الوظيفة الديد كتيكية، إذ تساعدنا لسانيات النص على تحليل النصوص وتفكيكها وتركيبها ، وتشريحها بنيويا أو توليديا أو تداوليا .ومن ثم، يتعرف التلميذ أو الطالب إلى مختلف التقنيات اللسانية المستعملة في قراءة النص وفهمه وتفسيره وتأويله، ومعرفة مظاهر اتساقه وانسجامه، وكيفية انبناء النص، وبماذا يتميز النص الأدبي عن باقي الأجناس الأدبية الأخرى؛ وبما يمتاز أيضا النص الحجاجي عن النص الوصفي، والنص الإخباري، والنص الإعلامي، والنص الإشهاري...

أضف إلى ذلك أن لسانيات النص تسعف الباحث في معرفة آليات تماسك النص موضوعيا وعضويا، وكيف تتحقق القراءة المتسقة والم نسجمة، وكيف تتحدد حوارية النص وأبعاده التناصية ، وكيف يخلق تشاكل النص، وما الوظائف التي يؤديها النص؟ هل يسعى هذا النص إلى تحقيق الوظيفة التواصلية أو الوظيفة التعبيرية أو الوظيفة التأثيرية أو الوظيفة المرجعية...؟

ومن ثم، يرتبط هذا كله بمعرفة السياق النصي، والمقصديات المباشرة وغير المباشرة، والتركيز على وظيفة الإقناع والتبليغ والتأثير والاقتناع.

وقد حدد لانغ (E. Lang) الأسباب والمبررات التي تدفع إلى الاهتمام بلسانيات النص، وتحديد مفهوم النص. وقد حصرها في مبررات ستة هي:

❶رفع الغموض عن الجمل وتبسيطها.

❷إبراز الاقتضاءات والعلاقات المضمرة، زيادة على ما يبرزه ظاهر الجمل المكونة للنص.

❸تفسير النص بواسطة الجمل والمقاطع والمتواليات اللسانية.

❹تحقيق شروط الاتساق والانسجام بين الجمل المضمرة والبارزة لنص متماسك، وبين جمل معزولة عنه.

❺إدراج تأويلات دلالية لبعض الجمل الخاصة، ضمن "بنيات دلالية كبرى ".

❻تحقيق علاقات التعادل بين عدة مقاطع لغوية ذات طول متغير، حتى ترقى لفهم التماسك النصي برمته ضمن إطار شامل وعام.[131]

وأخيرا، يمكن القول: «إن المقاربات اللسانية مفيدة جدا، في ضبط التحام النص واتساقه إذا كان علميا أو فلسفيا أو سياسيا أو شعريا قديما ... على أنها تعجز عن إثبات الالتحام والاتساق في كثير من ا لنصوص الشعرية الحديثة والمعاصرة التي تثور على الالتحام والاتساق، ولذا، فلا مفر من الالتجاء إلى السيميائيات الأوربية وإلى دلائلية " برس" (Pierce) لسد الثغرات، بعد أن تغربل إبستمولوجيا وتطعم بمفاهيم جديدة ظاهراتية ودينامية»[132].

وعليه، فلسانيات النص وظائف عدة، يمكن حصرها في الوظائف التربوية والتعليمية، والوظائف النقدية والأدبية، والوظائف النصية، والوظائف التحليلية، والوظائف المؤسساتية في تجنيس النصوص وتنميطها وتصنيفها، والوظائف اللسانية بالانتقال من لسانيات الجملة نحو لسانيات النص ، والوظائف الإبداعية والتخييلية والإنشائية، والوظائف التواصلية والتداولية، والوظائف الحوارية...

ويمكن القول كذلك أنه يمكن دراسة مجموعة من الوقائع اللسانية ضمن منظور نصي وخطابي ، ثم تحليل النصوص في ضوء لسانيات النص ،

---

[131] - انظر: عبد الجليل غزالة : (نحو النص بين النظرية والتطبيق)،ص: 12.

[132]- محمد مفتاح : (النقد بين المثا لية والدينامية)، **مجلة الفكر العربي المعاصر** ، بيروت، لبنان، ص:21.

بتقطيعها إلى مقاطع ومتواليا ت سردية أو وصفية أو حجاجية أو حوارية أو تفسيرية أو إخبارية، ثم تبيان الوحدات النصية الكبرى والصغرى، واستجلاء مختلف الروابط التركيبية والدلالية والمعجمية التي تتحكم في بناء النص، وإبراز مختلف العمليات المتوارية التي تتحكم في انسجام النص وتماسكه وتراطبه عضويوموضوعيا.

المبحث الثالــث: منهجية لسانيات النص

تستلزم لسانيات النص منهجية بنيوية وصفية وتفسيرية وتأويلية، تقوم على التفكيك والتركيب.بمعنى أن الباحث لابد أن يشرح النص ويفككه إلى مقاطع وفقرات وم تواليات ضمن الوحدة الكلية للنص .أي: بالتعامل مع

النص المصغر (Micro-texte) والنص المكبر (Macro-texte).وبعد ذلك، تأ تي عملية تقطيع المركبات النصية أ و الخطابية إلى ملفوظات ومقاطع وفقرات ومتواليات، وفق معايير التقطيع النصي التي أشارت إليها السيميوطيقا السردية. وبعد ذلك، نحدد تماسك الجمل انطلاقا من الجملة الثانية حتى آخر جملة في النص أو الخطاب، بالبحث عن أدوات الاتساق اللغوية، والبحث عن عمليات الانسجام في علاقتها بالمتلقي؛ ثم رصد الحوارية التناصية، وكل ملامح المعرفة الخلفية الواعية وغير الواعية. ثم فهم بنية النص اللغوية في سياقه ا التواصلي من جهة، وربطه ا بالسياق الذه ني (له علاقة بالمتلقي) من جهة أخرى. دون أن ننسى ربط النص بالمقصديات المباشرة وغ ي المباشرة، والبحث عن مختلف الوظائف التواصلية والإبلاغية التي يقوم بها النص؛ والتثبت من نصية النص وعما يميزه عن اللانص أو اللاخطاب.

وبعد ذلك، ينتقل الباحث إلى دراسة النصوص و الخطابات وفق رؤية تجنيسية وتنم يطية ، بغية معرفة مميزات كل نص أ و خطاب على حدة، وتبيان مكوناته الثابتة، واستخلاص سماته المتغيرة.

وبناء على ما سبق، تدرس لسانيات النص مجموعة من القضايا التي لها علاقة وثيقة ببناء النص، مثل : الربط، والاتساق، والانسجام، والإحالة، والنسيج النصي، والتشاكل، والروابط التركيبية والدلالية والإحالية والزمانية، والوحدة الموضوعية والعضوية، والتناص، والاتصال النصي، والسياق النصي، وتواشج الألفاظ والبنى النحوية، والتركيب

الداخلي للنص، والبنية الكلية للنص، و النص الصغير، والنص الكبير، وتجنيس النصوص وتنميطها وتصنيفها (النصوص السردية، والنصوص الوصفية، والنصوص الحجاجية، والنصوص الحوارية ، والنصوص الإخبارية...)، والنص والبؤرة، ووصف بنيات النص وتفسيرها في ضوء المكونات والسمات، أو في ضوء عناصرها الثابتة والمشتركة، وعناصره المتحولة والمتغيرة، وتبيان و ظائف النصوص في إطار نظامها التواصلي، بالتركيز على الاتساق، والانسجام، والمقصدية، والإبلاغ، والتناص، والسياق، والمقبولية[133].

ويمكن للسانيات النص أن تقارن النص بالذكاء الحاسوبي لمعرفة طرائق انبناء النص، وتحديد مواطن التشابه بين النص الإنساني والنص الرقمي، واستعارة المفاهيم الحاسوبية لتوظيفها في تحليل النصوص والخطابات فهما وتفسيرا وتأويلا. ومن جهة أخرى، يمكن أ ن تستعين لسانيات النص مفلهيمها وأدواتها من لسانيات الجملة ، كالاستفادة من مفهومي التوليد والتحويل عند نوام شومسكي، والاستعانة بالمكونات المباشرة وغير المباشرة عند التوزيعيين (بلومفيلد وهاريس ...)، والاستفادة من الاتجاه التداولي الوظيفي كما عند هاليداي، وفان ديك، وحسن رقية، وأحمد المتوكل؛ والاستفادة كذلك من مبادىء الكولوسيماتيكية عند لوي

---

133 -A.Regarder : De Beaugrande, R., & Dressler, W. U. (1981) ***Introduction to text linguistics*** / Robert-Alain De Beaugrande, Wolfgang Ulrich Dressler. London ; New York : Longman, 1981.

هلمسليف، ومبادىء اللسانيات عند البنيويين الوظفيين (جاكبسون، وتروبسكوي، وأندري مارتيني)، والوظيفيين السياقيين (فيرث)، والاتجاه البنيوي السوسيري (فرديناند دوسوسير)...علاوة على استلهام المفاهيم الأخرى من الاتجاه الحجاجي (دوكرو، أنسكومبر، وبيرلمان، وتيتيكا...)، والسيميوطيقا السردية (كريماص، وجوزيف كورتيس، وجاك فونتاني)...

وعليه، فمنهجية لسانيات النص هي منهجية لسانية ونحوية محضة، لكن يمكن لها أن تستعير أدواتها ومفاهيمها الإجرائية، في إطار الانفتاح العلمي، من علوم أخرى، مثل : علم النفس، وعلم الاجتماع، والبيولوجيا، والفيزياء، والكمياء، والطب، والإعلاميات، والسيميوطيقا، والفلسفة، والرياضيات، والمنطق...

وعليه، تهدف لسانيات النص إلى تصنيف المعطيات اللغوية إلى مكونات ومقولات، مثل: الإسم، والفعل، والحرف، والفونيم، والمونيم، والمورفيم إلخ... بالإضافة إلى الاهتمام بالتقطيع والتصنيف من أجل إقامة وصف دقيق للظاهرة اللغوية، بعد ملاحظتها وتوزيعها و تصنيفها. ويمكن الاعتماد منهجيا كذلك على الملاحظة، والوصف، والتفسير...

ويمكن اقتراح منهجية تحليلية تندرج ضمن لسانيات النص لمقاربة النصوص والخطابات، كيفما كان نوعها، ويمكن تبيان هذه المنهجية في الخطوات الإجرائية التالية:

❶ **عمليـــة التصنيـــف:** تستند هذه العملية إلى تجنيس النص ضمن خانة الأجناس الكبرى (رواية، أو شعر، أو مسرح، أو قصة قصيرة، أو قصة قصيرة جدا ...).ثم، تأتي عملية التنميط النوعي للنص (نص وصفي، ونص سردي، ونص حجاجي، ونص إخباري، ونص تفسيري، ونص حواري، ونص شعري ...). ثم، تصنيف النص ضمن خانة النصوص (النصية المجردة) أو خانة الخطابات (الخطابية السياقية والتواصلية)...

❷ **عمليـــة التقطيـــع:** تقطيع النص إلى ملفوظات أو جمل ، ثم تجميعها في مقاطع أو متواليات أو فقرات مرتبة ومتتابعة ومتسلسلة ومعنونة . بمعنى تقطيع النص المكبر (Macrotexte) إلى نصوص صغرى (Microtxtes) قابلة للتحليل والتشريح.

❸ **عمليـــة تنميـــط المقاطع :** بعد تقسيم النص إلى مقاطع ومتواليات وفقرات ، لابد من تحديد أنواع المقاطع التي توجد في النص اعتمادا على مبدإ القيمة المهيمنة لدى رومان جاكبسون، كأن يكون هناك مقطع سردي، أو مقطع وصفي، أو مقطع حواري، أو مقطع حجاجي، أو مقطع إخباري. وبعد ذلك، نحدد المقطع المهيم ن، والمقاطع التابعة والخاضعة للمقطع الرئيس. ويمكن كذلك أن نحدد بداية المقطع ونهايته .أي: نستكشف حدود المقاطع الموجودة في النص أو في الخطاب.

❹ **عمليات الربط والتنضيد أو عمليات الاتساق :** نحدد مختلف الروابط التي تربط بين جمل النص، ابتداء من الجملة الثانية إلى آخر جملة في النص، بالتوقف عند الروابط اللغوية والتركيبية والمعجمية والدلالية

والوظيفية ، كأن نحدد روابط الإحالة، وروابط الحذف، وروابط الاستبدال، وروابط السببية، وروابط الوصل، وروابط الاستنتاج، وروابط التعارض...ويسمى هذا بروابط الاتساق والالتحام التي تتمثل في الضمائر المتصلة والمنفصلة، و أسماء الإشارة، وحروف العطف، والأ سماء الموصولة، والتكرار، وأسماء الشرط..

❺ **عمليات الانسجام:** نشير إلى مختلف العمليات الذهنية التي يستعملها المتلقي لإعادة بناء النص وتركيبه من ج ديد. بمعنى أن المتلقي يستخدم مجموعة من العمليات والإستراتيجيات المنهجية لفهم النص وتفسيره وتأويله، أو لتفكيكه وتركيبه. ومن بين هذه العمليات: المشابهة ، والمماثلة، والتأويل، والعنونة، والتغريض، والبنية الدلالية، والمدونات، والمخططات، والسيناريوهات، والأطر، والاستدلال، وغيرها من المفاهيم الضمنية التي تساهم في بناء النص وخلق انسجامه الدلالي والوظيفي.

❻ **العمليات الحجاجية:** تتم هذه العمليات باستخراج المقاييس الحجاجية وخطاطاتها المبنية ذهنيا من قبل المتكلم والمخاطب على حد سواء؛ وتجريد التمثلات المشتركة بين الأطراف المتحاورة؛ وتصنيف المقاييس والمقولات الحجاجية؛ ووصفها وتفسيرها لغويا وبلاغيا وتداوليا وجدليا وخطابيا. وهنا، يمكن الاعتماد على مفاهيم أرسطو ، مثل : القياس، والمماثلة، والاستدلال المنطقي. وهناك من يقترح نماذج الخطة الحجاجية

لتولمين (Toulmin)[134]. وهناك من يتبنى نظرية أنسكومبر ودوكرو في رصد الظواهر اللغوية التي تحمل في طياتها ملامح حجاجية قائمة على التعارض، أو السبب، أو الاستنتاج، أو الهدف ، أو التقابل، أو الافتراض...

وينضاف إلى هذا أن الحجاج عبارة عن ملفوظات واقتراحات متسلسلة بشكل منطقي وواضح لابد من تجريد ها، والبحث عن مظاهرها الحجاجية، واستجلاء طريقة بنائها وانتظامها داخل مسار حجاجي معين، وداخل سياق استدلالي محدد . و الغرض من هذا كله هو معرفة كيفية اشتغال مؤسسة الحجاج ضمن سياق تواصلي معين، من المجرد إلى المحسوس.

ولابد للمحلل من التركيز على اللغة الطبيعية أ و اللوغوس؛ لأن الحجاج النصي أو اللغوي يبنى عبر مجموعة من الروابط والمؤشرات التلفظية والوسائل المنطقية ، فلابد من استخلاص هذه القرائن اللغوية وتصنيفها، ومعرفة دلالاتها ووظائفها وبنياتها . ولابد من استحضار شبكة التواصل التي تجمع بين الأطراف المتحاورة .أي: ضرورة تحديد الوسائل اللسانية والإستراتيجيات الخطابية التي تهدف إلى تثبيت مؤسسة الحجاج وتقويتها . وهنا، لابد من الاستعانة بنظرية سياق التلفظ كما عند بنيفنست (Benveniste)، بتحديد المتلفظ وطبيعته وسياق تواجده ، وكذلك

[134] - Toulmin, S. E. : **Les usages de l'argumentation**, Paris, PUF, 1993.

خصائص المتلفظ إليه، وتبيان الإرسالية وسياقها الز ماني والمكاني والدلالي. والهدف من هذا كله هو استجلاء البعد المؤسساتي والاجتماعي عبر عملية التواصل الواقعية أو الافتراضية . ويعني هذا ترابط الحجاج بالواقع . وهذا ما قام به- فعلا - مانجونو (Maingueneau) حينما ربط اللغوي بالمؤسساتي أو ربط المؤسسة الحجاجية بو اقعها السياقي. وهنا، ينبغي التركيز على اللوغوس، والسياق التواصلي، والبعد المؤسساتي.

وعليه، تنبني منهجية الحجاج على تحديد السياق التواصلي والإطار الاجتماعي التاريخي، وتبيان مقاييس الحجاج، واستكشاف الأدوات اللغوية الحجاجية كالصور البلاغية والأساليب (الحوار ، والسرد، والمنولوج، والأسلوب المباشر، والأسلوب غير المباشر، والأسلوب غير المباشر الحر) ، وتبيان البوليفونية وتعدد الأصوات على المستوى الدلالي واللغوي، وتحديد وجهات النظر والإديولوجيا، ودراسة المضمر والمحذوف، وتبيان طريقة بناء النص خطابيا، واستكشاف روابط ا لحجاج وقرائن الاستدلال، والإشارة إلى حضور الغير السامع الواقعي أو الافتراضي، سواء أكان النص مكتوبا أم شفويا . ويعني هذا كله التركيز على ثلاثة مرتكزات حجاجية متكاملة: اللوغوس(تقنيات اللغة الحجاجية)، والإيتوس (الصورة الأخلاقية الفضلى للمتكلم وكفاءته معرفيا وق يميا)، والباتوس (الترغيب والترهيب) .

❼ **عمليات التداول الإنجازي :** من المعلوم أن للنسيج النصي بعد تداولي يتعلق بنظرية أفعال الكلام أو أفعال الخطاب.ويعني هذا أن الملفوظات لها

قيمة إنجازية . وتنبني نظرية أفعال الكلام على ثلاثة عناصر رئيسية هي: فعل القول، ويراد به إطلاق ألفاظ في جمل مفيدة سليمة التركيب، وذات دلالة، تحمل في طياتها حمولات قضوية وإخبارية . ومن ثم، تشتمل على مستوى صوتي وتركيبي ودلالي، مثل : " **أشكرك ياعلي** ". وثانيا، الفعل المتضمن في القول، وهو الفعل الإنجازي الذي يحدد الغرض المقصود بالقول، كصيغة الأمر فـي هذه الجملة :" **انتظري اللحن الجديد** ". وثالثا، الفعل الناتج عن القول، وهو ما ينتج عن القول من آثار لدى المخاطب إثر فعل القول، كإقناع المخاطب، وحثه، وإرشاده، وتوجيهه، أو تضليله...وتحضر هذه المستويات الثلاثة للفعل الكلامي جميعها في الوقت ذاته، و بدرجة متفاوتة، وهي التي تجعل هذا الفعل الكلامي كاملا.

وثمة مجموعة من الجمل الإنجازية، مثل : التقريريات، والطلبيات أو الأمريات، والبوحيات أو الإفصاحيات، والوعديات، والتصريحات...

❽ **عمليـــة التشاكل :** يتحقق التشاكل بتراكم المقومات المعجمية والمقومات السياقية . ومن ثم، يساهم هذا التشاكل في انسجام الحكاية ، وسهولة مقروئيتها ، مادام التشاكل عنصرا أساسيا في إزالة الغموض والإبهام والالتباس أثناء عملية التقبل والتلقي . ويقصي هذا التعريف الجانب الشكلي من الخطاب، ويركز على المضمون فقط . بينما التشاكل حاضر بكثرة على مستوى الصياغة والمقصدية كما في مجال الشعر.

ويعرف كريماص التشاكل كذلك بأنه " هو استمرارية قاعدة سلمية للمقومات السياقية التي تمكن، نتيجة انفتاح المركبات الاستبدالية التي هي

المقولات السياقية، من تحقيق تغيرات وحدات التمظهر، وهي تغيرات، عوض أن تهدم التشاكل، لا تعمل إلا على تأكيده".[135]

والغرض من دراسة التشاكل عند كريماص هو البحث عن الانسجام الخطابي ، و التأكد من صحة المقروئية، وخلق وحدة النص، إذ يقول كريماص :" كيف يمكن أن نفسر أن مجموعة سلمية من الدلالات تنتج إرسالية متشاكلة؟ لأن هناك شيئا أكيدا : سواء بدأنا بتحليل الخطاب من فوق، أي بالانطلاق من وحدة معجمية، تتحدد بصفتها وحدة معنى، أو قمنا بتحليل الوحدات الدنيا المكونة، فإن مسالة وحدة الإرسالية التي تفهم بصفتها كلا دالا، تعد أمرا مطروحا بالضرورة."[136]

ويعني هذا أن كريماص يبحث عن ق راءة منسجمة للحكايات المسرودة:"يمكن بواسطة مفهوم التشاكل أن نبرز كيف أن كل النصوص تتحدد على مستويات دلالية منسجمة، وكيف أن المدلول العام لمجموعة دالة، عوض أن يلتمس بشكل قبلي، يمكن أن يؤول بمثابة واقع بنيوي للتمظهر اللغوي."[137]

ويعني هذا أن التشاكل عنصر مهم في بناء النص تركيبيا ودلاليا ووظيفيا، و له دور نصي مهم في خلق اتساقه وانسجامه وتنضيده وتنسيقه.

---

[135] - Greimas: Op.Cit, p: 96.

[136] - Greimas: Op.Cit ,P:69.

[137] - Greimas Op.Cit, p: 53.

❾ **عمليات الترابط على مستوى الدال :** يتعلق الأمر - هنا- بالتكرار الصوتي الناتج عن الجناس، والمماثلة، والتوازي، والتقفية، والإتباع، واللازمة الشعرية. فضلا عن الترابط الإيقاعي (المشابهة في الأصوات والتنغيم والتفاعيل العرو ضية والمقاطع الشعرية ...)؛ والترابط المعجمي الناتج عن تكرار الحقول الدلالية والمعجمية ، وتكرار الألفاظ، وتكرار المشتقات ؛ والتكرار الصرفي التركيبي، مثل : تكرار الجمل ، والتعادل التركيبي، وتكرار الأوزان الصرفية...

❿**عمليات الترابط على مستوى المدلـــول:** نركز- ه نا- على بنيات الخطاب، ومواضيعه المهيمنة، وتيماته التغريضية الرئيسية . أي: نعنى بموضوع الخطاب، وبناء عوالم النص الممكنة، واستجلاء التيمات المهيمنة في النص، واستقراء عنوان النص المركزي، واستكشاف عناوينه الفرعية، وعنونة المقاطع والمتواليات الموجودة في النص، وت حديد الموضوع الكلي للنص.

هذه أهم الخطوات المنهجية التي تنبني عليها هذه المقاربة للتعامل مع النصوص والخطابات ، في ضوء لسانيات النص ، ومقترحاتها النظرية والتطبيقية.

الفصـل الرابع:

قضايـا لسانـيات النص

المبحث الأول: خاصيـــة الاتســـاق

يعد مفهوم الاتساق أو التماسك (Cohésion) من أهم المفاهيم التي ركزت عليها لسانيات النص. وهو مصطلح استعمله هاليداي وحسن رقية للإشارة إلى مجموعة من الروابط التي تتحكم في تنضيد الجمل وتماسكها وترابطها لغويا وتركيبيا . ومن هنا، يحدث الاتساق " حين يتوقف تأويل عنصر من الخطاب على تأويل عنصر آخر منه، إذ يستلزم الواحد منهما الآخر. بمعنى أنه لا يمكن فهم أحدهما إلا باللجوء إلى الآخر . ومتى حدث

هذا تكون هناك علاقة تماسكية ، ويمكن أن يدمج العنصران، المستلزم والمستلزم في النص"

" يتعلق الأمر ، إذاً، بنسيج الخطا ب الذي يمكن تعريفه بكونه التنظيم الصوري للنص، وذلك في الحدود التي يضمن فيها هذا الأ خير استمرايته الدلالية. إن العلاقات بين الجمل ترصد بتعابير أو تراكيب صنفها هاليداي وحسن في خمس أسر علاقية كبرى، وهي: علاقات الإحالة، والاستبدال، والحذف، والوصل، والتماسك الم عجمي لقد أعطى هذا التنميط الذي تم تبنيه وتطويره من لدن النصانيين، زخما قويا لعديد الدراسات المنتظمة وفقا للمستويات الثلاثة: جملي، وعبر جملي، وفوق جملي"[138]

وعليه، يبنى النص - لسانيا- بواسطة مجموعة من الروابط اللغوية التركيبية، انطلاقا من الجملة الثانية حتى آ خر جملة في النص . ومن ثم، تحوي هذه الروابط الضمائر المتصلة والمنفصلة (أنا-أنت- أنت (بكسر التاء)- هو- هي- نحن-أنتما- هما-أنتم-أنتن-هم-هن-إياي-إياك-إياك(بكسر الكاف)-إياه-إياها-إيانا-إياكما-إياهما-إياكم-إياكن-إياهن-إياهم)؛، والضمائر المتصلة (ـي- ـك- ـه- ـها- ـنا ـ هما- ـكم- ـكن- ـهم- ـهن..)؛ والأسماء الإشارة (هذا- هذه- هذان-هاتان- هؤلاء- ثم- ثمة-هنا-هناك - هنالك-...)؛ والأسماء الموصولة (الذي- التي- اللذان- اللتان- الذين- اللائي...)؛ وحروف العطف (الواو، والفاء، وثم، ولكن، وبل، ولا)،

---

[138]- آن بافوا وجورج إليا سرفاتي: نفسه، ص:318.

وأدوات الشرط (إن- إذا - كيفما- أي- أنى- حيثما- متى...)؛ وتكرار الكلمات والألفاظ.

مظاهـــر الاتســـــاق	الأمثلـــــــة
الضمائر المتصلة	كتابه- تعامله- يخاطبك- أنا مسافر- إياي تقصد؟
الضمائر المنفصلة	أنا- أنت-هو- هي- نحن- أنتما- هم- هن
أسماء الإشارة	هذا-هذه-هذان-هاتان- ثمة
الأسماء الموصولة	الذي- التي-اللذان- اللتان- الذين...
حروف العطف	الواو- الفاء- ثم- لكن- بل-لا
التكرار	كلمات متكررة
أدوات الشرط	إن- إذا- مهما- أنى- كيفما- حيثما- متى- ...

وعليه، فالاتساق هو « ذلك التماسك الشديد بين الأجزاء المشكلة لنص / خطاب ما، ويهتم فيه بالوسائل اللغوية (الشكلية) التي تصل بين العناصر المكونة لجزء من خطاب أو خطاب برمته . ومن أجل وصف اتساق الخطاب / النص، يسلك المحلل - الواصف طريقة خطية، متدرجا من بداية الخطاب (الجملة الثانية منه غالبا) حتى نهايته، راصدا الضمائر

والإشارات المحلية، إحالة قبلية أو بعدية، مهتما أيضا بوسائل الربط المتنوعة كالعطف، والاستبدال، والحذف، والمقارنة، والاستدراك وهلم جرا. كل ذلك من أجل البرهنة على أن النص / الخطاب (المعطى اللغوي بصفة عامة) يشكل كلا متآخذا».[139]

وبناء على ماسبق، فالاتساق هو مظهر مميز للنص عن اللان ص؛ لأن المتكلم اللغوي يعرف النص إذا توفر على وحدة كلية، وترابطت أجزائه واتسقت وحداته، وتوفرت فيه مظاهر الوحدة والترابط . أما اللانص، فهو الذي يتسم بتفكك أواصره، وتهلهل روابطه البنيوية، وتمزق نسيجه النصي. ويعني هذا أن المتكلم يمتلك كفاءة نصية يستطيع بها أن ي ميز النص من اللانص . فالنص عبارة عن مقطع أو مقاطع لغوية يتوفر على روابط الاتساق اللغوية، كما يتميز بوحدة نصية كلية . أما اللانص، فهو عبارة عن مقطع لغوي، أو مقاطع لغوية، حيث الجمل والمتواليات غير مترابطة. ومن ثم، تتسم بالتفكك والتصدع البنيوي.

ومن هنا، يعتمد ا لاتساق على مجموعة من العناصر اللغوية التركيبية الظاهرة؛ مثل: الإحالة، والاستبدال، والحذف، والوصل، والاتساق المعجمي. وأكثر من هذا فالنص عبارة عن وحدة دلالية كبرى، تتحقق بوجود جمل مترابطة، ووسائل لغوية تخلق النصية، حيث تساهم في تأسيس البنية الكبرى أو الوحدة النصية الشاملة.

---

[139] - محمد خطابي: نفسه، ص:5.

ومن المعلوم أن للنص بنيتين : داخلية وخارجية، فالبنية الأولى تكمن في الوسائل اللغوية التي تربط أواصر مقطع ما . أما البنية الثانية، فتكمن في مراعاة المقام الخارجي أو المقتضى التداولي أو السياق النصي أو الذهني أو المرجعي . علاوة على ذلك، فالاتسا ق أنواع : الاتساق التركيبي، والاتساق الدلالي، والاتساق المعجمي . وفي هذا السياق، يقول محمد خطابي: «إن مفهوم الاتساق مفهوم دلالي، إنه يحيل إلى العلاقات المعنوية القائمة داخل النص، والتي تحدد كنص ». ويمكن أن تسمى هذه العلاقة تبعية، خاصة حين يستحيل تأويل عنصر دون الاعتماد على العنصر الذي يحيل إليه.

وقد يتداخل الاتساق ويختلط مع مفاهيم أخرى كالبنية وبنية الخطاب، فبالنسبة للاتساق وبنية الخطاب «ينبه الباحثون إلى أن الاتساق ليس اسما آخر لبنية الخطاب، وذلك لأن هذا المفهوم الأخير «يستعمل للإشارة إلى وحدة مفترضة أعلى من الجملة كالفقرة مثلا، بينما يأخذ مفهوم الاتساق بعين الاعتبار العلاقات في الخطاب.

ويمكن تشخيص أدوات الاتساق بما فيها الإحالة (المقامية) و(النصية)، والاستبدال، والحذف، والوصل، والاتساق المعجمي (تضاما وتكريرا) في هذه الخطاطة التوضيحية التالية:

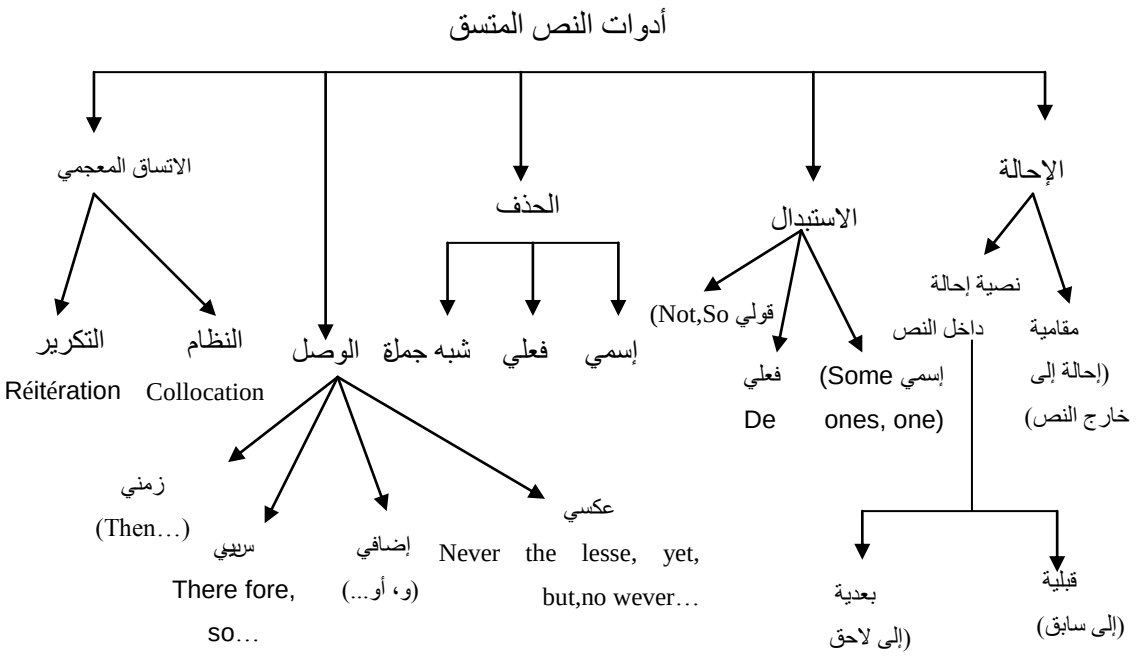

إذاً، فالنص المتسق هو ما ترابطت أجزاؤه ، وتلاحمت بنياته ، وانسجمت بأدوات لغوية وتركيبية؛ مثل: الإحالة التي تشير إلى الإرجاع، والعودة إلى المرجع المحال عليه . وتكون الإحالة بأسماء الإشارة ، والضمائر، وأدوات المقارنة. والإحالة هي علاقة دلالية أكثر مما هي علاقة نحوية، وقد تكون مقامية تراعي المقتضى الخارجي والسياق التداولي، وقد تكون نصية ذات إرجاع داخلي، وتكون علاقاتها قبلية وبعدية . ويذهب هاليداي ورقية حسن ، بهذا الخصوص، " إلى أن الإحالة المقامية "تساهم في خلق النص، لكونها تربط اللغة بسياق المقام، إلا أنها لا تساهم (...) في اتساقه بشكل مباشر، بينما تقوم الإحالة النصية بدور فعال في اتساق النص، ولذا

يتخذها المؤلفان معيارا للإحالة، ومن ثم يوليانها أهمية بالغة في بحثهما».[140]

من المعروف أن النص أو الخطاب الأدبي إحالة مرجعية وسياقية ومقامية وتداولية، فلا يمكن فهم الملفوظ النصي أو الخطاب باعتباره كلية عضوية متسقة ومنسجمة إلا إذا راعينا مفهوم الإحالة النصية والمقامية والسياقية . وقد تحدث هاليداي وحسن، في كتابهما **(الاتساق في اللغة الإنجليزية)**،عن الإحالة كثيرا، واعتبرا الإحالة مظهرا من مظاهر اتساق الخطاب اللغوي . ومن ثم، " يستعمل الباحثان مصطلح الإحالة استعمالا خاصا، وهو أن العناصر المحيلة كيفما كان نوعها لاتكتفي بذاتها من حيث التأويل، إذ لابد من العودة إلى ماتشير إليه من أجل تأويلها . وتتوفر كل لغة طبيعية على عناصر تملك خاصية الإحالة، وهي حسب الباحثين : الضمائر، وأسماء الإشارة، وأدوات المقارنة. تعتبر الإحالة علاقة دلالية. ومن ثم، لاتخضع لقيود نحوية ، إلا أنها تخضع لقيد دلالي، وهو وجوب تطابق الخصائص الدلالية بين العنصر المحيل والعنصر المحال إليه."[141]

وتنقسم الإحالة إلى إحالة مقامية ، وهي إحالة إلى خارج النص، وإحالة نصية لها علاقة وثيقة بالداخل النصي. وتنقسم الإحالة النصية بدورها إلى إحالة قبلية تحيل على سابق ما، وإحالة بعدية تحيل على لاحق ما . ويرى

---

[140] - محمد خطابي: نفسه ، ص: 17-18.

[141] - محمد خطابي: نفسه،ص:16-17.

هاليداي ورقية حسن أن الإحالة المقامية " تساهم في خلق النص، لكونها تربط اللغة بسياق المقام، إلا أنها لاتساهم في اتساقه بشكل مباشر"[142] بينما تقوم ا لإحالة النصية بدور هام في اتساق النص وترابطه تماسكا وانسجاما وتنضيدا.

أما مفهوم الاستبدال، فهو عبارة عن عملية نصية داخلية تعتمد على تعويض عنصر بآخر . فإذا كانت الإحالة علاقة معنوية تقع في المستوى الدلالي، فإن الاستبدال عملية معجمية - نحوية تقوم بين كلمات أ و عبارات. والاستبدال من مظاهر اتساق النصوص نظرا لعلاقته القبلية بين عنصر متأخر وعنصر متقدم.

وينقسم الاستبدال إلى ثلاثة أقسام : الاستبدال الإسمي، الاستبدال الفعلي، والاستبدال القولي . وإذا كانت العلاقة بين المحيل والمحال إليه (الإحالة) علاقة تطابق، فإن العلا قة بين المستبدل والمستَبدَل علاقة تقابل (الاستبدال). في حين، يعد الحذف عملية نصية داخلية، وعبارة عن علاقة قبلية عادة ما تستند إلى افتراض عنصر في النص السابق . فإذا كان الاستبدال يترك أثرا، فإن الحذف لا يترك ذلك؛ لأنه استبدال صفري. وإذا كان الاستبدال يمكن أن نملأ فراغه المفترض، فإن الحذف على عكس ذلك، لا يحل محل المحذوف أي شيء . والحذف أنواع ثلاثة : إسمي، وفعلي، وشبه جملة.

---

142 - Halliday, M.A.K and R.Hassan: **Cohesion in English**.Longman.London.1976.P:37.

وهكذا، فالحذف يتجلى دوره في الاتساق الذي يجب البحث عنه «في العلاقة بين الجمل، وليس داخل الجملة الواحدة (...) إن الحذف يقوم بدور معين في اتساق النص، وإن كان هذا الدور مختلفا من حيث الكيف عن الاتساق بالاستبدال أو الإحالة . ونظن أن المظهر البارز الذي يجعل الحذف مختلفا عنهما هو عدم وجود أثر عن المحذوف فيما يلحق من النص».[143]

أما الوصل، فهو مظهر اتساقي، ويحدد على أنه الطريقة التي يترابط بها اللاحق مع ال سابق بشكل منظم ومنسق [144] . ويكون على مستوى المتواليات والجمل، حيث تتماسك وتترابط عضويا ومنطقيا ولغويا وتركيبيا. والوصل، باعتباره مظهرا اتساقيا، قد يكون إضافيا، وسببيا، وعكسيا، وزمنيا.

ويعتبر الاتساق المعجمي آخر مظهر اتساقي لتحقيق تلاحم النص، وهو نوعان: التكرير (Réitération) والتضام (Collocation)، فالأول يتطلب إعادة عنصر معجمي، أو وجود مرادف له، أو شبه مرادف أو عنصرا مطلقا أو إسماً عاما . أما الثاني، فهو توارد زوج من الكلمات بالفعل أو بالقوة نظرا لاتباطهما بحكم هذه العلاقة أو تلك[145] .

---

[143] - محمد خطابي: نفسه ، ص: 22.

[144] - محمد خطابي: نفسه، ص: 23.

[145] - محمد خطابي: نفسه، ص 25.

تلكم-إذاً- أهم الروابط الاتساقية التي يلتحم بها النص حسب الباحثين اللسانيين هاليداي (Halliday) ورقية حسن (R.Hassan). وتلكم كذلك مختلف الوشائج اللغوية التركيبية التي تكون النص والنصية، ويتحقق بها التنسيق والتنضيد.بيد أن الباحثين يحصران الاتساق في العمل ذاته، لا في كفاية القارئ ودوره في بناء النص المنسجم.

المبحث الثاني: خاصية الانسجـــام

إذا كان الاتساق يستند إلى التماسك النصي اللغوي الظاهري، ويتحقق بترابط الجمل وتماسك المتواليات الصغرى، فإن الانسجام(Cohérence) يعتمد على عمليات ضمنية غير ظاهرة، يوظفها المتلقي لبناء ال نص وإعادة انسجامه ." ولايخص مفهوم الانسجام الذي وضعه بوغراند(Beaugrande)(1979) المستوى اللساني، بل يتعلق بتنظيم التمثلات المشكلة للعالم الذي يقيمه النص . وهو ينبني، بوصفه مفهوما خارج لساني ذا بعد معرفي، على القدرة الموسوعية للذوات التي تستطيع الحكم على تطابق معطيات العالم النصي مع المعطيات قبل اللسانية المشكلة لمعتقداتها ومعارفها عن العالم.

وإذا تعمقنا أكثر، فالفصل بين التماسك والانسجام هو أقل وضوحا مما يبدو عليه الأمر، وكما بين ديتري (Detrie) فالمفهومان، مع ذلك، غير منفصلين جذريا.فالتماسك ليس ظاهرة خاصة حسرب ، أو مجموعة فرعية للاتساق الخطابي، بل هو طريقة لبنائه أيضا: فعلى سبيل المثال، وفي إطار تدبير المعلومة، يعد مفهوم التدرج الموضوعاتي نفسه (يعالج بصفة عامة في إطار انسجام النصوص) عاملا من عوامل الانسجام الذريعي ، فالنص لايعد منسجما عند المخاطب إلا إذا كان مت ضمنا لتدرج موضوعاتي."[146]

---

[146]- آلان بافو وجورج إليا سرفاتي: نفسه، ص:319.

ومن يتأمل شعرنا العربي المعاصر- مثلا- ، فسيجده - على مستوى الظاهر- مبعثرا غير موصول. لكن يمكن للقارىء المفترض أن يعيد انسجامه وتشاكله من جديد عبر عمليات خفية وضمنية.

ومن هنا، فإن «الإنجاز اللغوي المكتوب خاصة (و كذا المتكلم) لا يسلك دوما هذه السبيل [يقصد سبيل الاتساق]، إذ كثيرا ما يجد المتلقي نفسه أمام نص / خطاب لا توظف فيه الوسائل التي أسلفنا الإشارة إليها - يقول محمد خطابي - وإنما توضع الجمل بعضها إلى جوار بعض دونما اهتمام من الكاتب بالروابط التي تجسد الاتساق . على أن هذا النوع من ال كتابة تمليه حينا ضرورات تواصلية (التلغراف، الإعلانات الحائطية) أو تجارية (إعلانات البيع والكراء، والخدمات ... في الجرائد)، وقد تكون خلفه، أحيانا أخرى، مقصدية إبداعية (الشعر الحديث مثلا، خاصة التوجه التجريبي فيه). حين يحدث هذا، فإن الاهتمام يتغير من اتساق الـنص / الخطاب إلى انسجامه. أي: إن على المتلقي، في هذه الحالة، أن يعيد بناء انسجام النص " الممزقة أوصاله "»[147].

ويمكن التمييز بين الا تساق والانسجام، فالأول يرتبط با لروابط اللغوية التركيبية الظاهرة ، مثل: الضمائر، وأسماء الإ شارة، وحروف العطف، والأسماء الموصولة، والتكرار، ... في حين، يستند الانسجام إلى مجموعة من العمليات الضمنية الخفية التي تسعف المتلقي في قراءة

---

[147] - محمد خطابي: نفسه ، ص: 5.

النص وبناء انسجامه، مثل : التغريض، والمشابهة، والأطر، والسيناريوهات، والمدونات، والتأويل، والخطاطات، والمعرفة الخلفية ... ومن هنا، فالانسجام مفهوم عام، بينما الإتساق مفهوم خاص، ويترتب على هذه المقارنة « أن الانسجام أعم من الاتساق، كما أنه يغدو أعمق منه بحيث يتطلب بناء الانسجام من المتلقي، صرف الاهتمام جهة العلاقات الخفية التي تنظم النص وتولده . بمعنى تجاوز رصد المتحقق فعلا (أو غير المتحقق) أي الاتساق، إلى الك امن (الانسجام). ومن ثم، وتأسيسا على هذا التمايز ، تصبح بعض المفاهيم، مثل موضوع الخطاب والبنية الكلية، والمعرفة الخلفية بمختلف مفاهيمها، حشوا إن أردنا توظيفها في مستوى اتساق النص / الخطاب، والعكس صحيح، أي إن الوسائل التي يتجلى بها اتساق النص عاجزة عن مقاربة (بناء) موضوع الخطاب، والبنية الكلية... لمعطى لغوي».[148]

وعليه، يتضمن النص أو الخطاب الأدبي عوالم غامضة من الدلالات العائمة والأفكار الضمنية التي تختفي وراء متاريس مجازية وإيحائية . ومن هنا، يتميز النص الأدبي عن الأقوال العادية بقوالب شعرية وتخييلية، ويتسم أيضا بقوة الانزياح والخرق والترميز والأسطرة والكثافة البلاغية المعقدة والمتشابكة. وهذا يحتاج إلى قارىء ومحلل وناقد تأويلي يفكك الدلالات، في ضوء مقاصدها وسياقاتها الوظيفية . ومن ثم، يتقيد بمبدأ التأويل المحلي الذي قال عنه محمد خطابي في كتابه (**لسانيات**

[148] - محمد خطابي: نفسه، ص 5 -6.

النص):"يرتبط هذا المبدأ بما يمكن أن يعتبر تقييدا للطاقة التأويلية لدى المتلقي باعتماده على خصائص السياق، كما أنه مبدأ متعلق أيضا بكيفية تحديد الفترة الزمنية في تأويل مؤشر زمني مثل :" الآن"، أو المظاهر الملائمة لشخص محال إليه بالاسم " محمد" مثلا. ويقتضي هذا وجود مبادىء في متناول المتلقي تجعله قادرا على تحديد تأويل ملائم ومعقول ... في مناسبة قولية معينة .إن أحد هذه المبادىء هو التأويل المحلي الذي يعلم المستمع بألا ينشىء سياقا أكثر مما يحتاجه من أجل الوصول إلى تأويل ما؛ فبهدف تقييد التأويل، يضطر المتلقي إلى اعتبار ماتقد م خاصة (وهو ما يسمى في اصطلاح ليفيس " الخطاب السابق")."[149]

ويعني هذا كله أن الدارس للنص الأدبي لابد أن يراعي المقصدية والسياق والإحالة في عملية التأويل إن تفكيكا وإن تركيبا.

ومن الذين دافعوا عن التأويل السياقي والإحالي نذكر : الفيلسوف الفرنسي بول ريكور الذي تجاوز ثنائية فرديناند دوسوسير : الدال والمدلول، لينفتح على المرجع. ويعني هذا أن اللسانيات البنيوية والسيميائيات قد أقصيتا من حسابها الإحالة أوالمرجع . بينما سيميوطيقا بول ريكور أعادت لها الاعتبار؛ لأن المؤول لاينبغي أن يقف عند حدود التفسير العلمي للواقعة النصية، فلا بد أن يقرأ النص قراءة ذاتية من أجل فهم الذات، وفهم الغير، وفهم العالم الخارجي لتأسيس هويته الشخصية . ومهما كان النص تخييليا أو علاماتيا أو رمزيا، فإنه ينقل عبر استعاراته ولغته ومخياله العالم

---

[149] - محمد خطابي: نفسه، ص:56.

الخارجي، أو المعطى الواقعي المادي محاكاة وتماثلا وتقابلا . ومن ثم، تضع سيميوطيقا ريكور تقابلا بين البنيوية باعتبارها علما لعالم مغلق من العلامات، والهيرمونيطيقا باعتبارها مقاربة تأويلية تفسيرية للمرجع اللغوي في علاقته بالعالم والسياق الوظيفي.

علاوة على هذا، فلقد استندت الدراسات الغربية، في بحثها عن انسجام النص، واتساق الخطاب، إلى نوعين من الخطابات : الكلام اليومي العادي، والسرد التقليدي البسيط الخاضع للبناء السببي، والحدث المنطقي. ولكن لم تهتم بالخطاب الشعري ، ولاسيما المعاصر منه الذي يفتقد الاتساق والانسجام معا. إلا أن الباحث المغربي محمد خطابي أبى إلا أن يجرب مفهوم الانسجام وآلياته على الشعر العربي المعاصر، وخصوصا قصيدة أدونيس المعنونة بـ **(فارس الكلمات الغريبة)**، مستهدفا بذلك بناء انسجامها وترابطها الاتساقي المفقود ، وبالضبط في كتابه **(لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب)**.

بيد أن البحث في انسجام الشعر المعاصر، في رأيي، عمل زائد لاجدوى منه، وتحصيل حاصل ؛ لأن الشعر يعرف بالانزياح والغموض و عدم الاتساق والانسجام. بينما النثر مطالب بالا تساق والانسجام. فكيف أمكن للباحث بذل ذلك الجهد والطاقة في البحث عن خاصية لا تراعى في الشعر ، وغير مطلوبة فيه، وهي خاصية الانسجام. وإذا كان الشعر مبنيا على تحطيم الانسجام وخرق المعيار ، أليس من العبث البحث عن

انسجامه وأصوليته، ونحن أمام نص شعري ؟!! وإلا سنكون أمام نص نثري متسق.

وهكذا، أقر أن البحث في انسجام الشعر هو عمل ينافي شاعرية النص الشعري وخصوصياته؛ لأن الشعر مبني على الخرق والانتهاك المقصود للمعيار. فلما تناول الباحثون الغربيون مظاهر الاتساق والانسجام في النصوص الخطابية العادية والخطابات السردية ذات المنطلق الحكائي السببي أو الحدثي، كانوا على صواب في ذلك؛ لأن النثر مبني على المنطق، والترابط العقلي، والاتساق، والانسجام. أما الشعر، فهو قائم على التخييل في العوالم الممكنة، والتخريب المقصود للغة. وإذا كان هذا رأي الباحثين الأور وبيين؛ أمثال: جان كوهن (Cohen)، وتودوروف (Todorov)، ورومان جاكبسون... (R. Jackobson)، وخصوصا القائلين بنظرية الانزياح والخرق الأدبي، فإن بعض الدارسين المغاربة (محمد خطابي ومحمد مفتاح) أرادوا تجريب مفاهيم لسانيات النص المطبقة على الكلام العادي والخطاب السردي المنطقي على الشعر المعاصر، من أجل بناء الانسجام، معتقدين أن الغربيين أغفلوا تطبيق تلك المفاهيم على النص الشعري؛ لما يترتب عن ذلك من صعوبات نظرية ومنهجية وتطبيقية. ولكن الصواب هو عدم اقتناعهم بذلك العمل الذي يتنافى مع خصوصيات الشعر بصفة عامة ، والشعر المعاصر بصفة خاصة .

ويذهب - محمد مفتاح – إلى أن "كتب " " أنحاء النص " و"تحليل الخطاب " و "لسانيات النص " تعتمد جميعا، في وصفها وفي صياغة قواعدها ، على الأمثلة المصنوعة، أ و على اللغة الشعبية الم غرقة في الخصوصية. وقلما تلجأ إلى أمثلة طبيعية عادية أو أدبية . بيد أنها لم تجعل موضعا لتحرياتها النص الشعري الحقيقي.

إن هذا الموقف ليس خاصا بـالاتجاهات اللسانية على مختلف مشاربها، وإنما نجده في سيمائيات (كريماص)، فقد اهتم هو وأتباعه ب النص الشعري بعض الاهتمام في أعمالهم الصادرة في السبعينيات، أو في بعض ما يصدر عنهم الآن، ولكن لم يذهبوا بعيدا في اكتشاف الخصائص المميزة للنص الشعري، ما عدا جماعة مو (Mu) في كتابها (**بلاغة الشعر**). أما أتباع دلائلية پرس (Perce)، فإن بعضهم اعتنى بالنص الشعري ، أمثال: أمبرتوإيكو (ECO) ورفاتير (Riffaterre) خصوصا. ولعل هذه الدلائلية أكثر نجاعة في تحليل بعض الأنواع الشعرية الحديثة والمعاصرة من أية نظرية أخرى».[150]

هذا، ولقد تناول محمد مفتاح ، في كتابه (**دينامية النص**)، مفهومي: الاتساق والانسجام. بيد أنه أطلق مفهوم الالتحام على مصطلح الاتساق . ومن ثم، فالالتحام لدى الباحث هو الذي «نشتق منه التنضيد والتنسيق، ومع أنه من الصعوبة بمكان الفصل بين هذين المفهومين، فإننا سنفعل ذلك

---

[150] - محمد مفتاح: (النقد بين المثالية والدينامية) ، **الفكر العربي المعاصر، من النص إلى الخطاب**، عدد 60 -61، ص: 21.

مواضعة. وهكذا، فإننا سنعني بالتنضيد : الجمل التي نجد فيها أدوات العطف ومختلف الروابط الأخرى التي تعل ق جملة بجملة، وبالتنسيق . العلاقات المعنونة والمنطقية بين الجمل حيث لا تكون هناك روابط ظاهرة بينها.»[151]

ويضيف الباحث أن هذا الالتحام «وما يقتضيه من تنضيد وتنسيق هو ما يدعى - غالبا- بانسجام النص لدى الدارسين البنيويين المحافظين والمحللين للخطاب من اللسانيين، و يمكن التمثيل لهؤلاء بالمناطقة والمدرسة الفرنسية النقدية، فقد وضع المناطقة والمدرسة الفرنسية مسألة المرجع بين قوسين، إذ حولوا اهتمامهم من صدق القضايا وكذبها، ومن "انعكاس " الواقع في النص إلى التركيز على تنضيد النص واتساق معاني جمله و(قضاياه) أفقيا وعموديا، ومهما تولت مواقفهم، فإننا نجدهم يؤكدون على أن النص ليس إلا إيهاما مرجعيا، وليس له مؤلف معين وإنما هو ينسل نفسه أو يتناسل بغيره. »[152]

إذا كان محمد خطابي يستعمل مصطلحي الاتساق والانسجام، فإن محمد مفتاح يفضل مصطلحي التنضيد والتنسيق.

وعليه، يمكن أن نحكم على نص بالانسجام انطلاقا من معيار القراءة، وتفكيك العلاقات الداخلية للنص، من أجل تركيب بناء متسق ومنسجم .

---

[151] - محمد مفتاح : **ديناميةالنص (تنظير وإنجاز)** ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى سنة 1987م، ص: 44.

[152] - محمد مفتاح: نفسه ، ص: 44.

وفي هذا الصدد، يقول محمد مفتاح عن مفهوم الانسجام، بعد انتهائه من الحديث عن الالتحام ، «بيد أن هذا التناول صار غير كاف، فالنص له مؤلف وله متلق في مقتضيات أحوال، بل إن مقتضيات الأحوال هي التي تصنع النص إلى حد بعيد، ومن ثم صار الاهتمام بتداول النص أمرا ملحا، وبالبحث عن أسباب كينونته ومؤشراتها التي تكون غالبا في النص بكيفية صريحة أو يلمح إليها لتستخلص أمرا مطلوبا ؛ وعلى هذا يمكن أن نسمي " نصا منسجما بالنسبة إلى تأويل معطى إذا كانت العلاقة الداخلية في النص الذي منعت له (تلك العلاقة) تحتوي الظهور الصريح أو المتوقع لكل حالات الأشياء في حصيلة نهائية للتأويل.»[153]

ومن هنا، يجب على القارئ أو الدارس، أثناء تفاعله مع النص فنيا وجماليا، وخاصة النص الشعري المعاصر، أن يبني دلالة النص المفكك، فيحقق له مدى انسجامه واتساقه، ثم يبحث عن مظاهر التحامه، بالتوقف عند مجموعة من أدوات التنضيد والربط والتماسك النصي . و«إذا كان الزمان والفضاء- يقول محمد مفتاح- من بين ثوابت النص، فإنهما بالضرورة - ضامنان لانسجامه المعنوي على الخصوص، إذ ليس هناك نص بدون رسالة موجهة إلى متلق حقيقي أو مفترض تحتوي على معلومات متراكمة تيسر فهمها وتأويلها. على أن بعض أنواع النصوص - ومنها الشعر العربي المحدث والمعاصر – تفاجئ المتلقي الذي لا مراس له في الجمال، فقد يكون النص عبارة عن أصوات مشتتة أو كلمة

[153] - محمد مفتاح: نفسه : ص: 44.

مشطورة، أو عبار ات مبعثرة داخل فضاء ... ومع كل هذا، فإن المحلل غير معفى من استخلاص معنى منسجم "للنص" مهما كلفه ذلك من عناء، ومن منحه دلالة ملائمة مهما كلفه ذلك من مشقة. »[154]

ومن أجل البحث عن الانسجام، وتحديد مظاهره، اقترحت اللسانيات اللسانية مجموعة من الميكانزمات والآليات لفـهم أي خطاب، كيفما كانت هويته، وأهم هذه الآليات النظرية والمنهجية ما يلي:

❶التساؤل عمن فعل ؟ وماذا فعل ؟ وأين ؟ ومتى ؟ وكيف ؟ ولماذا ؟

❷الارتباط المعجمي بنوعيه الكبيرين: التراكمي والتقابلي.

❸الارتباط التركيبي الحاصل بالضمائر، وأداة التعريف، واسم العلم، وأسماء الإشارة، وبعض أدوات العطف، والتوازي، والتعادل، ...

❹نظرية الإطار، والحوار، والمدونات...[155]

وإذا لم تساعده هذه الآليات في خلق انسج ام النص والتحامه، فلابد أن يلتجىء إلى الاستنباط والتأويل والقراءة الذكية . وفي هذا، يقول مفتاح : «غير أن هذه الآليات جميعا قد لا تسعف المحلل في الربط بين معاني النصوص المشتقة والمبعثرة الخارقة لكل الأعراف اللغوية المتعارفة، وحينئذ فإنه لا يبقى مكتوف الأيدي، وإنما يلجأ إلى تقنية الاستنباط بنوعيه المهمين ليملأ الثغرات الموجودة في النص . إلا أنه على المحلل ألا يتخذ

---

[154] - محمد مفتاح: نفسه ، ص: 52

[155] - محمد مفتاح: نفسه، ص: 52 -53.

ملء الفجوات ذريعة ليسير في هذيان محموم، ولكن عليه أن يتقيد بقواعد للقراءة والتأويل.»[156]

وهناك مجموعة من الضوابط المقننة لقراءة النص غير المنسجم قصد بناء التحامه واتساقه وانسجامه، مثل:

❶مراعاة الانسجام القولي المتمثل في مبدأ المشابهة المستقى من تجارب المحلل السابقة اللغوية.

❷ مراعاة الانسجام العرفي المستمد من تجاربه الحياتية وتقاليده.

❸ مراعاة مبدأ التأويل المحلي.[157]

ومن بين العوامل المساعدة على تماسك النص وانسجامه، نحد البرهنة (L'argumentation)، والسردية (L'anarrativité). ويلاحظ (J.Petofi) «أن مفهوم التماسك النصي يمكن أن يكون موازيا لمفهوم الأصولية أو النحوية في "نحو الجملة ". ولهذا، فهو يرى، أنه يمكن الحديث عن نص جيد التركيب . مثلما نتحدث عن جمل جيدة التركيب . إن هذه التحديدات لا تثير أية إشكالية عند المتتبعين والمهتمين بنحو النص، حيث يستنتج « Petofi » أنه ما دام مصطلح النصية (Textualité) يعد مصطلحا مجانسا لـ "النحوية " فهو- إذاً- مفهوم لساني»[158]

---

[156] - محمد مفتاح: نفسه ، ص: 53.

[157] - محمد مفتاح: نفسه ، ص: 53.

[158] - عبد الجليل غزالة: (نحو النص بين النظرية والتطليق) ، ص: 12.

وهكذا، فعلم الخطاب يبحث عن مظاهر انسجام النصوص واتسا قها، ومظاهر نصيتها، وكيفية بناء انسجام النصوص واتساقها والتحامها وتنضيدها.

وثمة عدة منظورات تناولت الانسجام والاتساق في الحقل الغربي ، مثل : منظور لسانيات الخطاب، ومنظور تحليل الخطاب، ومنظور اللسانيات الوصفية، ومنظور الذكاء الاصطناعي . ولا ننسى أن هناك محاولات عربية قد سبقت إلى معالجة الانسجام والاتساق، وخاصة في مجال البلاغة العربية، حيث الحديث عن الفعل والوصف، وتحديدها لمظاهر الاتساق المعجمي بالمطابقة، ورد العجز على الصدر، والتكرير، والبناء، والمناسبة، إلى جانب عنصر التمثيل .. وأيضا في مجال النقد الأدبي، عندما تحدث النقاد العرب القدامى عن وحدة القصيدة وتماسك النص لدى الجاحظ ، وابن طباطبا العلوي، والحاتمي، وحازم القرطاجني . علاوة، على الدراسات القرآنية التي اهتمت بدراسة تماسك القرآن وانسجامه واتساقه من خلال التوقف عند : العطف، والإحالة، والتكرير، وموضوع الخطاب، وترتيب الخطاب، والعلاقات الإجمالية والتفصيلية، والمناسبة والتناسب.

أضف إلى ذلك دراسة المناسبة بين الآيات، ومناسبة خاتمة السورة لفاتحتها، ومناسبة فاتحة السورة لخاتمتها التي قبلها، ومناسبة السورة للحرف الذي بنيت عليه، والمناسبة بين السورة واسمها.

والآن، يمكن التوقف عند مجموعة من آليات الانسجام التي يمكن حصرها في ما يلي:

المطلب الأول: البنية الكليـــة

أول ما يقوم به المتلقي هو إدراك مو ضوع النص أو الخطاب، واستجلاء بنيته الكلية، سواء أكانت دلالية أم معجمية أم تركيبية أم تداولية . فمن خلال رصد البنية الكلية، يتحكم القارىء في دلالات النص وموضوعه.

وهكذا، فلكل « خطاب بنية كلية ترتبط بـها أجزاء الخطاب . وإن القارئ يصل إلى هذه البنية الكلية عبر عملي ات متنوعة تشترك كلها في سمة الاختزال. على أن البنية الكلية ليست شيئا معطى، حتى وإن كانت هناك بنيات مننوعة أو مؤشرات على وجود هذه البنية، وإنما هي مفهوم مجرد (حدسي) به تتجلى كلية الخطاب ووحدته (..) تعد البنية الكلية افتراضا يحتاج إلى وسيلة ملموسة توضحه وتج عله مقبولا كمفهوم، وقد وجد ديك أن مفهوم "موضوع الخطاب " هو هذه الوسيلة، وإن كنا لا نلمس الفروق بين هذين المفهومين، ونعني "موضوع الخطاب " و "البنية الكلية "»[159].

ويعني هذا القول أن هناك تقاربا بين البنية الكلية وموضوع الخطاب، ماداما يهدفان إلى تمثيل دلالي لقضية ما أو لقضايا عديدة يطرحها النص، أو اختزال معنوي للخطاب بأكمله.

---

[159] - محمد خطابي: نفسه، ص: 46.

المطلب الثاني: العنـــوان

لا يخفى على الجميع أن العنوان عنصر ضروري في مقاربة النصوص الشعرية وتفكيكها من أجل بنائها من جديد، فالعنوان " يمدنا بزاد ثمين لتفكيك النص ودراسته، ونقول هنا : أنه يقدم لنا معونة كبرى لضبط انسجام النص وفهم ما غمض منه، إذ هو المحور الذي يتوالد ويتنامى ويعيد إنتاج نفسه، وهو الذي يحدد هوية القصيدة، فهو إن صحت المشابهة بمثابة الرأس للجسد، والأساس الذي تبنى عليه، غير أنه إما أن يكون طويلا فيساعد على توقع المضمون الذي يتلوه، وإما أن يكون قصيرا، وحينئذ، فإنه لا بد من قرائن فوق لغوية توحي بما يتبعه "[160].

ومن ثم، فالعنوان هو بؤرة النص و "تيمته" الكبرى التي يتمحور حولها، وما النص إلا تكملة للعنوان وتمطيط له، بالتوسيع فيه دلاليا ومعجميا وتداوليا، وتقليبه في صيغ بنائية مختلفة. أضف إلى ذلك أن العنوان يشكل خطابا أو نصا مستقلا في حد ذاته . إنه نواة معنوية أساسية، وكل ما تلاه من ملفوظ فهو عبارة عن شرح وتوضيح له . وهكذا، فالعنوان الذي يوجد في أعلى الصفحة هوأساس كل خطاب شعري، وعليه تبنى المقطوعة أو النص الشعري، عبر عمليات التحوير والشر ح والتمطيط والإسهاب في المعنى وتفصيله . لذا، يمكن القول : إن القصيدة الشعرية الحديثة هي

---

[160] - محمد مفتاح : **ديناميـة النص (تنظير وإنجاز)** ، ص: 72.

العنوان في الحقيقة؛ لأنه المركز، وما عداه فهو المحيط، والعلاقة بينهما هي علاقة جدلية، تتمثل في تفاعل النص مع العنوان عبر آليتي الانسجام والتأويل. أي: ننطلق من العنوان إلى النص، ومن النص إلى العنوان ، بمراعاة السياق الداخلي والخارجي.

لذا، فلا بد من دراسة العنوان في الخطاب الشعري لإثراء النقد الأدبي، وإغناء المقاربات الوصفية التي حاولت قراءة هذا الخطاب . وكثير من الدراسات النقدية التي قاربت النص الشعري أهملت العنوان باعتباره عنصرا إشكاليا زائدا لا علاقة له بالنص . ومن ثم، لا يستحق أي اهتمام . إن العنوان في الحقيقة هو صلب الموضوع ، وجوهر النص ، ونواته الأساسية. إنه مكون ضروري في بناء النص الشعري، فشأنه شأن مختلف مكونات النص المعطى، ليس مجرد تكملة أو حلية زائدة، بل هو من منظور - بعض المحللين - نقطة انطلاق كل تأويل للنص. في الوقت الذي يرتل فيه القارئ إستراتيجية تأويلية، تنطلق من النقطة إلى القاعدة، وتخلق توقعات حول ما يحتمل أن يكونه اللاحق في النص . ويعتبر امتلاك العنوان من هذا المنظور أول الحيل التاكتيكية في مواجهة النص .[161]

وهكذا، يتبين لنا أن العنوان من أهم الوسائل التي تحقق انسجام النص ومقروءيته الدلالية والفنية والجمالية والوظيفية.

---

[161] - محمد الماكري: **الشكل والخطاب- مدخل لتحليل ظاهراتي** ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى سنة1991م، ص:253.

المطلب الثالث: المماثلة والمشابهــة

يقوم مبدأ المماثلة أو المشابهة بدور هام في تحقيق انسجام النص واتساقه؛ لأن تعود المتلقي على مجموعة من النصوص والخ طابات، وتملك قواعدها وخصائصها ومكوناتها وسماتها ، تدفعه إلى تطبيق ما تخزن لديه من نصوص مشابهة أو مماثلة على النصوص الجديدة. بمعنى أن القارىء إذا واجه نصا جديدا ، وكانت لديه معرفة مسبقة بطبيعة هذا النص الجديد، إذ سبق أن اطلع على نصوص سابقة تشبه هذا النص الج ديد، فيمكن أن يطبق عليه المتلقي التعليمات والمقاييس والأحكام نفسها التي طبقها على النصوص السابقة .إذاً، بالمشابهة نستطيع أن نتلقى النصوص بغية خلق انسجامها . ويوضح محمد مفتاح هذا الأمر بشكل واضح بقوله :" إن نصا ما إذا كانت خصائصه الذاتية هي : (+أ،+ب،+ج،+د...) ، ونصا آخر إذا كانت خصائصه الذاتية هي : (+أ،+ج، ،+د...) ، فإن العلاقة بينهما هي علاقة مماثلة، إذ لاتفرق بينهما إلا خاصية ذاتية واحدة هي:(+ب)، أما إذا كانت الخصائص الذاتية لنص ما (+أ، +ب،+ج...)، وكانت الخصائص الذاتية للآخر هي(+ب،+ص،+ك...)، فإن العلاقة بينهما هي المشابهة، إذ ليست هناك إلا خاصة ذاتية متراكمة واحدة . بناء على هذا التحليل

الوضعي القائم على المماثلة والمشابهة ، فإن الباحث يحكم على درجة العلاقة بين النصوص."[162]

إن مبدأ التشابه، اعتمادا على التجارب السابقة للمتلقي، عامل من عوامل انسجام النص، وتحقيق اتساق الخطاب؛ لأن القارئ الذي تعود على تحليل النصوص، وتحديد الأجناس والأنواع الأدبية والأشكال الفنية، حيث تراكمت لديه مجموعة من التجارب والعادات، يستطيع بكل سهولة، أن يقارب الخطابات ويجنسها اعتمادا على تجار ب متشابهة. وهكذا، فمبدأ التشابه يقوم بدور كبير في ال تحليل وتأويل النصوص، استنادا إلى التجارب السابقة، والنصوص المستضمرة في الذاكرة اللاوعية للقارئ .

إذاً، « يعد مبدأ التشابه ، من هذا المنطلق، أحد " الإشكاليات الأساسية التي يتبناها المستمعون والمحللون في تحديد التأويلات في السياق »؛ على أنه لا ينبغي أن يفهم من هذا أن مبدأ التشابه عصا سحرية تمكن آليا من مواجهة جميع أنواع الخطاب مهما كانت حدتها ومهما كان اختلافها عن الخطابات السابقة، ففي الواقع كثيرا ما تكون توقعاتنا سليمة متوافقة مع ما هو موجود في النص، ولكن مع ذلك «يمكن أن تكون التعاقدات مزدراة والتوقعات مشوشة، أتم ذلك عن قصد أو من أجل أثر أسلوبي، أو بشكل غير مقصود ..."وحين يحدث هذا يحصل تعطل مرحليا، في الفهم

[162]- محمد مفتاح: نفسه، ص:83-84.

والتأويل، ولكن قدرة الإنسان على التكيف مع المستجدات وخلق الأدوات المناسبة للمقاربة لا تتعطل أبدا».[163]

فلتحقيق الانسجام، لا بد من مراعاة السياق، ومبدأ التأويل المحلي، المبني على تعدد التجارب السابقة وتراكمها لدى القارئ، مع اكتساب عادات ومفاهيم وتصورات وتقنيات منهجية، تسمح بتطبيقها على نصوص جديدة قصد تأويلها على أنها خطابات منسجمة.

المطلب الرابع: مبدأ التأويل المحلي

مبدأ التأويل المحلي هو تقييد للتأويل لدى القارئ أثناء تفاعله مع الخطاب، في إطار سياقه التواصلي، إذ ليس من المعقول أن يكون التأويل لدى المستمع أكثر مما يستحقه السياق التفاعلي للخطاب . ومن ثم، فإن مبدأ التأويل المحلي «ليس إلا جزءاً من استراتيجية عامة وهي "التشابه" بحيث أن تقييد تأويلنا (...) ليس مرتبطا فقط بطبيعة الخطاب وبسلامة تأويله وإنما تمليه أيضا، بشكل من الأشكال، تجربتنا السابقة في مواجهة نصوص ومواقف سابقة تشبه من قريب أو من بعيد، النص أو الموقف الذي نواجهه حاليا . وتشمل هاتين الاستراتيجيتين (مبدأ التأويل المحلي، ومبدأ التشابه) استراتيجية أعم منهما وهي معرفة العالم.

وبهذه الطريقة إذن ندرك أهمية التأويل المحلي الذي يقيد السياق (ويقيد تبعا لذلك الطاقة التأويلية للقارئ».[164]

---

[163] - محمد مفتاح: نفسه ، ص: 58.

[164] - محمد مفتاح: نفسه، ص: 57.

ويعني هذا أن فهم النص وتفسيره مرتبطان باستحضار السياق النصي ومبدأ التأويل المحلي.

المطلب الخامس: مبدأ التغريض

يعد التغريض عنصرا من عناصر انسجام الخطاب؛ لأن القارئ -غالبا- ما يستند إلى "التيمة " أو العنوان، أو نقطة بداية قول ما لتأويل الخطاب من أجل بناء انسجامه، وتحقيق اتساقه.

ومن ثم، "فالتيمة " تتحكم في التأويل وقراءة النص . «ولما كان الخطاب ينتظم على شكل متتاليات من الجمل متدرجة له ا بداية ونهاية، فإن هذا التنظيم، يعني الخطية، سيتحكم في تأويل الخطاب، بناء على ما يبدأ به المتكلم أو الكاتب، سيؤثر في تأويل ما يليه، وهكذا، فإن عنوانا ما سيؤثر في تأويل النص الذي يليه».[165]

وإلى جانب التغريض الدلالي (Thématisation)، هناك مفهوم البناء، وهو مفهوم أكثر عمومية من المفهوم "التيماتي "، ويعرفه غرايس بقوله: «كل قول، كل جملة، كل فقرة، كل حلقة، وكل خطاب حول عنصر خاص يتخذ كنقطة بداية».[166] فالبناء، إذا، هو مركز يؤثر في تأويل القارئ. وأهم

[165] - Brown.G.and.G.Yule : Ibid p.67.

[166] - محمد خطابي: نفسه، ص: 59.

عنصر تبتدئ به شبكة الدلالات وتنفتح به أغوار النص، وتتضح أبعاده ومراميه. ويقول محمد خطابي : «وفي اعتقادنا أن مفهومي التغريض والبناء يتعلقان بالارتباط الوثيق بين ما يدور في الخطاب وأجزائه وبين عنوان الخطاب أو نقطة بدايته، مع اختلاف فيما يعتبر نقطة بداية حسب تنوع الخطابات . وإن شئنا التوضيح قلنا أن في الخطاب مركز جذ ب يؤسسه منطلقه وتجوم حوله بقية أجزائه.

وينبغي أن نميز بين التغريض كواقع وبين التغريض كأجزاء خطابي يطور وينمي به عنصر معين في الخطاب . وقد يكون هذا العنصر إسم شخص أو قضية ما أو حادثة...»[167].

وعليه فمن وظائف العنوان، من خلال ما سبق ذكره:

❶وظيفة الانسجام والاتساق والتنضيد اللساني.

❷وظيفة التغريض (التيماتي) -Thématisation –.

❸وظيفة بناء النص بناء كليا، وتعالقه عبر علاقات التنسيق والالتحام.

أما عن الطرائق التي يتم بها تغريض العنونة، فهي:

❶تكرير إسم الشخص وتبئيره.

❷استعمال الضمائر المرجعية المحلية عليه.

❸تكرير جزئا من اسمه.

❹استعمال ظرف زمان يخدم خاصية من خصائصه أو تحديد دور من أدواره في فترة زمنية...[168]

---

[167] - محمد خطابي: نفسه، ص: 59.

ومن هنا، فالتغريض يحقق انسجام النص على المستوى الدلالي والموضوعاتي.

المطلب السادس: المعرفة الخلفية

يقصد بالمعرفة الخلفية الحوارية التناصية، وتخزين المكتسبات والموارد بغية إدماجها أثناء مواجهة وضعيات نصية أو خطابية جديدة . وهي أيضا تراكم المعارف والتجارب في الذاكرة، وسحبها من جديد أثناء التفاعل مع نصوص جديدة. لأن القارئ عندما يواجه نصا ما لا بد أن يستحضر جميع المعلومات والأخبار المتراكمة حول ذلك الموضوع الذي يشير إليه النص، فلا يمكن له أن يدخل إلى أعماق النص وهو خاوي الوفاض . لذا، ينبغي عليه أن يتسلح بذاكرة مليئة بالمعارف والمعلومات قصد توظيفها، أثناء تقبل نص ما. أما المعلومات المخزنة، فهي منظمة ومرتبة بشكل ما، على غرار البرمجات الإعلامية والتحسيبية.

إن المعرفة الخلفية هي مخزنة في ا لذاكرة في شكل أطر وبنيات ومعطيات. ويعتبر مينسكي واضع نظرية الأطر حسب براون ويول (Brawn etYulle)، حيث طورها وجعلها تهتم بالمجال البصري والذاكرة البصرية. ويقول مينسكي عن تلك الوضعيات الجاهزة أو الأطر المعرفية: «حين يواجه شخص ما وضعية جديدة (...) فإنه يختار م ن

---

[168] - محمد خطابي: نفسه، ص: 59.

الذاكرة بنية تسمى إطارا . وهو إطار متذكر للتكيف مع الواقع عن طريق تغيير التفاصيل حسب الضرورة.»[169]

ومن هنا، تحضر المعرفة الخلفية في شكل مفاهيم، وخطاطات، ومدونات، وسيناريوهات، ومعارف، وموارد، ومكتسبات، تساهم كلها في انسجام النص واتساقه.

المطلب السابع: الأطر، والمدونات، والسيناريوهات، والخطاطات

تعد المدونات، والسيناريوهات، والأطر المفاهيمية، والخطاطات من أهم الوسائل الضرورية لخلق انسجام النص الدلالي والمعجمي والمقامي والوظيفي. ومن ثم، يعرف محمد مفتاح الأطر بأنها «شبكة من العلاقات يكون مستواها النموذجي الأول م طابقا لأحداث ثابتة - Stereotyped – متعلقة بأوضاع نموذجية، وشبكة دنيا هي تحققات لتلك الشبكة، وبتعبير آخر، فإن الأطر تتكون من عناصر ضرورية (Slot)، وعناصر اختيارية مالئة (Filler) لتلك العناصر الضرورية المجردة.»[170]

أما المدونات، فهي ترتكز على متواليات الأحداث التي تصف وضعية ما، ولقد طبق روجي شانك (Roger Schank)[171]، مفهوم المدونة على فهم النص. ومن ثم، فالمدونات في الحقيقة هي «متتالية ثابتة من الأحداث

---

[169] - Brown and Yule: **Discourse Analysis**.C.U.P.London198. p. 238.

[170] - محمد مفتاح: **ديناميةالنص ،** ص: 26.

[171] - Samet. J.and Scank. R: (Coherence and connectivity) in linguistics and philosophy – Vol 7. N°1 p.57-82.

النموذجية التي تصف وضعا – أي تتالي العلاقات الزمانية والمكانية وانتظامهما.»[172]

أما السيناريو، فقد استعمل ه سانفورد وگار ود (1981) لفهم عمليات الانسجام، ويسمى كذلك (حوارات) وهي تتسم بالتتابع والتتالي.[173] ومفهوم السيناريو يستغل في وصف « المجال الممتد للمرجع ، المستعمل في تأويل نص ما، وذلك لأن المرء يملك أن يفكر في المقامات والوضعيات كعناصر مشكلة للسيناريو التأويلي الكامن خلف نص ما. وبشكل عام، لا تختلف نظرية السيناريو عن النظريات السابقة ما دامت الوضعيات الموصوفة جاهزة في السيناريوهات، وهي تتضمن أيضا فراغات تتعلق ببعض العناصر المشكلة للوضعية والتي يسهل على القارئ ملؤها بمجرد تنشيط سيناريو مرتبط بهذه الوضعية أو تلك».[174]

أما الخطاطات (Scripts)، فهي إلى حد كبير تشبه المدونات، إذ يعني كل منهما التتابع والترابط[175]، وهي من علامات انسجام الخطاب، وهي تضم بنيات معرفية «تضم توجيهات حتمية تهيئ المجرب لتأويل تجربة ما بطريقة ثابتة».[176]

---

[172] - محمد مفتاح: نفسه، ص: 26.

[173] - محمد مفتاح: نفسه: ص: 26.

[174] -محمد خطابي: نفسه، ص: 66.

[175] - محمد خطابي : نفسه، ص: 26.

[176]- محمد خطابي: نفسه ، ص: 67.

لقد ذهب كل من براون ويول (Brown et Yule) إلى أن «الخطاطات تزود محلل الخطاب بطريقة لتفسير الخطاب وتأويله، وهي بذلك وسيلة لتمثيل تلك المعرفة الخلفية التي نستعملها كلنا، ونفترض أم الآخرين يستطيعون استعمالها أيضا، حين ننتج أو نؤول الخطاب.»[177]

وعليه، تعد التقنيات الحاسوبية من مفاهيم، ومدونات، وخطاطات، وسيناريوهات من أهم العمليات التي تساهم في تحقيق انسجام النص وتنسيقه وتنضيده.

المطلب الثامن: الاستدلال

قد يلتجىء القارئ، في إطار عمليات الانسجام، إلى الاستدلال، بالانتقال من المعنى الحرفي لما هو منصوص عليه إلى تحديد مقصديات الكاتب ونواياه التداولية. ويتطلب كل استدلال وقتا إضافيا في المعالجة ويسمى ذلك بالافتراض التجسيري، على عكس كل معالجة وتأويل الجمل التي لا تتطلب هذا النشاط الاستدلالي.

إن الافتراض التجسيري - حسب هاڤيلاند وكلارك- هو رابط مفقود، باللغة الصورية «يجعل الترابط بين الجملتين صريحا (ظاهرا)، فهل يمكن النظر إلى الاستدلال كعملية لإيجاد رابط مفقود بين جملتين ؟ حسب كلارك ومساعديه، هذا هو الحاصل، بل يعد هذا أمرا ملحوظا في

[177] - Brown and Yule: Ibid p 250.

الأدبيات التي تعالج إحالة الأسماء المحددة غير النصوص على ما تحيل إليه في ما تقدمها. [178]»

والروابط المفقودة نوعان حسب براون ويول:

« أ- رابط آلي لا يحتاج إلى وقت إضافي لاستخلاصه، ولا يمكن أن يعتبر استدلالا.

ب - رابط غير آلي يحتاج إلى وقت إضافي لاستخلاصه .

إلا أن هذا التمييز لا يعني أن النوع الثاني استدلالي بل يعني أن الاهتداء إلى الروابط ليس معادلا للاهتداء إلى الاستدلالات.»[179]

هذا، وإن الترابطات غير الآلية، كترابطات تتطلب من القارئ عملا تأويليا إضافيا من أجل توضيحها واستجلائها، أكثر مما تتطلبه الترابطات الآلية التي يتوصل إليها أساسا باعتماد المعرفة الموجودة مسبقا . أي (المعرفة الخلفية) المختزلة في الذاكرة المنظمة، ويتطلب الاستدلال من القارئ عملا تأويليا إضافيا مثل ملء الفراغات أو التقاطعات في تأويله.[180]

وفي الأخير، «يظل الاستدلال نشاطا مفتوحا غير قابل للعصر بشكل صارم مادامت كل المقاربات السابقة تحتوي على ثغرات تفتحها أمثلة مستقاة من اللغة، أثناء الاستعمال وليس الأمثلة المصنوعة، للخروج من هذا المأزق (صعوبة تحديد طبيعة الاستدلال) يتبنى براون ويول وجهة

---

[178] - محمد خطابي: نفسه ، ص: 70.

[179] - محمد خطابي: نفسه، ص: 71.

[180] - محمد خطابي: نفسه ، ص :71-73.

نظر وفية لمنطلقاتهما النظرية المحددة في الفقرات الأولى من هذا المنطور، ونعني بها سلطة المتلقي (مستمعا كان أو قارئا) بحيث هو الذي يحدد متى وأين ينبغي اللجوء إلى الاستدلال، وهو يقوم بذلك عندما يحس بأن تعطل فهمه وتأويله للنص ناتج عن فراغات أو تقطعات ينبغي أن تملأ لكي يصل إلى تأويل معين. »[181]

تلكم - إذاً- أهم مبادئ الانسجام المحصورة في السياق وخصائصه، ومبدأ التأويل المحلي، ومبدأ التشابه ، ومبدأ التغ ريض (Thématisation)، وعملياته التي تتجلى في : المعرفة الخلفية، والأطر، المدونات، والحوارات، والخطاطات، والاستدلال بأنواعه ووظائفه، والانسجامية. وما يلاحظ على هذا المنظور أنه تواصلي يركز على القارئ / المستمع في تأويل الرسالة أو الخطاب قصد بناء الانسجام، من خلال مجموعة من المبادئ والعمليات التي حددناها سالفا.

[181] - محمد خطابي: نفسه، ص: 74-75.

المبحث الثالث: التناص

يعد التناص من أهم المفاهيم النقدية التي اهتمت بها الشعرية الغربية وما بعد البنيوية والسيميائيات واللسانيات النصية؛ لما له من فعالية إجرائية في تفكيك النص وتركيبه، والتغلغل في أعماق النص ولا شعوره الإبداعي.كما يساهم في تحقيق انسجام النص ومقروئيته ، وتنسيقه وتنضيده تركيبا ودلاليا.

وإذا كان التناص مصطلحا نقديا تسلح به النقاد العرب الأقدمون تحت تسميات عديدة، مثل : السرقات الشعرية، والتضمين، والنحل، والانتحال، والأخذ، والتأثر، فإن النقاد والدارسين الغربيين ابتعدوا عن مفهوم السرقة(Plagiat) القدحي، فعوضوه بمصطلح التناص بديلا منه، واهتموا بالجانب الإيجابي فيه، والذي يتمثل في البحث عن أصول الإبداع ، ومكوناته الجينية، وعلاقات التفاعل والتأثر والتأثير.

المطلب الأول: مفهوم التناص وأهميته

يعد التناص من أهم المفاتيح الإجرائية لفهم الأدب المقارن، ورصد عملية التثاقف والحوار بين الحضارات والثقافات الإنسانية في شتى المجالات الفكرية والفنية والأدبية . ويعتبر كذلك أداة ناجعة لمقاربة النص الأدبي،

واستنطاق سننه اللغوي وبنيته العميقة، والدخول إلى أغوار النص، واستكناه دلالاته وتفاعلاته الخارجية والداخلية. لأن النص مهما كان، فهو شبكة من التفاعلات الذهنية، ونسق من المصادر المضمرة والظاهرة التي تتوارى خلف الأسطر، وتتمدد في ذاكرة المتلقي عبر آليات، مثل: المعرفة الخلفية، وترسبات الذاكرة، والخطاطات النصية ، والسيناريوهات التصورية، والتداخل النصي، وتعدد الأصوات، والأسلبة، والباروديا، والتهجين...

ويدل التناص كذلك على أن النص الأدبي عصارة من التفاعلات والتعالقات النصية التي تتم على المستويين : الدلالي والشكلي. والتناص أيضا مجموعة من الأصوات والإحالات التي تنصهر في النص الأدبي بطريقة واعية أو غير واعية، أو هو التداخل النصي بصفة عامة.

ومادام التناص موجودا، فمن الصعب الحديث عن إبداع أصيل خالص للمبدع، أو عن النص- الأب أو النص الأصل- كما يرى رولان بارت في كتابه (**درس السيميولوجيا**)[182] ،بل النصوص الإبداعية هي امتصاص ومحاكاة للنصوص السابقة، وتفاعل معها عبر عمليات الحوار، والنقد، والأسلبة، والباروديا، والتهجين، والسخرية، والحوارية..

المطلب الثاني: التناص في الحقل الغربي

[182] - رولان بارت: **درس السيميولوجيا**، ترجمة: عبد السلام بنعبد العالي، دار توبقال، الدار البيضاء، طبعة 1985م، ص:63.

إذا كان التناص مصطلحا معروفا في النقد العربي بدلالات أخرى (التضمين، والاقتباس، والإحالة ...)، فإن الغرب قد طور هذا المفهوم، وأصبح تقنية فعالة وإجرائية في فهم النص وتفسيره، وآلية م نهجية في مقاربة الإبداع وتشريحه، قصد إثرائه بالدلالات الظاهرة أو المضمرة . واليوم، أصبح المبدع مكثرا من الإحالات التناصية، والمستنسخات النصية، والرموز الموحية، والخلفيات المسكوت عنها، إلى أن أصبح النص مصبا للنصوص واختزالا لأفكار السابقين في إطار عصارة تناصيةٍ، تحتاج إلى استنطاقها واستجلائها، قصد تحديد مرجعيات الكاتب، وتبيان مصادره الثقافية، و رصد الأصول المولدة لفكره ، واستكشاف رؤيته للعالم.

هذا، ويعد جنس الرواية (دون أن نقصي الشعر والدراما...) الفن الأدبي الوحيد الذي يزخر بالتفاعلات التناصية، والتداخلات ا لحوارية ، والتعالق التفاعلي، كما أشار إلى ذلك كثير من الدارسين والمنظرين ، ولاسيما ميخائيل باختين، وجوليا كريستيفا، و لكويماص، ورولان بارت، وتودوروف، وجيرار جنيت، وكل الباحثين الذين درسوا النص الموازي وعتباته. وتعتبر الرواية أيضا الجنس الأدبي الأكثر انفتاحا على الذات والموضوع، والنصوص السابقة أو الراهنة تعالقا وتفاعلا . وهو كذلك جنس أدبي تنصهر فيه كل الأجناس الأدبية، والأساليب، والخطابات النصية. أي: إن الرواية مظهر بارز للتناص، والتداخلات المناصية، وتكاثر المستنسخات والإحالات، والأصوات الأجناسية، وهذا ما جعل

باختين وجوليا كريستيفا يهتمان اهتماما شديدا بهذا الجنس الأدبي، عندما انكب باختين - من جهة - على روايات دوستيفسكي، واهتمت كريستيفا - من جهة أخرى- بسيميائية الخطاب الروائي.

المطلب الثالث: التناص في الحقل العربي

بدأ الاهتمام بالتناص في العالم العربي في أ واخر السبعينيات من القرن العشرين ، مع بعض النقاد المغاربيين واللبنانيين، كمحمد مفتاح، وسعيد يقطين، ومحمد بنيس، وبشير القمري، وسامي سويدان... وراحوا يفرعونه في شكل أنواع وأقسام ومفاهيم اصطلاحية، يحللون بها النصوص الأدبية العربية القديمة والحديثة تحليلا ونقد ا، حتى أصبح هذا المفهوم النقدي شائعا في الساحة الثقافية العربية ، وقلما تخلو منه دراسة أدبية أو نقدية .

المطلب الرابع: آليات التناص

ينبغي للناقد أو المحلل أو القارئ أن يعرف مجموعة من آليات التناص أثناء مقاربته لـلنص الأدبي؛ لأنها تساعده على استكناه النص، وسبر أغواره. ونذكر من هذه الآليات الإجرائية المفاهيم التالية:

❶المستنسخات النصية (ألفاظ وشواهد وعبارات واقتباسات بارزة...).

❷المقتبسات النصية (تكون في بداية الرواية أو الفصل أو المتن في شكل نصوص ومقاطع وفقرات، موضوعة بين علامات التنصيص تضيء الرواية تفلعلا وحوارا...).

❸العبارات المسكوكة (أمثال وحكم وعبارات مسكوكة في نسقها اللغوي والبنيوي بطريقة كلية عضوية ومتوارثة جيلا عن جيل، مثل :أكلت يوم أكل الثور الأبيض، من جد وجد ومن زرع حصد، راح يصطاد اصطادوه...).

❹الهوامش النصية : يورد المبدع المتن في عمله الإبدا عي، ويذيله بهوامش إحالية ومرجعية. وغالبا، ماتوضع هذه الهوامش في أسفل النص أو في آخر العمل، حيث تقوم بوظيفة الوصف والتفسير لما غمض من النص، وما يحمله من إشارات نصية، كما فعل عبد الله العروي في روايته(**أوراق**).

❺الحواشي النصية: قد يرفق المبدع نصه بحواش في بدا ية العمل أوفي نهايته أو في آخره لتفسير النص، من خلال تحديد سياقه، أوإبراز مناسبته، أو شرح بعض الألفاظ، أو تفسير بعض أسماء الأعلام، أو تعيين المهدى له هذا العمل، أو تبيان الدواعي التي دفعته لكتابة النص وتحبيره....

❻الاقتباس: هو أن يأخذ المبدع القرآن والسنة ، ويدرجهما في كلامه بطريقة صريحة أو غير صريحة...

❼التضمين: ويعني أن يضمن المبدع كلامه شيئا من مشهور الشعر أو النثر لغيره من الأدباء والشعراء...

❽المحاكاة: يلتجئ المبدع إلى توظيف المقتبس أو المستنسخ بطريقة حرفية دون أن يبدع فيها.

❾ الإحالة: غالبا ما نجد ا لكاتب يوظف بعض الكلمات أو العبارات التي توحي بإشارات أو إحالات مرجعية رمزية أو أسطورية.....

❿المناص métatexte: ينطلق المبدع من عمل أو حدث أو فكرة أو مرجع أو مصدر لمبدع آخر، فيحاول محاكاته أو نقده ومحاورته ، كما فعل بنسالم حميش في روايته (**العلامة)** ، حيث انطلق في تحبيك روايته وتمطيطها من سيرة العلامة ابن خلدون بطريقة تخييلية فنية رائعة.

11- الاستشهاد: يورد المبدع مجموعة من الاستشهادات التي يضعها بين قوسين أو بين علامات التنصيص بغية الاستدلال، والإحالة، وتدعيم قوله.

12- الباروديا: هي عبارة عن محاكاة ساخرة يتق اطع فيها الواقع واللاواقع، الحقيقة واللاحقيقة، الجد والسخرية، النقد والضحك اللعبي.

13- التهجين أو الأسلبة : المزج بين لغتين اجتماعيتين في ملفوظ لغوي وأسلوبي واحد، وهذا يعبر عن البولوفونية (التعددية) اللغوية القائمة على تعدد الأصوات، واللغات، والأساليب، والخطابات، والمنظورات السردية. ويعبر هذا التعدد ، في الحقيقة ، عن التعددية الاجتماعية، واختلاف الشخصيات في الوعي، والجذور الاجتماعية والطبقية.

14- الحوار التفاعلي : يعد أعلى مرتبة في التواصل مع النصوص، والتعالق بها، واستنساخها. أي: إن المبدع لا يقف عند حدود الامتصاص، والاجترار، والاستفادة، بل يعمد إلى ممارسة النقد والحوار.

15- المعرفة الخلفية : هي تلك المعرفة التي يتسلح بها قارئ النص، اعتمادا على التشابه النصي، والسيناريوهات، والخطاطات، والمدونات، التي يحلل بها النص، ويفككه تشريحا، ويعيد تركيبه من جديد .

16- النص الموازي: هو عبارة عن مجموعة من العتبات المحيطة داخليا وخارجيا، تساهم في إضاءة النص وتوضيحه، كالعناوين، والإهداء، والأيقون، والكتابات، والحوارات، والمقدمات، والتعيين الجنسي.... وعلى الرغم من موقعها الهامشي، فإنها تقوم بدور كبير في مقاربة النص، ووصفه سواء من الداخل أم الخارج.

تلكم - إذاً- أهم آليات التناص التي تسعفنا في فهم النص وتفسيره، وتحليله وتركيبه. وعلينا أن نستبعد السرقات الشعرية ، وما يتصل بها من مفاهيم موروثة عن النقد العربي القديم؛ لأن ذلك لا يدخل ضمن التناص الذي يعد عملية إبداعية فنية مقصودة عن وعي أو عن غير وعي، الغرض من توظيفه هو تحقيق الوظيفة الشعرية والجمالية، والتفاعل مع النص، والتعالق به نقدا وحوارا.

المطلب الخامس: المستنسخات الروائية

تعتبر المستنسخات من أهم المكونات الخطابية في النص الأدبي ، ولاسيما النوع الروائي منه؛ لما لها من إيحاءات دلالية ووظيفية وأبعاد فنية ومرجعية. كما أنها تشكل القطب المعرفي في الخطاب الروائي وقطبه

الجمالي؛ مما تجعل المتلقي في حاجة إلى المعرفة الخلفية، وخطاطات ذهنية، و مدونات وسيناريوهات مفاهيمية لتفكيك الرواية وتركيبها.

يمكن تعريف المستنسخات النصية بأنها عتبات نصية خارجيۃ وداخلية، ترد في شكل تيبوغرافيا لغوية وبصرية بارزة وعادية، بغية الإحالة والتضمين والإيحاء، والإشارة إلى خلفيات النص وما وراء الرسالة الإبداعية التي لاتخرج عن كونها خطابا تناصيا قائما إما على المحاكاة المباشرة أوغير المباشرة، وإما على الحوار والمستنسخ التفاعلي. وتصاغ **المستنسخات(Clichés)** بطريقة فنية وجمالية، وتستند إلى الاقتباس والتضمين والامتصاص . أي: إن هذه الكليشيهات عبارة عن قوالب وأشكال أدبية جاهزة تستثمر في الإبداع الروائي - على سبيل الخصوص- توليدا وتحويلا؛ لإثارة المتلقي، وتشويقه على مستوى القراءة والتقبل الجمالي والفني. ويعني هذا أن خطاب المستنسخات هو خطاب المصادر والمرجعيات، والتأثير والتأثر الإحالي، وتحديد منابع القراءة . وبتعبير آخر، يقوم خطاب المستنسخات على تأشير الكلام المعاد، وتسوير المستنسخ ، وتبئير بلاغة التكرار، والاعتماد على قوالب التناص، والمحاكاة ، والتحويل النصي، والتعديل المقولي، والإيجاز، والتلخيص، والتكثيف الاقتباسي، فضلا عن استحضار خطابات متعددة ومتنوعة على مستوى المعرفة الخلفية؛ لتحفيز القارئ وإثارته وتوهيمه ، ودفعه إلى استدعاء رصيده الفني والثقافي، واستحضار الموروث في قراءة المعطى، وإعادة إنتاجه في ثوب جديد حسب النوع الحكائي الذي يندرج فيه .

ويعرفه **سعيد علوش** قائلا: " خطاب المستنسخات هو خطاب يعيد إنتاج التراثي، مستحدثا، ومخضعا إياه، إلى سياق معاصر."[183]

هذا، ويتجلى المستنسخ النصي في المقتبسات، والمحاكاة ، والتناص، والتعابير المسك وكة، والرموز، والإحالات، والتضمين، والاقتباس، والحكم والأمثال، والشعارات ، والقصاصات الصحفية، وخطاب الإعلام، والهوامش، وأسماء الأعلام، والاستهلال، والإهداء، والعناوين، والأسطورة ، والأسماء المرجعية ، مثل : الأسماء الفنية، والأدبية، والتاريخية، والعلمية، وال فلسفية... واستثمار الشاهد الشعري والنثري والتجنيسي...ومحاكاة القوالب الجاهزة للأنواع الصغرى والكبرى ، والتهجين، والباروديا ، والمحاكاة الساخرة.

ويتحقق الاستنساخ النصي كذلك بالتركيز على نوع من الإيهام بإنشائية تستلهم أصول الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والشاهدات والرسائل، بالإضافة إلى تنويع القوالب التناصية، وتكسير الإيهام الروائي من خلال تداخل الأزمنة، وتنويع الضمائر، وتداخل المحكيات وتجاورها، واستكشاف اللعب بالرموز، ورصد العلامات الإحالية والمرجعية، واستدعاء المواقف والشخصيات.

إذاً، فخطاب المستنسخات ه و بحث عن الكتابة في الكتابة، وكشف لجامع الأنواع، وإبراز لمكونات التخييل ، وتبيان لمستضمرات الإبداع وخفاياه،

---

[183]- سعيد علوش : **المصطلحات الأدبية المعاصرة** ،منشورات المكتبة الجامعية، الدار البيضاء،الطبعة الأولى سنة 1984م،ص:122.

وتحديد لمسوداته ومخطوطاته المنسية، عبر تذويب النصوص، وإماتتها تناصيا.[184]

وللمستنسخات النصية أهمية كبرى في بناء النص، وتوليده، وتحويله، وتمطيطه، وتحبيكه دراميا وحكائيا ، بلستعمال الكلمات- المفاتيح، والمفاهيم الإحالية، والعلامات السيميائية اللغوية والبصرية، والاستعانة بالإشارات الانزياحية، والرموز الدالة. علاوة على إثراء النص بالمعرفة الدسمة والثقافة الذهنية التي تحتاج إلى متلق ذكي قادر على قراءة شفرة النص وسننه التناصي . ويعني هذا كله أن النص لم يعد كتابة إنشائية مجردة خالية من الفكر والأطروحات المعرفية والحقائق الثقافية؛ بل أصبح نصا غنيا يبني نفسه على أنقاض النصوص الأخرى، عبر المحاكاة الحرفية، أو الاستفادة الامتصاصية (الاستشهاد المدعم)، أو عن طريق النقد والحوار (التناص التفاعلي). وهذا ماجعل **رولان بارت(R.Barthes)** - ينفي وجود ملكية النص، والأبوة النصية؛ لأن الكتاب والمبدعين يعيدون ماقاله السابقون بصيغ مختلفة قائمة على التأثر والتأثير، وهذا مايسمى بالتناص حديثا ، وبالسرقات الشعرية في النقد العربي القديم.

ومن الدراسات التي حاولت أن تسبر أغوار المستنسخ النصي تفكيكا وتركيبا، نذكر : كتاب(**Discours du cliché** / خطاب المستنسخ)

---

[184] - انظر: سعيد علوش :**عنف الم تخيل في أعمال حبيبي** ، المؤسسة الحديثة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأول سنة 1986م.

لروث أموصي(**Ruth Amoussy**) وإليسيفا روزن(**Elisheva Rosen**) سنة 1982م، وكتاب سعيد علوش (**عنف المتخيل في أعمال إميل حبيبي**) سنة 1986م الذي درس فيه المستنسخ النصي، و عوضه بمصطلح آخر، وهو (**السياق التراثي**) الذي أطلقه على " المكونات الخطابية للمستنسخ، وهي مكونات تعمل وفق نظام إحالي- مرجعي – على القوالب الجاهزة من جهة، والأشكال التداولية، من جهة ثانية."[185]

وإذا حاولنا دراسة المستنسخ في الرواية العربية الحد يثة، فيمكن لنا أن نخرج بثلاث قواعد للتعامل مع المستنسخ التناصي:

❶ قاعدة الإعادة أوالاسترجاع(التناص عن طريق المحاكاة المباشرة).

❷قاعدة الإحالة الإيحائية (التناص عن طريق التحوير والإشارة الإحالية).

❸قاعدة التناص التفاعلي أو الحوار النقدي.

كما أن هناك ثلاثة استنتاجات حول المستنسخ التناصي عبر تطور الرواية العربية على النحو التالي:

أ-الروايـــة الكلاسيكية وغياب المستنسخ النصي

لم تستثمر الرواية الكلاسيكية، سواء أكانت واقعية أم رومانسية، خطاب المستنسخ بشكل ثري وفعال بغية إثارة المتلقي، وتحفيزه على استخدام الذاكرة بحثا وتنقيبا من أجل تفكيك الشفرة المعرفية، وتفتيق المرجعية النصية، بل كانت النصوص الروائية العربية الكلاسيكية نصوصا إنشائية

[185] - سعيد علوش: نفسه، ص:11.

تأملية مجردة، تخاطب الوجدان والعاطفة والخيال المجنح من خلال ثنائية الذات(الرومانسية) والواقع(الواقعية). وقلما نجد مستنسخا نصيا وإحالة تناصية. ومن ثم، نسجل ، إلى حد ما ، غياب المستنسخ النصي في هذا النوع من الخطاب الروائي.

ب-الرواية الحداثية والاتكاء على المستنسخ التجريبي

يمكن القول بأن المستنسخ النصي بدأ مع الرواية الجديدة، أو ما يسمى كذلك بالرواية الحداثية التي أكثرت استعمال الشو اهد والمستنسخات والكليشيهات التناصية والإحالية تأثرا بالشعر الحر مع بدر شاكر السياب، وخليل حاوي، و محمود درويش، ونزار قباني ، وتأثرا كذلك بالرواية الغربية ، وتمثلا لمنجزات النقد الأدبي المعاصر عبر تطور مدارسه، مثل:الشكلانية الروسية(ميخائيل باختين صاحب نظرية التناص والرواية البوليفونية) ، وجماعة **تيل كيل** التي كانت تدعو إلى الانفتاح النصي من خلال التفاعل الإحالي (رولان بارت، وجوليا كريستيفا، وتودوروف ...). وما يلاحظ على هذه الرواية أنها اعتمدت على مستنسخ تناصي يغلب عليه **الطابع الحداثي التغريبي،** من خلال التأثر ب الرواية الغربية في البناء النصي، سواء على مستوى تشكيل الجنس النصي أم على مستوى بناء النوع، وصياغته تناصيا .

ج-الرواية التأصيلية والمستنسخ التراثي

لقد أثرت الرواية التأصيلية المتن الروائي العربي بكثير من المستنسخات التضمينية والخطابات التناصية، ولكن في **سياق تراثي عربي أصيل** .

ويعني هذا، أن هذه الرواية كانت **تعتمد على التراث العربي**، بكل حمولاته الفكرية والدينية والأدبية والفلسفية ، في تشييد النص، وتمطيطه فنيا وجماليا. كما انفتحت على المستنسخات الغربية الحداثية في سياق تراثي حواري. ومن أهم النصوص التي نستحضرها في هذا الصدد (**الزيني بركات**) لجمال الغيطاني، و(**جارات أبي موسى**) لأحمد توفيق و(**مجنون الحكم**) و(**العلامة**) لبنسالم حميش، و(**الوقائع الغريبة في اختفاء سعيد أبي النحس**) لإميل حبيبي...

وعند تعاملنا منهجيا مع خطاب المستنسخ ، لابد من الإثبات أن المستنسخ خطاب يدرس الأنواع الكبرى والصغرى في العمل الروائي (جامع الأنواع)، ويعمل على تحديد مكوناتها، ورصد روابطها الأساسية التي تساهم في بناء النص عضويا، وتوليده بنيويا وسيميائيا ودلاليا ومرجعيا ، بلستخلاص شواهده الشعرية والدينية والتراثية والأسطورية والقصصية، واكتشاف القوالب الجاهزة للأنواع الصغرى، وإعادة كتابة الأسماء الموظفة على المستوى الغنائي أو الشعري أو الروائي أو التاريخي - مثلا-. ومن ثم، بلورة جميع الخطابات التناصية الأصلية والفرعية عبر الاشتقاق والاستنساخ. ويتم التعامل أيضا مع خطاب المستنسخات بتفكيك الرواية إلى وحداتها المكونة للنص،وتمييز خطابات الاستنساخ المتميزة والمتنوعة، وجردها في شكل أنماط وشواهد ومصاحبات أدبية ودراستها ، وبعد ذلك، إحاليا وآنيا، في سياقها المعرفي والمرجعي، وسياقها الفني

والجمالي والأسلوبي، قصد فهم كيفية بناء الرواية، وتنظيم قواعد اللعبة الروائية الوهمية-الواقعية.

وعند دراسة المستنسخات، لابد كذلك من استحضار جميع البنيات المكونة للنص الروائي، كالبنيات اللغوية والتركيبية والبلاغية والسردية والحدثية والمعرفية، واستعراض جميع التفاصيل والجزئيات التي ينبني عليها النص المستنسخ ، من أجل معرفة عنصري الغرابة و ا لألفة فيهما. لذا، لابد من معرفة السياق الذهني والنصي والخارجي الذي يرد فيه المستنسخ، هل هو سياق تراثي بحت أم سياق حداثي جديد؟! لأن هذا يحفز القارئ المتوهم على استذكار الرصيد التراثي والثقافي لخطابات المستنسخ التراثي.

هذا، وتعد رواية (**أوراق)** لعبد الله العروي [186] من أغنى النصوص الروائية المغربية وأثراها من حيث المستنسخ الإحالي والتناصي، إلى الحد الذي يمكن تسميتها بأنها **رواية تناصية** بامتياز، أو **رواية المستنسخ النصي**، إذ كتبت للتثقيف، وتوسيع مدارك ذهن المتلقي . لذلك، تندرج الرواية ضمن السيرة الذهنية الثقافية؛ بسبب كثرة مستنسخاتها التضمينية التي يصعب استخلاصها، وتحديدها بدقة، وهي تحمل دلالات إيحائية جمة، وأبعادا مرجعية غنية في حاجة إلى التفسير والتأويل.

---

186 - عبد الله العروي : **أوراق**،المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى سنة 1989م.

ومن الخطابات التناصية التي وظفها عبد الله العروي في نصه الروائي ، على سبيل التمثيل والتوضيح المنهجي، نجد عدة مستنسخات نصية، منها: **المستنسخ الأدبي** (الشيخ طه- الأجنحة المتكسرة- كان ياماكان- روني- زينب- أطعمة الأرض لأندريه جيد- هرمان هسه في ذئب الفيافي- مطولة بروست- راسين- ديدرو- ألف ليلة وليلة- الأقاصيص الآسيوية لغوبينو...)؛ و**المستنسخ الديني** (فبعث الله غرابا يبحث في ا لأرض- زرادشت- دعوة الإسلام لمالك بنابي- جمعية الإخوان المسلمين ...)؛ و**المستنسخ التاريخي** (علال الفاسي- جمال عبد الناصر- مؤتمر إكس ليبان- أيام العرب- أرنولد طوينبي- أوسفالد شبينغلر- أزمة 1954- 1955- اتفاق فرنسا وانجلترا حول المغرب سنة 1904- الحماية- عودة الملك من المنفى- أزمة 1953...)؛ و**المستنسخ الفني** (فيلم كل صباح أموت- فيلم القاتلون- كوليزي- شريط معذرة الرقم خطأ- المخرج جورج سادول- أندريه بازن- هنري آجل- إيلي فلور- روسلليني- فيسكونتي- جان رينوار- فيلليني- فلم سانسو...)؛و**المستنسخ السياسي** (الحزب الشيوعي- علاقة الغرب والشرق- الإمبريالية- اليساريون- الاستقلال- الاستعمار- اليمين- الحزب الاشتراكي- الشيوعيون- النقد الذاتي ..)؛ و**المستنسخ التراثي** (في نفس الطبقة صفي الدين أبو العلاء إدريس بن إدريس الأديب الأصولي...)؛ و**المستنسخ الفلسفي** (شوبنهاور- أفلاطون- كانط- نيتشه- سارتر- ماركس-هيجل- هشام جعيط- هيدغر- سقراط- جيل دولوز- لوكاش- هنري لوفيفر- برغسون...)؛ و**المستنسخ التجنيسي** (المقامات-

السيرة- كناشة- الطبقة- أقصوصة- رسائل- مذكرات- محاضرات- نقولات- قراءات نقدية- الحكاية- اليوميات- الرواية...)؛ و**المستنسخ المكاني** (جامع الفنا- السوربون- دار لوسوي- كنيسة شارتر- مونمارت- ساحة سان لازار- الكوليزي- الرويال- هوليوود- باريس- خط الليمس...)؛و**المستنسخ الصوفي** (محمد إقبال- الأشراف والأولياء ...)؛ و**مستنسخ الهوامش**(خصص سبع صفحات كاملة لشرح الهوامش وتفسير الإحالات التناصية)؛ و**المستنسخ الاقتصادي**(الاستعمار والتخلف- الغرب والعالم الثالث- الاقتصاد والثقافة- المركز والضاحية- التطور والخصوصية...)؛ و**مستنسخ الأعلام** (مارية- شعيب- إدريس- يوليوس- ...) إلخ ...

وعليه، فهذه أبرز أمثلة خطاب المستنسخات في الخطاب الروائي العربي، و أهم تجلياته الخطابية، ومضمراته التن اصية التي توفر للنص اتساقه، وانسجامه النصي. و تلكم كذلك أهم تصنيفاته البنيوية التي تساعدنا على قراءة العلامات التناصية، واستكناه أبعادها السيميائية والإحالية في سياقها النصي والخارجي، مع احترام خصوصية النص الأجناسية والنوعية.

المبحث الرابع: المقصديـــة

لقد اهتمت الدراسات التداولية، في بداية الأمر ، بالمتكلم باعتباره قوة عليا يمتلك سلطة متفوقة، إذ يوجه للمخاطب الذي يكون في مرتبة دنيا، مجموعة من الأوامر لتنفيذها بطريقة ميكانيكية ، دون تردد أو مناقشة، كما هو حال الأوامر الدينية والعسكرية، ويسمى هذا بالتواصل التوجيهي. لكن هناك من يرفض هذا التصور الميكانيكي، فيعتبر المقصدية (Intentionality) قاسما مشتركا بين كل من المتكلم والمتلقي، لافرق بينهما إلا من باب الأخذ بزمام المبادرة. لكن هناك من يرى أن المقصدية يتحكم فيها المتلقي، فيجعل المتكلم في قبضة يده، فيتصرف فيه كيفما

يشاء، ثم يضطر المتكلم إلى تكييف خطابه حسب رغبات المتلقي، بل قد يكون ناطقا بلسانه[187].

وهكذا، " لم تخل كتابة من الإشارة إلى القصد والقصدية والمقصدية، ومما يفيد هذا المعنى؛ فالباحثون جميعهم يجعلون المميز الأساسي بين الإنسان وغيره هي المقصدية . ولكن هناك من قصرها على ماورد فيه جذرها صراحة أو ضمنا (هرمان باريت Parret)، ومنهم من جعلها مسبقة (كريماص Greimas)، كما أن منهم من جعلها ميكانيكية موجهة (أوستين Austin، وسورل Searle، وكرايس Grice). بيد أنها لاتقتصر على المتكلم، ولكنها تشمل المخاطب أيضا. ولهذا، فقد تتفق المقصديتان درجات من الاتفاق، وقد تختلفان درجات من الاختلاف (نظرية التلقي)؛ مما أدى إلى طرح إشكاليتها الفلسفية والمنهاجية، باعتبار أنها غالبا مالا تكون ظاهرة في ا لنص، وإنما يفترض أنها تكمن خلفه . لذلك، بذلت محاولات لصورنتها (بتيطوJean Petito/ وأبوسطلLeo Apstel) للخروج بها من ميدان علم النفس إلى مجال اللسانيات.

إنها -مهما اختلفت وجهات النظر في كيفية تناولها- مجمع على وجودها . كأنها تكسب الكلام دينامية وحركة، بل هي منطلق الدينامية."[188]

ويعني هذا أن النص الأدبي باعتباره جملا وملفوظات لغوية يحوي مجموعة من المقاصد المباشرة والضمنية التي يعبر عنها المتكلم أو

---

[187] - محمد مفتاح: **دينامية النص**، ص:46.

[188] - محمد مفتاح: نفسه، ص:38-39.

المتلقي أو هما معا. بتعبير آخر ، ثمة مقاصد أولية تتعلق بالمتكلم المرسل قد يكون شاعرا - مثلا - ، فيعبر عن بعض مقاصده كال حب والخوف والاعتقاد والتمني والكراهية . وفي المقابل، ثمة مقاصد ثانوية تتعلق بالمتلقي السامع الذي عليه أن يفهم مقاصد الشاعر المبدع، ويتعرف إلى ظروفه وحالاته النفسية والذهنية والوجدانية.

وإذا انتقلنا إلى النص الأدبي، فإن المبدعين والشعراء يوظفون كلمات وتعابير وأسماء أعلام لها مقصدية مباشرة وغير مباشرة، قد تدرك بطريقة ظاهرة، أو تفهم بالتضمين والتلميح . وهذه المقصدية واضحة في الشعر العربي المعاصر أكثر من الشعر العربي القديم، فالشاعر المعاصر يوظف اللغة في ضوء سيميائية قصدية، حيث تتحول قصائده إلى علامات ورموز وإشارات وأيقو نات تحمل في طياتها دلالات مقصدية، ينبغي استكشافها من قبل المتلقي عبر آليات التفكيك والتشريح والتقويض والتأجيل والتأويل، " فللشعراء مهما كانت أجناسهم وأمصارهم وأزمنتهم حرصوا على قصدية اللغة الشعرية، بمعنى الارتباط الطبيعي بين الدال والمدلول. فقد اعتنقوا ، بد رجات متفاوتة النظرية "الكراتيلية" على حساب" الهرموجينية". إلا أنه إذا كان الشعراء القدماء يستعملون اللغة بحسب ماتملي عليه تجاربهم، فإن المحدثين والمعاصرين الذين تأثروا بالتيارات السيميائية المعاصرة صاروا يقصدون اللغة بسبق الإصرار.وهكذا، نجد ، في قصائدهم، م ايحاكي أصوات الطبيعة ، وحشدا هائلا من أسماء الأعلام المختلفة ذات الدلالات الإيحائية، وألفاظا عتيقة

ضاربة في أعماق التاريخ، أو حديثة آتية من آفاق مختلفة . وهذا التداخل المعجمي يخلق عدة معان فرعية عرضية تقرأ بتشاكلات مختلفة بحسب الوسط الذي دعيت منه الكلمة مما يجعلها مؤشرا كنائيا عليه. وقد تصبح أيقونا إذا توفرت فيها علاقة المثلية أو المشابهة."[189]

وهكذا، تتعامل المقاربة التداولية مع النص الأدبي والخطاب الإبداعي باعتباره مقصدية سياقية ينبغي استحضارها بغية تأويل النص تأويلا صحيحا وسليما.

المبحث الخامس: السيـــاق

من المعلوم أن النظرية التوليدية التحويلية مع نوام شومسكي قد أعطت أهمية كبرى للكفاءة اللغوية على حساب الإنجاز أو القدرة التداولية، أو على حساب الاستعمال والأداء والإنجاز . ومن ثم، فالنظرية التوليدية نظرية صورية تتسم بقدر عال من التجريد والأمثلة، مادامت لاتع نى بالسياق والاستعمال الإنجازي التداولي . و" لقد جاءت البراغماتية بعد مراحل من الدراسات الصورية أو البنائية للمعنى، التي عرف بها التوليديون على وجه الخصوص، ولعل روبين لاكوف (Robin Lakof)

[189] - محمد مفتاح: نفسه،ص:56.

من أوائل التوليديين الذين شككوا في إمكان دراسة المعنى معزولا عن السياق، وتحمل شهادة أحد التوليديين المعروفين بإغراقهم في التجريد على إخفاق النهج الصوري البنائي في دراسة المعنى قيمة خاصة في البرهنة على أهمية السياق، والاستخدام في تقديم تفسير سليم لعملية التخاطب."[190]

بيد أن النظريات اللسانية الصورية ، سواء أكانت بنيوية وصفية أم بنيوية تفسيرية، تعرضت لمجموعة من الانتقادات الداعية إلى ربط التركيب والدلالة بالسياق الوظيفي والتداولي . وهكذا، " فمنذ السبعينيات، توالت الانتقادات للدراسات التي تجعل من الجملة وحدة للتحليل اللغوي، وزاد عزوف مختلف الباحثين عن الدراسات التي لا تأخذ في حسبانه ا العناصر السياقية، والجوانب التخاطبية في دراسة اللغة . فاللسانيون الاجتماعيون بدأوا يرفضون فكرة المتحدث المثالي عند تشومسكي، وشبيه بهذا ما فعلته اللسانيات النصية، وتحليل الخطاب حين رفضتا قصر الدراسات اللسانية على ما يسمى بنحو الجملة ؛ متأثرين في ذلك ببعض الوظيفيين من أمثال: فيرث، وهاليداي، وميتشال (Mitchell) الذين بلغت شهرتهم أوجها في الخمسينيات".[191]

---

[190] - محمد محمد يونس علي : **مدخل إلى اللسانيات** ، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى سنة 2004م.، ص:136-137.

[191] - محمد محمد يونس علي: نفسه، ص:137.

هذا، ويذهب كل من براون ويول، في كتابهما (**تحليل الخطاب**) ، إلى أن محلل النص ومؤوله عليه أن يراعي مجموعة من العناصر المهمة في عملية التداول هي : المتكلم، والمخاطب، و السياق الذي تبلور فيه النص بمعرفة الزمان والمكان، وقد يؤدي القول الذي قيل في سياقين مختلفين إلى تأويلين مختلفين . ويعني هذا أن السياق يتحكم في بنية التأويل الخطابي. ويرى هايمس أن السياق له وظيفة مزدوجة تتمثل في تقييد مجال التأويل، ودعم التأويل المقصود .كما صنف هايمس السياق إلى العناصر التالية: المرسل، والمتلقي، والحضور (المستمعون الآخرون)، والموضوع، والمقام (زمان الحدث التواصلي ومكانه)، والقناة، والنظام(اللغة أو اللهجة ...)، وشكل الرسالة، والمفتاح (هل كانت الرسالة موعظة حسنة، شرحا مثيرا للعواطف؟...)، والغرض. أما ليفيس، فيحصر السياق في العناصر التالية :العالم الممكن، والزمان، والمكان، والحضور، والشيء المشار إليه، والخطاب السابق، والتخصيص[192].

علاوة على ذلك، يقوم السياق بدور هام في تحقيق اتساق النص وانسجامه. وفي هذا الصدد، يقول محمد خطابي :" إن الخطاب القابل للفهم والتأويل هو الخطاب القابل لأن يوضع في سياقه، بالمعنى المحدد سلفا، إذ كثيرا ما يكون المتلقي أمام خطاب بسيط للغاية (من حيث لغته)، ولكنه قد يتضمن قرائن (ضمائر أو ظرفا) تجعله غامضا غير مفهوم بدون الإحاطة بسياقه.

---

[192] - محمد خطابي: نفسه، ص:52-54.

ومن ثم، فإن للسياق دورا فعالا في تواصلية الخطاب وفي انسجامه بالأساس. وماكان ممكنا أن يكون للخطاب معنى لولا الإلمام بسياقه."[193]

ويعني هذا أن النص الأدبي لايمكن أن يبقى منغلقا على ذاته، منطويا على بنياته السيميائية أو الصورية المجردة، بل عليه أن ينفتح على العوالم السياقية المتعددة الدلالات. بمعنى أن النص لابد أن يخضع لمبدإ التأويل السياقي ، بـالانفتاح على السياق النصي الداخلي، والسياق الخارجي المتعدد الأبعاد . وعليه، أن يبين أنواع السياق التي تتحدد - حسب باريت(Parret)- في : السياق النصي (تجاوز الجملة إلى سياق الخطاب)؛ والسياق الوجودي (الإشارة إلى أشياء العالم الخ ارجي)؛ والسياق المقامي (مجموعة من السياقيات الموقفية والاجتماعية والزمانية والمكانية والمؤسساتية)؛ وسياق الفعل (سياق نظرية الأفعال اللغوية)؛ والسياق النفسي(إدماج الحالات الذهنية والنفسية).

ولايكتفي الناقد بهذا، بل لابد من إبراز عناصر السياق التي تتمثل في : المرسل، والمرسل إليه، والعناصر ال مشتركة بينهما من معرفة مشتركة (معرفة عامة بالعالم، ومعرفة بنظام اللغة،ومعرفة بالزمان والمكان ...)، وعلاقة اجتماعية تفاعلية، سواء أكانت علاقة حميمة أم رسمية (علاقة سلطة). ولا ننسى تحديد إستراتيجيات الخطاب التي تربط الخطاب بالمقام السياقي. ومن بين هذه الإستراتيجيات، نذكر : الإستراتيجية التوجيهية،

---

[193] - محمد خطابي:نفسه،ص:56.

والإستراتيجية التضامنية، والإستراتيجية التلميحية، وإستراتيجية الإقناع .
وتستند هذه الإستراتيجيات إلى عاملين رئيسن هما: السلطة والمقصدية.
ولا ننسى أن يحدد الناقد التداولي، حين التعامل مع الخطاب الأدبي، القدرة الكفائية التي يمتلكها صاحب النص أو الخطاب الأدبي، وتتمثل هذه القدرات - حسب فان ديك- في خمس ملكات رئيسة هي : الملكة اللغوية(إنتاج عبارات لغوية متعددة في سياقات موقفية معينة)؛ والملكة المنطقية (توظيف معارف قائمة على الاستدلال الاستنباطي أو الاستقرائي أو الاحتمالي)؛ والملكة المعرفية (استثمار المعرف المنظمة في تأويل العبارات اللغوية المنتجة)؛ والملكة الإدراكية (إدراك المحيط، واستثمار معارف المحيط في إنتاج العبارات اللغوية)؛ والملكة الاجتماعية(تعني أن المتكلم على دراية تامة بما يقوله، بل يع رف كذلك كيف يستعمل مايعرفه من جمل ومعارف في سياق تواصلي معين)[194].
وهناك قوالب خطابية تتلاءم جدليا مع كل ملكة كفائية، وتتعلق بالقدرة اللغوية من جهة ، والسياق من جهة أخرى، فيوجد القالب اللغوي (الملكة اللغوية)، والقالب المنطقي (الملكة المنطقية)، والقالب المعرفي (الملكة المعرفية)، والقالب الإدراكي(الملكة الإدراكية)،والقالب الاجتماعي(الملكة الاجتماعية). وهناك مقترح بإضافة قالب سادس هو القالب الشعري الذي يتناسب مع الملكة الشعرية (رصد الملكة الشعرية لدى مستعملي اللغة

---

194 - عبد الهادي بن ظافر الهشري : **إستراتيجية الخطاب**،دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ، سنة 2004م، ص:57.

الطبيعية، ويمكنهم من إنتاج وفهم ما يسمى بالخطاب الشع ري أو الفني بوجه عام) ، وقد أضافها الباحث اللغوي المغربي أحمد المتوكل، بل هناك من أضاف قالبا سابعا هو الباحث المغربي عزالدين البوشيخي ، ويسمى بالقالب التخييلي الذي يتناسب مع الملكة التخييلية (رصد الملكة التخييلية لدى مستعملي اللغة الطبيعية، ويمكنهم من إنتا ج وفهم ما يسمى بالخطاب التخييلي أدبا وفنا)[195]. بيد أن مايلاحظ على هذه القوالب أنها قد تكون جميعها مجتمعة في الخطاب، أو قد لا نجد في الخطاب سوى قالب واحد أو قالبين..

ومن جهة أخرى، ترى المقاربة التداولية والوظيفية أن النص أو الخطاب الأدبي استلزام حواري وإنجازي . وهنا، نتحدث ، بطبيعة الحال ، عن الدلالات الصريحة والضمنية . فالاستلزام الحواري يتعلق بالدلالات الضمنية التي يستلزمها السياق الكلامي . ومن ثم، يرتبط الاستلزام الحواري بنظرية الأفعال كما هي عند أوستين وسورل . أي: ينتقل الكلام من نطاق حرفي وقضوي مباشر إلى معنى حواري استلزامي غير مباشر، ويتحكم فيه المقام أوالسياق التداولي . وللتوضيح أكثر: قد تكون معاني العبارات اللغوية صريحة، وقد تكون ضمنية . فالمعاني الصريحة هي التي تحمل محتوى قضويا، وتتوفر على القوة الإنجازية الحرفية. فهذا معنى مباشر صريح. أما المعنى الضمني فينقسم بدوره إلى قسمين: معنى

---

[195] حافظ إسماعيل علوي : **اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة** ، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان ، الطبعة الأولى سنة 2009م، ص:177.

عرفي يتعلق بالاقتضاء (الإحالة)، والاستلزام المنطقي(الدلالة المنطقية)، ومعنى حواري ينقسم كذلك إلى معنى خاص(الاستلزام الحواري)، ومعنى معمم. وينتج عن هذا كله وجود أنماط من الأفعال حسب أوستين، وهي : فعل التلفظ، والفعل القضوي، والفعل الإ نجازي، والفعل التأثيري . ففعل التلفظ يشمل الفعل الصوتي والفعل التركيبي .أما الفعل القضوي، فيتفرع إلى الفعل الإحالي والفعل الحملي . أما الفعلان الإنجازي والتأثيري فلايختلفان في مقترح سيرل عنهما في مقترح أوستين كبير اختلاف . وقد اقترح سيرل كذلك أفعالا أخرى انطلا قا من نظرية الأفعال اللغوية، وصنفها في خمس: الأفعال الحكمية(تمثل الواقع صدقا أو كذبا)، والأفعال الأمرية، والأفعال الالتزامية، والأفعال التعبيرية، والأفعال الإنجازية . بيد أن سورل يركز فقط على فعلين رئيسين هما :الفعل القضوي ، والفعل الإنجازي.

وبناء على ماسبق ، يرى كرايس أن جمل اللغة الطبيعية قد لاتدل على معانيها القضوية المباشرة والحرفية، بل تخرج إلى دلالات سياقية إنجازية. لذا، صاغ قانون التعاون بمبادئه الأربعة : مبدأ الكم، ومبدأ الكيف، ومبدأ التعبير، ومبدأ المناسبة . ومن ثم، يسمي كرايس هذا النوع من الجمل الإنجازية التي تحمل معاني سياقية ضمنية بالاستلزام الحواري. ويتحقق هذا الاستلزام حينما تخرق إحدى القواعد الأربع ، مع احترام مبدإ التعاون. ويدرج كرايس هذا النوع من الدلالة في تصنيف عام للمعاني التي يمكن أن تدل عليها ال عبارات اللغوية. ويشرح الباحث ال لغوي

المغربي أحمد المتوكل ماقلناه سابقا بقوله :" تنقسم الحمولة الدلالية للعبارة اللغوية إلى معان صريحة ومعان ضمنية ، وتعد معاني صريحة المعاني المدلول عليها بصفة الجملة ذاتها . في حين، تعد ضمنية المعاني التي لاتدل عليها بصيغة الجملة.

تشمل حمولة المعاني الصريحة : (أ) المحتوى القضوي (معاني مفردات الجملة مضموما بعضها إلى بعض)، و(ب) القوة الإنجازية الحرفية (القوة الإنجازية المشار لها بصيغة الجملة كالاستفهام والأمر والإخبار...).

2- المعاني الضمنية صنفان: معان عرفية ومعان حوارية (أو سياقية) .

تعد معاني عرفية المعاني المرتبطة بالجم لة ارتباطا يجعلها لاتتغير بتغير السياقات. في حين، تعد معاني حوارية المعاني التي تتولد طبقا للسياقات أو المقامات التي تنجز فيها الجملة . من المعاني المتضمنة عرفا المعنى المقتضى أو الاقتضاء ، والمعنى المستلزم منطقيا أو الاستلزام المنطقي.

أما المعاني الضمنية المتولدة عن السياق، فهي نوعان: المعاني الناتجة عن سياق خاص والمعاني البالغة من العموم أنها لم تعد مرتبطة بسياق خاص أو بطبقة معينة من السياقات . يصطلح كرايس على تسمية هذين النوعين من المعاني الضمنية " الاستلزامات الحوارية الخاصة" و" الاستلزامات الحوارية المعممة" على التوالي."[196]

إذا أخذنا على سبيل المثال جملة : " هل تعيرني القلم الأحمر؟ "، فالمعنى القضوي يتمثل في جمع الكلمات والمورفيمات التالية: هل-تعير- ني- القلم

[196] - أحمد المتوكل: نفسه، ص:28.

الأحمر. أما القوة الإنجازية الحرفية فتتمثل في الاستفهام والأداة "هل" والتنغيم. وإذا جمعنا القضوية مع الإنجاز الحرفي يتشكل لدينا المعنى الصريح من الجملة أو العبارة.

أما المعنى الضمني في الجملة، فيتألف من معنيين عرفيين هما : الاقتضاء (اقتضاء وجود قلم أحمر)، والاستلزام المنطقي(كون القلم ذا لون)، ومعنى حواري خاص أو استلزام حواري خاص، وهو معنى الالتماس . أي: التماس المتكلم من المخاطب أن يعيره القلم الأحمر.[197]

ويمكن التمثيل للاستلزام الحواري المعمم بالجملتين المنفيتين التاليتين:

1- ألم أعطك كل ماعندي؟

2- أما بلغت مرادك؟

فهاتان الجملتان، وكل الجمل التي هي من هذا النوع، تفيدان معنى الإثبات في جميع السياقات.[198]

ونلاحظ من هذا كله أن ظاهرة الاستلزام الحواري، كما طرحها كرايس، قد درست في إطار نظرية الأفعال اللغوية، بمعنى أن "ظاهرة الاستلزام الحواري درست، بعد كرايس، في إطار نظرية الأفعال اللغوية على أساس أنها ظاهرة تعدد الأفعال اللغوية بالنسبة للمحتوى القضوي الواحد. يصنف سيرل الجمل، من حيث عدد الأفعال اللغوية المواكبة لها،صنفين :جملا يواكبها فعل لغوي واحد، وجملا يواكبها أكثرمن فعل لغوي واحد (فعلان

---

[197] - أحمد المتوكل: نفسه، ص:29-30.

[198] - أحمد المتوكل: نفسه، ص:29-30.

لغويان في أغلب الحالات). في حالة مواكبة فعلين لغويين اثنين للجملة الواحدة، يميز سيرل بين الفعل اللغوي المباشر والفعل اللغوي غير المباشر،بين الفعل اللغوي الحرفي المدلول عليه بصيغة الجملة ذاتها والفعل اللغوي المفاد من المقام."[199]

وللتمثيل نختار المثال التالي:

س: **لنزر سمير في حديقته هذا اليوم.**

ج: علي أن أحضر درس الامتحان

يتحقق في هذا المثال فعلان لغويان: فعل لغوي مباشر، وهو إعداد الدرس استعدادا للامتحان، وفعل لغوي غير مباشر، وهو رفض الدعوة.

هذا من جهة، ويرى أحمد المتوكل - من جهة أخرى- أن فلاسفة اللغة العادية لم يهتموا بجوانب أخرى من " تداوليات اللغات الطبيعية كالجوانب المرتبطة بالبنية الإخبارية للجملة عنايتهم بالإحالة والاقتضاء والأفعال اللغوية والاستلزام الحواري. هذه الجوانب المغفلة في الدرس الفلسفي هي أنواع العلاقات الإخبارية القائمة بين مكونات الجملة . فبالإضافة إلى العلاقات الدلالية (الأدوار الدلالية) كالمنفذ والمتقبل والمستقبل والأداة، والعلاقات التركيبية كالفاعل والمفعول، تقوم بين مكونات ا لجملة علاقات تداولية كالمبتدإ والذيل والمنادى والمحور والبؤرة والمعطى والجديد وغيرها."[200]

---

[199] - أحمد المتوكل: نفسه، ص:30.

[200] - أحمد المتوكل: نفسه، ص:32.

هذا، وإذا انتقلنا إلى النص الأدبي لتحليله تداوليا، فنقوم بتصنيف العبارات اللغوية إلى عبارات صريحة المعنى، فنحدد أفعالها القضوية، وتبيان قوتها الإنجازية الحرفية. وبعد ذلك، ننتقل إلى استكشاف المعاني الضمنية، سواء أكانت اقتضائية إحالية أم عرفية أم منطقية . ومن ثم، ننتقل إلى الاستلزام الحواري باستكشاف المعاني الإنجازية السياقية والمقامية، سواء الخاصة منها أم العامة . ويمكن الاستعانة بالمفاهيم التي تنبني عليها التداوليات الوظيفية لاستخلاص المعاني الاستلزامية السياقية والمقامية، بالتركيز على الأدوار التركيبية النحوية ، والأدوار الدلالية، والأدوار التداولية .

علاوة على ذلك، يمكن تصنيف أفعال النص الأدبي إلى أفعال تلفظية، وأفعال قضوية، وأفعال اقتضائية، وأفعال عرفية، وافعال إنجازية ح رفية، وأفعال إنجازية سياقية، إلخ...

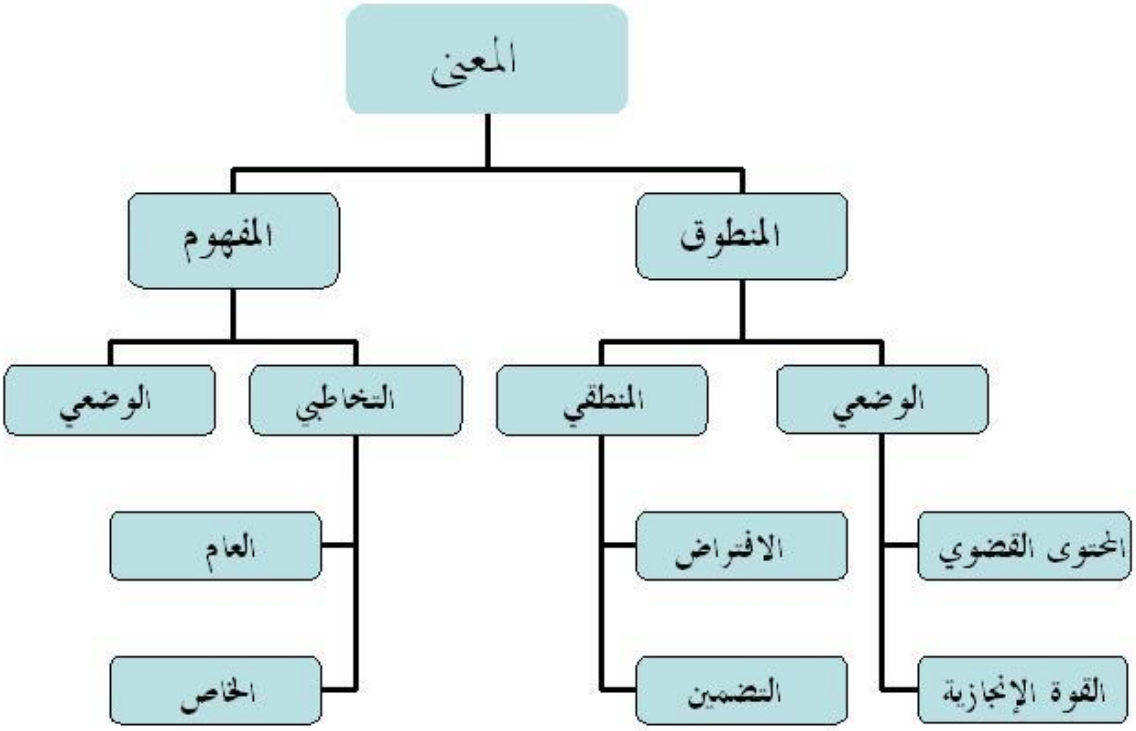

أما المقاربة التلفظية ، فتهدف إلى دراسة الخطاب الإبداعي والأدبي في ضوء المعينات الإشارية، أو قراءتها بواسطة القرائن اللغوية، أومقاربتها عبر المؤشرات التلفظية التي تحدد سياق الملفوظ اللغوي واللساني . وهذه المعينات هي ضم ائر الشخوص، وأسماء الإشارة، وظروف المكان والزمان، وصيغ القرابة، والصيغ الانفعالية الذاتية . ومن ثم، تنبني المقاربة القرائنية أو المقاربة "التلفظية" على دراسة سياق التلفظ، وتحديد أطراف التواصل اللغوي، بالتركيز على ثلاثة مبادئ منهجية هي : البنية ، والدلالة، وا لوظيفة. ومن المعلوم أيضا أن هذه المقاربة القرائنية أو الإشارية تمتح آلياتها من اللسانيات الخارجية ذات البعد المرجعي ، مع الانفتاح، بشكل من الأشكال ، على التداوليات والسيميوطيقا النصية والخطابية.

وتطلق عدة مصطلحات ومفاهيم على المعينات (déictiques) في الدراسات الغربية من بينها : القرائن المدجمة أو الواصلة (Embrayeurs) كما عند رومان جاكبسون (Roman Jakobson)، أو الوحدة الإشارية (Index)عند شارل بيرس (Peirce)، أو التعبير الإشاري كما لدى بار هيليل(Bar- Hillel)، أو المؤشر (indicateur)، أو دليل التلفظ (indice de l'énonciation)، أو القرائن الإشارية (schifters) باللغة الإنجليزية...

وغالبا، ما يستعمل مصطلح المعينات (déictiques) مرادفا لمصطلح الواصل (Embrayeurs) ، على الرغم من كون المعينات مصطلحا عاما له دلالات خاصة ومتميزة عن مصطلح الواصل المرتبط بالسياق فقط؛ لأن مصطلح المعينات يشمل أطراف التلفظ، والسياق التواصلي للمتكلمين. كما يرتبط بالاستعمال الشفوي والتلفظي للخطاب، مع تشغيل الحركات والإشارات وإيماءات التعيين، وتوظيف وحدات التأشير الدالة على التعيين المكاني والزماني.

ومن المعلوم أن كلمة المعينات (déictiques) جمع لكلمة م فردة هي المعين الإشاري(déictique). ومن ثم، لا تأخذ هذه المعينات والقرائن الإشارية معناها، بما فيها : الضمائر، وأسماء الإشارة، وظروف الزمان والمكان، والصيغ الانفعالية، وأسماء القرابة ... إلا داخل سياق التلفظ ، والتواصل، وفعل القول.

هذا، ويراد بالمعينات (déictiques) - لغــة - الإشارة والتحديد والتعيين والعرض والتمثيل والتبيين والتأشير، وهو مشتق من كلمة "ديكتيكوس/ deiktikos " اليونانية. ويراد به - اصطلاحا- مجموعة من المرجعيات الإحالية المبنية على شروط التلفظ الخاصة وظروفه، كهوية المتكلم، ومكان التلفظ وزمانه(أنا- الآن-هنا). ويعني هذا أن كل ملفوظ يتكون من مرسل ومستقبل ومكان التلفظ وزمانه . وهذه المؤشرات السياقية هي التي تسمى بالمعينات أو القرائن السياقية . وبتعبير آخر، فالمعينات هي مجموعة من العناصر اللسانية التي تحيل على السياق المكاني والزماني لعملية التلفظ الجارية بين المتكلمين أو المتحدثين أو المتلفظين.

إذاً، يقصد بالمعينات أو القرائن الإشارية تلك الكلمات أو التعابير أو الروابط أو الوحدات اللغوية التي ترد في ملفوظ كتابي أو شفوي، تحدد الظروف الخاصة للتلفظ، وتبين الشروط المميزة لفعل القول ضمن سياق تواصلي معين. ومن ثم، لا يتحدد مرجع هذه القرائن والمعينات الإشارية دلاليا وإحاليا إلا بوجود المتكلمين في وضعية التلفظ والتواصل المتبادل.

هذا، وتحيل المعينات على أطراف التواصل، من : متكلم ومستقبل، ومرسل ومرسل إليه، بالإضافة إلى الضمائر المنفصلة والمتصلة(أنا-أنت-نحن-أنتم...)، وأدوات التملك المتعلقة بضمير المتكلم وضمير المخاطب(كتابي، كتابك، كتابنا، كتابكم ...)، وأسماء الإشارة (هذا-هذه-ذلك- تلك...)، وظروف الزمان والمكان (هنا-هناك-اليوم- الآن- البارحة-

في يومين، هذا الصباح، إلخ ...)، فضلا عن كل المؤشرات اللغوية التي تعين الشخوص والأشياء من قبل المتكلم.

ومن هنا، فالمعينات هي وحدات التلفظ ومؤشراته، تساهم في تحيين فعل التلفظ إنجازا وقولا وفعلا، عن طريق الضمائر، وأسماء الإشارة، وظروف المكان والزمان. ومن ثم، فالمعينات هي التي تعنى بتحديد مرجع الوحدات اللغوية حين عملية التلفظ والتواصل . ويحيل هذا المرجع على واقعية لسانية خارجية تسيج علاقة الدال بالمدلول . ومن ثم، لايمكن أن يتحقق معنى الشيء، وتتعين هويته، إلا بمعرفة ظروف التواصل وشروطه المميزة . فإذا أخذنا على سبيل المثال هذا الملفوظ اللغوي :" سأذهب لأنام"، إذا كنا نعرف بأن أحمد هو الذي قال هذ ه الجملة، فضمير المتكلم يعود عليه إحالة وسياقا ومقاما .أي: إن ضمير المتكلم هو أحمد . وإذا لم نكن نعرف متلفظ هذه الجملة، فإننا لن نعرف بتاتا على من يعود ضمير المتكلم. وهكذا، يتبين لنا، بأن الضمائر تتحدد دلالة وإحالة ومرجعا بوجود أطراف التلفظ والتواصل.

ويرى إميل بنيفنست(Émile Benveniste)، في كتابه(**قضايا اللسانيات العامة**)، أن المعينات تحدد اللحظة المكانية والزمانية الآنية أثناء لحظة التلفظ بضمير التكلم [201]. وإذا تأملنا هذه الجملة على سبيل المثال: **"أسماء قالت: سأسافر هناك غدا "**، فأسماء مكون اسمي يحيل على المتكلم، ل كنه

[201] - Émile Benveniste: **Problèmes de linguistique générale** 1, ED, Gallimard, Paris, 1966, p.253.

ليس معينا؛ لأن المكون الاسمي لايشكل معينا إشاريا . في حين، يحيل ضمير المتكلم على المتكلم "أسماء"، وتحيل كلمة " هناك" على سياق تواصلي مكاني، بينما تحيل كلمة " غدا" على سياق تواصلي زمني. ومن هنا، لابد من استحضار السياق المكاني والزماني والشخوصي لتحديد المعينات والمؤشرات اللغوية . ومن هنا، يستلزم الحديث عن المعينات وجود أطراف التواصل، وفعل التلفظ، والمعينات، ووجود السياق.

أطراف التواصل	**فعل التلفظ**	**المعينات**	**السياق**
المرسل والمرسل إليه، أو المتكلم والمستقبل.	الملفوظات والعبارات والجمل والكلمات المكتوبة أو الشفوية.	الوحدات اللغوية من ضمائر، وأسماء الإشارة، وأدوات التملك، وظروف المكان والزمان.	- السياق التواصلي الذي يتكون من سياقات فرعية، كالسياق الشخوصي، والسياق المكاني، والسياق الزماني.

و يلاحظ أن المعينات ترتبط دائما في علاقة جدلية بلحظات الخطاب الفورية والآنية لفعل القول، وتتعلق كذلك بلحظات فعل التلفظ (le discours direct)، لكن حينما يتحول الخطاب أو الحوار المباشر إلى سرد أو حكي (le récit)، أو يتخذ صيغة الكلام المنقول (le discours indirect). فهنا، لايمكن الحديث عن المعينات . وللتوضيح أكثر، حينما يكون هناك حوار مباشر يكون الحديث - بطبيعة الحال- عن المعينات كما في هذا المثال:

" - أسماء: سأسافر غدا إلى مراكش.

- لمياء: أنا سأسافر معك غدا هناك إذا وافق والدي."

نلاحظ في هذا الحوار أو الخطاب المباشر مجموعة من المعينات المتعلقة بأطراف التواصل (أسماء ولمياء)، ووجود ضمائر الش خوص(ضمير التكلم)، ومعينات المكان (هناك)، ومعينات الزمان (غدا). في حين، إذا حولنا هاتين الجملتين الحواريتين إلى سرد محكي أو خطاب منقول، فلايمكن إطلاقا الحديث عن المعينات الإشارية؛ لأن المعينات تختفي حينما تتحول إلى وحدات لغوية في لحظة الغياب ، ولاتشير إطلاقا إلى لحظة التكلم والقول والتلفظ :" **قالت أسماء بأنها ستسافر إلى مراكش، وردت عليها لمياء بأنها ستفعل مثلها إذا وافق والدها".**

ونستخلص من هذا أن المعينات تظهر حضوريا مع الحوار الداخلي (المنولوج) والحوار المباشر (الديالوج)، وتختفي غيابيا مع الخطاب المنقول أو المحكي السردي.

وهكذا، فالمعينات هي الوحدات اللسانية التي لها وظيفة دلالية ومرجعية، وهذه الوحدات اللسانية هي مجموعة من العناصر التكوينية لوضعية التواصل. وتتضمن المعينات أو التعبيرات الإشارية (deictiques) ، في المنظور اللساني واللغوي الحديث، كل ما يحيل على وضعي ات التكلم والتخاطب والتواصل والتبليغ والتبادل بين المتكلم والمخاطب . وترتبط المعينات الإشارية بـ:

- الدور الذي يقوم به عاملو القول في عملية التلفظ.
- الوضع المكاني- الزماني للمتكلم والمخاطب على حد سواء[202].

ويعني هذا أن المعينات هي التي تتضمن إحالة خاصة ومتميز ة، وهذه الإحالة قد تكون مطلقة عامة، أو إحالة سياقية خاصة، أو إحالة إشارية تعيينية. وللتوضيح أكثر نورد هذه الأمثلة :

- ♦ يقطن أحمد مدينة الرباط.(إحالة مطلقة).
- ♦ يسكن علي في جنوب الرباط .(إحالة سياقية)
- ♦ يقطن علي هنا. (إحالة إشارية أو تعيينية)
- ♦ سيسافر علي في 24 من شهر دجنبر.(إحالة مطلقة)
- ♦ سيسافر علي أمسية العيد.(إحالة سياقية)
- ♦ سيسافر علي غدا. (إحالة إشارية أو تعيينية)

---

202 -C.K.Orecchioni: **L'énonciation de la subjectivité dans le langage**, Paris, Armand Colin, 1980, p:36.

وثمة مجموعة من الدارسين الغربيين الذين اهتموا بالمعينات والقرائن الإشارية في ضوء مقاربات متنوعة : نفسية، واجتماعية، وأنتروبولوجية، وبلاغية، و أسلوبية، ولسانية، وسيميائية،وتداولية ...، منهم: إميل بنيفنست في كتابه(**قضايا اللسانيات العامة**)[203]، وكاترين كيربرا أوريكشيوني في كتابها(**ملفوظ الذاتية في اللغة**)[204]، وكريماص في كتابه (**موباسان: سيميوطيقا النص :تمارين تطبيقية**)[205]، وفيليب هامون في كتابه(**سيميولوجية الشخصي ات**)[206]،وتزيتيفان تودوروف في كتابه(**الشعرية**)[207]، إلى جانب بول ريكور (Paul Ricoeur[208])، و رومان جاكبسون [209]، وييسبيرسين(Jespersen)، وكلود ليفي

---

[203] - Benveniste, E: **Problèmes de linguistique générale2**, ED, Gallimard, Paris, 1974.

[204] -C.K.Orecchioni: **L'énonciation de la subjectivité dans le langage**, Paris, Armand Colin, 1980.

[205] -Greimas: **Maupassant, la sémiotique du texte: exercices pratiques**, éditions du Seuil, Paris 1976, p:8-263.

[206] - فيليب هامون: **سيميولوجية الشخصيات**، ترجمة: سعيد بنكراد، دار الكلام، الرباط، الطبعة الأولى سنة 1990م.

[207] - تزفيطان تودوروف: **الشعرية**، ترجمة: شكري المبخوت ورجاء بن سلامة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، الطبعة الأولى سنة 1987م.

[208] - Paul Ricoer: **La métaphore vive**. Seuil, Paris, 1975, p.98.

[209] - R.Jakobson: **Essais de linguistique générale**, Minuit, Paris, 1963.

شتراوس[210] ، وفينريش(Weinrich[211])،وجان بياجي(Jean Piajet)، وشارل بالي(Bally[212])، وشارل فيلمور(Fillmore [213])، وفونديرليش(Wunderlish[214])، وآخرين...

ومن الدارسين العرب الذين اهتموا بالمعينات الإشارية، لابد من ذكر محمد مفتاح في كتابيه (**في سيمياء الشعر القديم**)[215] و(**تحليل الخطاب الشعري**)[216]، وعبد المجيد نوسي في كتابه (**التحليل السيميائي للخطاب الروائي**)[217]، ...

وبناء على ماسبق، يقصد بالمعينات أسماء الإشارة، والضمائر المتصلة والمنفصلة، وظروف الزمان والمكان. وبتعبير آخر، ما يشكل صيغة: أنا،

---

[210] - Levi-Strauss: **Anthropologie structurale**, Plon, Paris, 1958.

[211] -Weinrich Harold: **Le temps**, Seuil, Paris, 1973.

[212] - Bally:(Les notions grammaticales d'absolu et de relief), In: **essais sur le langage**, Minuit, Paris, 1969, pp:189-204.

[213] - Fillmore :(Deictic categories in the semantics of come), **Foundations of language** 2, 1966, pp: 219-227.

[214] - Wunderlish, Dieter: (Pragmatique, situation d'énonciation et deixis), **Langages,** 26, juin1972, pp:34-58.

[215] - محمد مفتاح:**في سيمياء الشعر القديم**، دار الثقافة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى سنة 1989م.

[216] - محمد مفتاح: **تحليل الخطاب الشعري**، ص:151.

[217]- عبد المجيد نوسي : **التحليل السيميائي للخطاب الروائي،** شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى سنة 2002م.

الآن، هنا . كما يمكن الحديث أيضا عن ألفاظ القرابة (أبي وأمي وخالي...)،وصيغ الانفعال و التعجب، وآليات الحكم والتقويم الذاتي.

ويمكن الحديث ، بصفة عامة، عن معينات المتكلم أو المتلفظ، ومعينات المستقبل أو المخاطب أو المرسل إليه أو المتلفظ إليه . فمن المعروف أن ضمير المتكلم يحدد هوية المتكلم، ويعين حضوره ووجوده سياقيا ومرجعيا حين عملية التلفظ والتواصل . ويتحدد ضمير المتكلم في صيغة المفرد " أنا" أو صيغة الجمع "نحن" عبر الطرائق التالية:

♦**استعمال الضمائر المنفصلة:** " غدا، سأسافر."، و" غدا سنسافر".

♦ **الضمائر المتصلة المرتبطة بالفعل** : " خرجت مبكرا "، و "ذهبنا هناك مسرعين".

♦ **أدوات التملك**: " كتابي"، و" كتابنا".

♦ **صيغ العلاقة والقرابة والتفاعل الوجداني** المرتبطة ضمنيا بضمير المتكلم : " التقيت بصديق "، و "هاتفني الجد "،و" الرضيع مريض "، وتحيل هذه الملفوظات الضمنية على الجمل التالية :"التقيت بصديقي"، و" هاتفني جدي "، و" رضيعنا مريض".

♦**صيغ الأمر والاستفهام والتوبيخ** : " اخبرني. كم الساعة؟ بدأ علي في البكاء".

♦ **العلامات الدالة على عواطف المتلفظ وانفعالاته**: وتسمى كذلك بموجهات الخطاب (modalisateurs du discours)، حيث تسمح للمتكلم أو المتلفظ بالتعبير عن أحاسيسه وعواطفه الوجدانية، وإصدار

أحكامه التقويمية إيجابا أو سلبا. وفي هذا السياق، يمكن الحديث عن الذاتية والموضوعية ، مثل:

- زرت فيلاه على شاطىء البحر.

- زرت كوخه على شاطىء البحر.

نستنتج ، من خلال هذين المثالين ، أن هناك تقويما سلبيا قدحيا (الكوخ)، وتقويما إيجابيا حول مكان الإقامة (الفيلا).

وتساهم صيغة الافتراض في تأكيد الحضور الذاتي، مثل : " يمكن أن تكون أسماء مريضة"، أو استعمال صيغة الشك " لاأعتقد ذلك!".

♦ **صيغ الانفعال والتفجع والتحسر والتأثر والتعجب** : " آه!"، و" كم هو جميل هذا المكان!"..

♦ **الموجهات**: مثل " بدون شك"، و" حسب رأيي"، و" في منظوري"...

ومن جهة أخرى، يتحدد وجود المستقبل عبر الطرائق الشكلية التالية:

♦ **ضمائر المخطاب**: أنت، وأنتم، ونحن(أنا، وأنت)...

♦**الضمائر المتصلة بالفعل**: كتبت- كتبتم...

♦**ضمائر التملك:** كتابك، كتابكم،...

♦ **ألفاظ القرابة والعلاقات الحميمية** : " صديق يريد رؤيتك "، " هاتفت الأم "، وذلك من أجل أن نقول:" صديقك يريد ريتك"، و"هاتفت أمنا(أنا، وأنت)"

♦ **صيغ الأمر والاستفهام والتنوبيخ** :" اسمع! أين هي النظارات؟ لمياء، سأذهب لأنام".

أما فيما يخص المعينات الفضائية، فنستحضر : هنا، هناك، ورائي، يساري، قربي،...

أما المعينات الزمانية، فهي: الآن، اليوم، غدا، البارحة، في هذا الشهر، في هذه اللحظة...

وفيما يتعلق بأسماء الإشارة، فنذكر: هذا، هذه، ذلك، تلك، هؤلاء، أولئك...

ويمكن الحديث كذلك عن أفعال الحركة والانتقال، مثل : جاء- ذهب- انطلق- سافر- ارتحل: "جاء سمير ليساعدني ". أي: تشير إلى الوصول إلى منطقة التلفظ أو مغادرتها.

ويمكن اعتبار كذلك بعض الأزمنة الفعلية من بين المعينات كالحاضر : أشتغل، ألعب، تلعب...

ومن جهة أخرى، يمكن الحديث عن نوعين من المعينات والقرائن الإشارية، فمنها ما يتعلق بالعوامل أو أطراف التلفظ والقول(actants)، و هناك ما يتعلق بظروف التواصل والتلفظ والقول وال كلام (circonstants). فمن ثم،تحيل معينات العوامل على المرسل والمرسل إليه، أو المتكلم والمستقبل، وتسمى بالمعينات الذاتية (embrayeurs subjectifs)، أو المعينات الشخوصية أو الضمائرية (embrayeurs personnels). أما المعينات الثانية، فتحيل على ظروف التلفظ وسياقه التواصلي، ويمكن تقسيمها كذلك إلى معينات مكانية (embrayeurs locatifs) أو معينات فضائية (embrayeurs spatiaux)، ومعينات زمانية (embrayeurs temporels).

أقسام المعينات		
المعينات الذاتية	**المعينات السياقية**	
عوامل التلفظ : المرسل والمرسل إليه، أو المتكلم والمستقبل.	المعينات المكانية أو المعينات الفضائية.	المعينات الزمانية.

علاوة على ذلك، تحمل المعينات والتعبيرات الإشارية في طياتها وظائف عدة، يمكن حصرها في الوظيفة المرجعية ، حيث تحدد هذه العناصر الخطابية، وهذه الوحدات اللسانية، سياق التواصل والتلفظ، سواء أكان سياقا شخصيا أم سياقا مكانيا أم سياقا زمانيا.فلا يمكن دراسة المعنى بدون تحديد المرجع. وفي هذا الصدد، تقول أوريكوشيوني :" يستحيل في بعض الأحيان الوصف المناسب للأداء الكلامي دون الاهتمام بمحيطها غير الكلامي بشكل عام . لايمكن دراسة المعنى دون تحديد صلته بالمرجع؛ ولايمكن تحليل القدرة اللسانية بتفريغ القدرة الإيديولوجية التي تنتظم عليها، لايمكننا وصف الإرسالية دون الاهتمام بالمقام الذي تأسس عليه، والنتائج التي تهدف إليها."[218]

[218] - أريكشيوني: **فعل القول من الذاتية في اللغة** ، ترجمة: محمد نظيف، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى سنة 2007م، ص:11.

كما تؤدي هذه المعينات والقرائن الإشارية وظيفة التعيين والتأشير، والتركيز على الإحالة المقامية وال نصية، وتحديد الوضعية المكانية والزمانية ، وتبيان المشار إليه قربا وبعدا، وتأكيد وظيفة الحضور والغياب، والتنبيه إلى الوظيفة الذاتية والموضوعية، ورصد وظيفة الاندماج واللاندماج، إلى جانب تحديد الوظائف الدلالية والمرجعية والتداولية واللسانية. ويعني هذا حسب بن فينست أن " الضمير ليس إلا شكلا فارغا ، إذا كان خارج الخطاب الفعال، و لا يرتبط بأي موضوع أو مفهوم أو تصور "[219]. ويرى بول ريكور أيضا أن الضمائر :" هي بالضبط لا دالة، الكلمة "أنا" ليست لها دلالة في ذاتها..."أنا" هو الذي، في جملة، يمكن أن ينطبق على نفسه أنا على أنه هو الذي يتكلم ؛ إذاً، الضمير هو أساسا اشتغال الخطاب، ولا يحمل معنى إلا حينما يتكلم شخص ويعين نفسه بقوله أنا."[220]

وبتعبير آخر، إن للمعينات وظائف دلالية تتمثل في ارتباط القرائن الإشارية بالسياق المرجعي والمعنى الدلالي . كما تؤدي هذه المعينات وظيفة نفسية كما عند جان بياجي . ومن ثم، فهل "القرائن الإشارية تكتسب مبكرا أو بكيفية متأخرة من قبل الطفل؟ ولكن الآراء متعددة حول

---

[219] - أريكشيوني: **فعل القول من الذاتية في اللغة**،ص:54.

[220] - أريكشيوني: نفسه،ص:55.

هاته النقطة : بالنسبة لبياجي القرائن الإشارية هي أكثر حضورا في الخطاب الطفولي؛ نظرا لارتباطها باستعمال أنوي ذاتي التمركز للغة."[221] كما تؤدي هذه المعينات وظيفة أنتروبولوجية. وفي هذا السياق، يعلن كلود ليفي شتراوس، ضمن مقاربته الأنتروبولوجية ، أن " في اللغات الهندوأوربية المصطلحات الدالة على القرابة منظمة في بعد ذاتي، على خلاف نظيرتها الصينية حيث يتعلق الأمر بنسق موضوعي كليا؛ إذ علاقات القرابة تدرك عن طريق صلتها بالشخص، باعتبار أن الألفاظ تصير مبهمة جدا ونادرة لتنطبق على أقرباء بعيدين . إذاً، الأنساق الهندأوروبية أنساق ذاتية التمركز وأنوية، معتبرة الأنا نقطة الانطلاق."[222]

وقد تتخذ المعينات وظيفة بلاغية حينما تتجاوز التعيين والتقرير إلى الإيحاء والتضمين عبر عملية الانزياح والخرق، وانتهاك المعيار التقعيدي، من خلال تصادم الوحدات اللغوية وتوترها، كما في الأمثلة التالية:

♦ " **نحن الآن منذ ثلاثين مليون سنة** ".هنا، ظرفان زمنيان (الآن/ ثلاثون مليون سنة) لا يشتغلان على النسق الاستدلالي نفسه، بل هناك تصادم دلالي بينهما على المستوى الزمني.

---

[221] - أريكشيوني: نفسه،ص:97.

[222] - أريكشيوني: نفسه،ص:82.

♦" **غدا ذهب القطار** " ، يلاحظ أن الذي يتكلم يعيش نسقين زمنين مختلفين(الماضي/المستقبل).

كما يقع هذا الانزياح البلاغي على مستوى الزمن، يقع أيضا على مستوى الضمائر والفضاءات ، وذلك كله من أجل خلق أبعاد إيحائية وفنية وجمالية واستعارية.

ومن وظائف المعينات الأخرى التمييز بين الأساليب والخطابات والأجناس الأدبية ، كالتمييز - مثلا- بين الحوار والسرد، فالحوار يتميز بوجود المعينات الحضورية، مثل: أنا، أنت،أنتم، ونحن...، واستعمال زمن الحاضر، وتشغيل الصيغ الانفعالية، وتنويع التعبير إلى : استفهام، وتعجب، وتفجع.... في حين، يتميز السرد أو الحكي بغياب هذه المعينات، مع استعمال الأفعال الماضية، وتشغيل ضمائر الغياب، مثل : هو، هي، هم، وهن، وخلوه من الصيغ الاستفهامية والانفعالية.

المبحث السادس: التشاكـــل

يعد التشاكل من أهم المفاهيم الإجرائية التي تعتمد عليها لسانيات النص والسيميوطيقا السردية في دراستها للنصوص والخطابات ، ولاسيما أن

التشاكل أهم عنصر في المستوى العميق، وهو المسؤول الفعلي عن توليد الدلالات التي تتجلى على مستوى السطح والظاهر، مرورا بالبنية المنطقية والدلالية والتركيبية والخطابية.

المطلب الأول: مفهوم التشاكـــل

من المعروف أن مصطلح التشاكل (**Isotopie**) مصطلح فيزيائي وكيميائي يدل على الوحدة والموحد و التوازي والتجانس والتناظر والتشابه والتماثل. كما يدل على تساوي الخصائص في جميع الجهات . ويعني أيضا الانتماء إلى حقل أو مجال أو مكان معين . وتشتق كلمة التشاكل(ISOTOPIE) اليونانية من(ISO) بمعنى متشابه ومتماثل، وكلمة(TOPOS) بمعنى المكان . ومن ثم، فالإيزوتوبيا (Isotopie) بمعنى الموقع أوالمكان أوالمجال نفسه.

هذا، وقد نقل كريماص(A.J.Greimas) هذا المصطلح من حقل الفيزياء والكيمياء ، فاستثمره في سيميوطي قا السرد ، باعتباره من أهم المفاهيم المركزية لتحليل الخطاب، وبناء المعنى، وتحقيق الاتساق والانسجام ، واستكناه الدلالة تجريدا وتقعيدا.

ومن جهة أخرى، يكون التشاكل على مستوى الجملة. ويكون أيضا على مستوى الخطاب. ويكون كذلك على مستوى المضمون والدلالة. كما يكون على مستوى الشكل التعبيري ، ويتحقق كذلك على المستوى التداولي والمقاصدي.

المطلب الثاني: نظريات التشاكل في الحقل السيميائي

ثمة مجموعة من النظريات والتعاريف والتصورات المتعلقة بالتشاكل السيميائي، وسوف نتتبعها واحدة تلو الأخرى لمعرفة مفاهيمها النظرية ومصطلحاتها الإجرائية:

الفرع الأول: تصــور كريماص

يعتبر كريماص (Greimas) أول من أدرج مفهوم التشاكل ضمن التحليل السيميوطيقي للسرد، بعد أن أخذه من حقل الفيزياء والكيمياء، في سنوات الستين من القرن العشرين(1966م)، أثناء تأليفه لكتابه التنظيري القيم(**علم الدلالة البنيوي/ la sémantique structurale**)[223]. وبعد ذلك، أصبح هذا المفهوم الإجرائي مرتكزا منهجيا جوهريا في الكتابات السيميوطيقية النظرية والتطبيقية. بيد أن كريماص حصر هذا المفهوم على المحتوى الدلالي السردي فقط، دون أن يلتفت إلى التشاكل على مستوى الشكل أو الصياغة التعبيرية، كما يرد ذلك جليا في النصوص الشعرية . وقد انتبه إلى ذلك - فيما بعد- فرانسوا راستيي (François Rastier). ومن ثم، أ صبح الحديث عن تشاكل الدلالة من جهة، وتشاكل الشكل والصياغة من جهة أخرى.

هذا، ويعرف كريماص التشاكل بكونه" مجموعة متراكمة من المقولات المعنوية (أي المقومات) التي تجعل قراءة متشاكلة للحكاية، كما نتجت عن

[223] - Greimas**: <u>La sémantique structurale</u>**, Paris, Larousse, 1966.

قراءات جزئية للأقوال بعد حل إبهامها، هذا الحل نفسه موجه بالبحث عن القراءة المنسجمة."[224]

ويعني هذا التعريف أن التشاكل يكون في الجملة ، كما يكون في الخطاب . ومن ثم، يتم التشاكل بتراكم المقومات المعجمية والمقومات السياقية. ومن ثم، يحقق هذا التشاكل انسجام الحكاية ، وسهولة مقروئيتها ، مادام التشاكل عنصرا أساسيا في إزالة الغموض والإبهام والالتباس أثناء عملية التقبل والتلقي. ويقصي هذا التعريف الجانب الشكلي من الخطاب، ويركز على المضمون فقط . بينما التشاكل ح اضر بكثرة على مستوى الصياغة والمقصدية كما في مجال الشعر.

ويعرف كريماص التشاكل كذلك بأنه " هو استمرارية قاعدة سلمية للمقومات السياقية التي تمكن، نتيجة انفتاح المركبات الاستبدالية التي هي المقولات السياقية، من تحقيق تغيرات وحدات التمظهر، وهي تغيرات، عوض أن تهدم التشاكل، لا تعمل إلا على تأكيده".[225]

والغرض من دراسة التشاكل عند كريماص هو البحث عن الانسجام الخطابي ، و التأكد من صحة المقروئية، وخلق وحدة النص، إذ يقول كريماص :" كيف يمكن أن نفسر أن مجموعة سلمية من الدلالات تنتج إرسالية متشاكلة؟ لأن هناك شيئا أكيدا : سوا ء بدأنا بتحليل الخطاب من فوق، أي بالانطلاق من وحدة معجمية، تتحدد بصفتها وحدة معنى، أو قمنا

---

[224] - Greimas**: <u>La sémantique structurale</u>**, Paris, Larousse, 1966.

[225] - Greimas: Op.Cit, p: 96.

بتحليل الوحدات الدنيا المكونة، فإن مسالة وحدة الإرسالية التي تفهم بصفتها كلا دالا، تعد أمرا مطروحا بالضرورة."[226]

ويعني هذا أن كريماص يبحث عن قراءة منسجمة للحكايات المس رودة:" يمكن بواسطة مفهوم التشاكل أن نبرز كيف أن كل النصوص تتحدد على مستويات دلالية منسجمة، وكيف أن المدلول العام لمجموعة دالة، عوض أن يلتمس بشكل قبلي، يمكن أن يؤول بمثابة واقع بنيوي للتمظهر اللغوي."[227]

لكن كريماص قد وسع مفهوم التشاكل الذي أسسه سنة 1966 بمفهوم آخر ضمنه في كتابه(**في المعنى/ Du sens**) سنة 1970م توضيحا وتدقيقا، وقد وسعه أيضا فرانسوا راستيي (François Rastier)، وميشيل أريفي (MICHEL ARRIVÉ)[228]، وكاترين كيربرا أوريكشيوني (Catherine Kerbrat- Orrecchioni)[229]... ليشمل عند هؤلاء الشكل والدلالة والمقصدية على حد سواء.

الفرع الثاني: تصور فرانسوا راستيي

---

[226] - Greimas**:** Op.Cit ,P:69.

[227] - Greimas Op.Cit, p: 53.

[228] - Arrivé (Michel): (Pour une théorie des textes polyisotopiques), in: **Langages**, sept. 1973, n°31, pp. 53-63.

[229] - Kerbrat-Orecchioni (Catherine): (Problématique de l'isotopie, in: **Linguistique et sémiologie**, 1976, 1, p. 11-34.

يعد فرانسوا راستيي(François Rastier) من أهم السيميائيين الغربيين الذين وسعوا مفهوم التشاكل ليشمل الدلالة والشكل على حد سواء، في مقاله القيم (**منظومة التشاكلات / systématique des isotopies)** سنة 1972م[230] . ويعني هذا أن هناك تشاكلا صوتيا ، وصرفيا ، وإيقاعيا، ونبريا، وتركيبيا، ومنطقيا، ومعنويا...

ويعرف فرانسوا راستيي التشاكل بأنه " كل تكرار لوحدة لغوية مهما كانت".[231] ويعني هذا أن التشاكل عند فرانسوا راستيي يتخذ بعدا دلاليا وشكليا ، بالتركيز على الوحدات اللغوية والشكلية . كما يتضمن هذا التعريف التشاكل والتباين ." فالتشاكل والتباين - يقول محمد مفتاح- لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر . وأنه هو الذي يحصل به الفهم الموحد والموحد للنص المقروء، وهو الضامن لانسجام أجزائه وارتباط أقواله، وأنه هو الذي يبعد الغموض والإبهام اللذين يكونان في بعض النصوص التي تحتمل قراءات متعددة، فإن بينهما أنواعا من الخلاف أتى بها الذين درسوا الخطاب الشعري على ضوء مفهوم التشاكل. وعلى هذا، فإن ميدان اختيارهم هو الذي نبههم إلى تشاكلات ليست موجودة في الكتابة الأسطورية وغيرها، فالشعر تعبير ومضمون، ولربما كان التعبير فيه أهم

---

[230] - François Rastier: (systématique des isotopies), in:**Essais de Sémiotique poétique**, Larousse, Paris, 1972.PP:80-106.

[231] - François Rastier:Opcit, PP:82.

من المضمون، وخصوصا العنصر الصوتي والتعادلات والتوازنات التركيبية منه. فتعريف راستيي الموسع الذي رأيناه صاغه حينما درس قصيدة شعرية، ثم سارت على خطاه جماعة مو."[232]

ويرتبط التشاكل عند فرانسوا راستيي بالاتساق والانسجام، وطريقة قراءة النص." إن المشروع العلمي الذي يقدمه هذا النص قد ولد من قلب هذه الأسئلة البسيطة: ماذا نفعل حين نقرأ نصا ، ومن أين ينبع الشعور بوحدة النص ؟".[233]

وهكذا، نجد فرانسوا راستيي يدرس التشاكل من وجهة دلالية وشكلية، مادام قد تعامل مع الشعر على سبيل الخصوص . في حين، درسه كريماص من وجهة دلالية ومعجمية في مجال السرد والحكاية.

الفرع الثالث: تصور جوزيف كورتيس

يعرف جوزيف كورتيس (Josef Courtès) التشاكل بقوله :" تحدد السمات السياقية أو الكلاسيمات في نص ما التشاكل أو التشاكلات التي تضمن انسجامه، فيقال بأن مقطعا خطابيا ما متشاكل إذا كان له كلاسيم أو عدة كلاسيمات متكررة، فالمركب الذي يجمع على الأقل صورتين سيميتين يمكن أن يعتبر سياقا أدنى يسمح بإقامة تشاكل . إن المفهوم الأساسي للتشاكل يجب أن يفهم كمجموعة متكررة من المقولات الدلالية (كلاسيمية) تجعل قراءة موحدة للحكاية ممكنة، مثلما تنتج عن

---

[232] - محمد مفتاح: **تحليل الخطاب الشعري**، ص:21.

[233] - François Rastier : **Sémantique interprétative**, PUF, 1987, P:9.

قراءات جزئية للملفوظات وعن حل ملابساتها، موجهة بالبحث عن قراءة واحدة، بهذا المعنى نستطيع بسهولة، بفضل مفهوم التشاكل، أن نبين كيف أن نصوصا كاملة تقع في مستويات دلالية متجانسة . أي: كيف أن مدلولا كليا لمجموع دال عوض أن يصادر عليه مسبقا، يمكن أن يفسر كحقيقة بنيوية للتمظهر اللساني.

يمكن أن يتحدد التشاكل كاستمرارية لقاعدة كلاسمية متراتبة، تسمح بتغييرات لوحدات التمظهر بفضل انفتاح الإبدالات التي هي المقولات الكلاسيمية، والتي بدل أن تهدم التشاكل، لا تقوم إلا بعكس ذلك، أي بتأكيده."[234]

إذاً، يساهم التشاكل السردي - حسب جوزيف كورتيس- في إزالة الغموض والإبهام والالتباس الذي يمكن أن يقع فيه ملفوظ ما، باستخلاص الثوابت الدلالية المشتركة للصور المتعاقبة داخل الخطاب. كما يساهم في تحقيق الملاءمة والاتساق والانسجام الدلالي. ولا يخرج جوزيف كورتيس في تعريفه عن تصورات كريماص، على أساس أن ال تشاكل هو تكرار لوحدات دلالية عبر مسارات النص الحكائية أو السردية.

الفرع الرابع: تصور جماعة مــو

اهتمت جماعة مو (Groupe M) على غرار التيار السيميوطيقي بالتشاكل، ولكن درسته من وجهة منطقية تركيبية، في كتاب **(بلاغة**

[234] - جوزيف كورتيس: **مدخل إلى السيميائية السردية والخطابية**، ترجمة الدكتور جمال حضري، مطبعة الجسور بوجدة، الطبعة الأولى سنة 2007م، ص:65-66.

الشعر/ La rhétorique de la poésie)[235]. وتعرف ا لجماعة التشاكل بقولها :" تكرار مقنن لوحدات الدال نفسها (ظاهرة أو غير ظاهرة)، صوتية أو كتابية أو تكرار لنفس البنيات التركيبية (عميقة أو سطحية) على مدى امتداد قول".[236]

ويعني هذا أن جماعة مو توسع مفهوم التشاكل ليتعدى الدلالة إلى الوحدات اللغوية الصوتية والصرفية والبلاغية والتركيبية والمنطقية، سواء أكانت تلك الوحدات المكررة تقع على مستوى السطح أم على مستوى العمق من النص. وينطبق هذا التعريف على سائر الخطابات، بما فيها الخطابات العلمية، والأدبية، والفنية ، والسياسية، والاقتصادية، والاجتماعية ... وإذا كان التشاكل عند كريماص ذا طابع دلالي خاص بالحكاية، فإن فرانسوا راستيي اعتبره تشاكلا شكليا ولغويا . بينما تعتبره جماعة "مو" تشاكلا تركيبيا ومنطقيا.

فإذا أخذنا على سبيل المثال" **الليل هو النهار**"، فهنا تشاكل عند كريماص، مادام هناك جامع مشترك بين الليل والنهار يتمثل في عنصر الزمان. في حين، لا يوجد تشاكل في ذلك عند جماعة مو لوجود تناقض تركيبي منطقي.

أما في عبارة " **الماء يجري** " ، فيوجد تشاكل ملحوظ لوجود الميوعة كعنصر مشترك بين الماء ويجري. أما عبارة" **الماء يشرب**" ، فلا وجود

---

[235] - Groupe M: **La rhétorique de la poésie**, PUF, Paris, 1799.

[236] -Groupe M: **La rhétorique de la poésie** , p:35.

للتشاكل لوجود تناقض تركيبي منطقي بين اللاحي(الماء) والحي(يشرب).

ولا يوجد التشاكل إطلاقا عند جماعة مو في عبارة " **الثلج أسود** " لوجود التناقض والمفارقة المنطقية التركيبية . أي: يوجد ما يسمى باللاتشاكل(ALLOTOPIE).

وعليه، حددت جماعة " مو" شرطين ضروريين للتشاكل هما:

❶التراكم المعنوي لرفع إبهام القول، وإزالة غموضه.

❷ صحة القواعد التركيبية والمنطقية بما فيها من مساواة وحمل.

ومن ثم، أتت جماعة مو بتعريف آخر للتشاكل، منطوقه هو "خاصة مجموعات محددة من وحدات الدلالة المؤلفة من تكرار لمقومات متماثلة ، ومن غياب مقومات مبعدة في موقع تركيبي تحديدي."[237]

وهكذا، فلقد تعاملت جماعة مو مع الشعر من وجهة سيميائية ، باستقراء مفهوم التشاكل الشكلي بمراعاة قواعد التركيب والمنطق، أي : مراعاة ثنائية الصدق والكذب.

الفرع الخامس: تصور جماعة أنتروفيرن

ترى جماعة أنتروفيرن (Groupe D'Entrevernes) أن التشاكل " يحقق وحدة الرسالة أو الخطاب . ويتحدد أيضا بأنه ال مستوى المشترك الذي يمكن أن يحقق انسجام المعطى . ويحيل المستوى المشترك على وجود بعض السمات الصغرى الدائمة والثابتة".[238]

---

[237] - Groupe M:**Op.cit**, p:41.

[238] - Groupe D'Entrevernes : **Analyse sémiotique des textes** , p : .123

وترى جماعة أنتروفيرن أن التشاكل يتحقق على مستوى الجملة من خلال توارد السميمات(sémèmes)والكلاسيمات (classèmes) التي تضفي على الجملة نوعا من الاتساق والانسجام . ويتحقق التشاكل أيضا على مستوى النص والخطاب ، ضمن المستوى الخطابي، عبر المسارات التصويرية(Parcours figuratifs). وتساهم العلاقات الموجودة بين هذه المسارات التصويرية في إيجاد مجموعة من السمات والمقومات المشتركة الثابتة التي تتحدد على طو ل الخطاب، محدثة تشاكلا واحدا أو عدة تشاكلات تضفي على النص انسجاما للصور البارزة والمؤطرة للخطاب[239].

ومن المعروف أن ظاهرة الثبات والدوام والاستمرارية أو تكرار العناصر الصغرى المشتركة نفسها تسمى بالتواتر أو التردد أو الإسهاب أو الإطناب أو التوسيع أو التمطيط (Redondance).

ومن ثم، يمكن - حسب جماعة أنتروفيرن- الحديث عن نوعين من التشاكل : التشاكل الدلالي (Isotopie sémantique) والتشاكل السيميولوجي (isotopie sémiologique)، فالتشاكل الدلالي يتحدد بتواتر المقولات التصنيفية الكليسيماتيكية ، ويحقق الاتساق والانسجام داخل الخطاب المعروض، ويزيل كل غموض والتباس.

فإذا أخذنا على سبيل المثال الجملتين التاليتين:

❶ **نسمع دوي الرعد في الجبل.**

239 -Groupe D'Entrevernes : Op.Cit, p : .123

❷نسمع دوي الرعد بين الناس.

نلاحظ في الجملة الأولى مقولة دلالية تصنيفية تتمثل في /الطبيعي/ مقابل مقولة دلالية مقابلة في الجملة الثانية/إنساني/. ويساهم هذا التعارض بين المقولتين التصنيفيتين الدلاليتين في تحقيق الانسجام بين الجملتين، ويزيل كل إبهام وغموض والتباس على مستوى التقبل والمقروئية.

وإذا أخذنا كلمة أو صورة " **الكنز** " في علاقتها بصورة " **البطل** " داخل متن سردي ما، فنجد أن هذه الصورة المعجمية تتكو ن من مجموعة من السمات النووية على الشكل التالي:

/ مجموع/ + /ثمين/ + /الكم/.

هذا، وتشكل صورة الكنز وصورة البطل داخل مسار تصويري روائي أو حكائي التصنيفات الكليسماتيكية التالية: /الشيء/ أو/إنساني/. ومن ثم تأخذ كلمة " الكنز" بمدلول " الشيء" عبر المسارات التصويرية داخل النص المعطى السمة المشتركة التي تتمثل في/ الاقتصادي/. في حين، تتخذ كلمة الكنز بمدلول"الإنسان" المقوم الدلالي/ الفاعلية/.

أما التشاكل السيميولوجي في الخطاب أو الجملة، فيتحقق عبر تواتر أو تردد المقولات النووية .أي: ما يسمى أيضا بالسمات النووية (sèmes nucléaires). ويعني هذا أن الصور تحمل في طياتها نواة دلالية تتكون من بعض السمات النووية التي تساهم في تقريب الصور من بعضها البعض، وتحقق لعبة الكلمات والاستعارات.

فصورة" الكنز " - مثلا - يمكن أن تحقق ظاهرة التشاكل السيميولوجي، فكلمة /ثمين/ هي سمة نووية، ويمكن استحضار سمات أخرى مثل:/قطعة من الذهب/.

ويمكن توضيح هذا كله على النحو التالي:

★ الصورة(figure): الكنز

★ النواة السيمية(noyau sémique): /مجموع/ + /ثمين/ + /الكم/

★التشاكلات السيميولوجية:

/ **اقتصادي**/

الصور الممكنة بواسطة السمات النووية، مثل:

/ثمين/+/مجموع/+/ صرفي/+ / نقدي/+ إلخ...

/ **فعالية**/

صور ممكنة بواسطة السمات النووية مثل:

/ثمين/+/ علائقي/+/ الرغبة/+ إلخ...

★التشاكل الدلالي:

/الشيئي/ عكس /الإنساني/

يساهم الاختيار بين هذين الكلاسيمين في تحقيق هذه التشاكلات السيميولوجية المتنوعة:

/الشيء/←/اقتصادي/

/ مغامرة/ أو/ اكتشاف/

/ إنساني/←/فعالية/

/ثقافي/ أو /فني/.[240]

ويتسم بحث جماعة أنتروفيرن في مجال التشاكل ببعده البيداغوجي والديداكتيكي القائم على شرح النظرية الكريماصية، ودعمها بالأدلة التوضيحية التطبيقية.

الفرع السادس: تصـور محمد مفتاح

يقدم الباحث المغربي محمد مفتاح في كتابه (**تحليل الخطاب الشعري**) (1985م) تصورا موسعا جديدا للتشاكل يشمل الجوانب المعنوية والشكلية والمنطقية والتداولية . ويعرفه بكونه " تنمية لنواة معنوية سلبيا وإيجابيا بإركام قسري أو اختياري لعناصر صوتية ومعجمية وتركيبية ومعنوية وتداولية ضمانا لانسجام الرسالة".[241]

ويعني هذا التعريف أن التشاكل بمثابة تمطيط وتوسيع وتكرار لنواة دلالية معينة أو تكرار لمقومات دلالية وسيميائية، قد تكون فكرة أو عنوانا أو مقوما أو بؤرة أو جملة محورية أو مستنسخا تناصيا . وتتسم هذه النواة بالتراكم داخل النص ترددا وتواترا. بيد أن هذا الترا كم قد يكون اختياريا خاضعا لحرية المبدع أو قسريا إجباريا تفرضه ضرورات اللغة وإمكانياتها المحدودة. ومن ثم، يشمل التشاكل البنية والدلالة والوظيفة. أي: يمكن الحديث عن التشاكل الصوتي، والصرفي، والإيقاعي، والتركيبي،

---

[240] - Groupe D'Entrevernes : **Analyse sémiotique des textes**, p : 124-125.

[241]- محمد مفتاح: نفسه، ص:25.

والبلاغي . كما يمكن الحديث عن التشاكل الدلالي و التداولي المتعلق بالمقصدية . والغرض من التشاكل هو تحقيق الانسجام والاتساق والمقروئية.

بيد أنه قد يصبح التشاكل لا تشاكلا (ALLOTOPIE)، وخاصة في الاستعارات الشعرية الكثيفة والمتنوعة كما في الشعر المستقبلي والرمزي والسريالي ، أو النصوص اللاعقلانية ونصوص مابعد الحداثة.

ويرى محمد مفتاح أن مفهوم التشاكل " استعير من الميدان العلمي إلى ميدان تحليل الخطاب لضبط اطراد المعنى بعد تفكيكه خدمة للترجمة الآلية. وقد عمم – فيما بعد- ليشمل الشكل أيضا. إن هذا المفهوم بحسب ما استقر عليه هو أكثر فعالية في تحليل الخطاب، وقدرة إجرائية من مفاهيم بالغة التعميم أو التخصيص مثل : التكرار والتوازي . وقد أضافت إليه الدراسات الحديثة مفاهيم أخرى لسبر أغوار النص على ضوئها مثل : الاقتضاء والتضمن والشرح وقواعد الخطاب والاستدلال. "[242]

وعليه، فلقد وسع محمد مفتاح مفهوم التشاكل ليجعله مصطلحا إجرائيا في بناء الدلالة ، بتفكيك الدلالة والصياغة والمقصدية.

المطلب الثاني: منهجيــة قراءة التشاكل

يوظف التشاكل [243] ، كما هو معروف في مجالات وميادين متنوعة ومختلفة، مثل: السيميوطيقا ، والبلاغة ، والأسلوبية، وعلم الدلالة ، لبناء

[242] - محمد مفتاح: نفسه، ص:30.

معنى النص، وخلق انسجامه. ومن هنا، فالقارئ هو الذي يستطيع، بشكل من الأشكال، تحديد تشاكل النص برصد التكرار أو التوارد . ومن المعلوم أن تعاريف التشاكل متعددة ومتنوعة، وتختلف من دارس إلى آخر . وعلى الرغم من ذلك، لايتحقق التشاكل في مقطع أو خطاب إلا بوجود مقوم واحد أو مقومات دلالية عدة مشتركة [244]. ويعتبر التشاكل كذلك نتاج تكرار عناصر الدلالة للمقولة نفسها[245]. ويعني هذا أن التشاكل عبارة عن مجموعة من المقولات الدلالية التي تجعل قراءة سردية ممكنة منسجمة، والتي تتم قبل ذلك بواسطة قراءات جزئية للأقوال، وكل ذلك من أجل إزالة الغموض والإبهام عن النص المعطى."[246]

ويعرف التشاكل كذلك بأنه تكرار لأي وحدة لسانية أو لغوية، سواء أكان صوتا أم سمة أم بنية جملية . ويدل التشاكل الدلالي على تكرار السمات التي تؤمن الوحدة الدلالية للمتوالية النصية المتمظهرة، سواء أكانت تلك السمات تقريرية أم إيحائية، عامة أم خاصة.[247]

---

[244] -A. J. Greimas: ***Sémantique structurale***, p.53.

[245] - A. Hénault: ***Les enjeux de la sémiotique***, PUF, 1993, p.81.

[246] - A. J. Greimas, ***Du sens. Essais sémiotiques***. Le Seuil, 1970.

[247] - FROMILHAGUE, C. & SANCIER, A. : ***Introduction à l'analyse stylistique***, Bordas, 1991, p. 63.

ويحضر التشاكل كذلك إذا كان هناك قاسم مشترك واحد على الأقل بين وحدتين دلاليتين تقعان في المحور التركيبي نفسه[248].

هذا، ويعتمد التشاكل على التحليل الدلالي ، بالتركيز على التحليل بالمقومات والمقومات السياقية ، بغية تحقيق وحدة النص ، وخلق اتساقه وانسجامه، وإزالة غموضه وإبهامه. ومن ثم، فهناك تشاكل دلالي وتشاكل سيميولوجي . كما يقع التشاكل على مستوى الدلالة (التمطيط الدلالي والتواتر المعجمي)، والبنية (الأصوات- الإيقاع- التركيب- الصرف- البلاغة) ، والتداول (الوظيفة- المقصدية). ويتحقق التشاكل أيضا عبر الجملة والخطاب معا. بل يمكن الحديث عن تشاكل بسيط يتعلق بتشاكل الوحدات الصوتية، وتشاكل الوحدات الصرفية، و تشاكل الوحدات المعجمية، و تشاكل الوحدات الدلالية . ومن جهة أخرى، نتحدث عن التشاكل المعقد الذي يتمثل في الجمع بين كل هذه التشاكلات الأربعة داخل مختلف التمظهرات النصية. كما يمكن الحديث عن أنواع من التشاكلات : التشاكل الصوتي، والتشاكل الإيقاعي، والتشاكل الدلالي، والتشاكل السردي، والتشاكل التلفظي، والتشاكل التركيبي . وهناك أيضا تشاكل حرفي تقريري، وتشاكل إيحائي مجازي.

هذا، ويؤدي " تحديد التشاكلات إلى إبراز آليات نمو الخطاب الروائي وتوالده، فالخطاب حينما يحدد إطارا متشاكلا، يعمل على تنمية مقاطعه

---

248 - J. Courtés, ***La sémiotique du langage***, Nathan, 2003, p. 103.

الأخرى اعتمادا على هذا الإطار الأولي بمراكمة الوحدات المعجمية التي تنتشر داخل المسارات التصويرية."[249]

وعليه، فالتشاكل مفهوم سيميائي إجرائي يسعف الباحث على تحليل الخطاب دلالة وصياغة ومقصدية، برصد المقومات المعجمية والمقومات السياقية، قصد توفير مقروئية منسجمة للنص.

ويرتبط التشاكل الدلالي ، على الخصوص، بالحقل المعجمي الذي يرد في شكل تيمات وحوافز موسعة داخل النص . إذ يتكون حقل الطبيعة من الكلمات التالية: النبات، الأرض، الشجرة، الطيور- الاخضرار- المطر... أما التشاكل الدلالي، فهو مجموعة من الكلمات التي تتضمن التيمة أو الحافز أو المحور نفسه، ولكن عبر لعبة الإحالات والمعاني المضمرة أو الثانوية أو المجازية أو التي لا تفهم إلا عبر السياق الكلي للنص . وهناك من يرى أن الحقل المعجمي بالمفهوم الدقيق ليس إلا تشاكلا معجميا ودلاليا . لكن التشاكل يختلف عن الحقل المعجمي ، لكونه يبحث عن المعاني الإيحائية والصور البلاغية والمعاني الثاوية وراء الأسطر. ويمكن أن يتحقق التشاكل حتى في غياب الكلمات والمفاهيم الظاهرة التي تحيل عليه، كما نجد ذلك في قصيدة (نوم الوادي / ***Le Dormeur du val*** **d'A. RIMBAUD**) ، حيث نلفي تشاكل الموت في غياب مطلق للكلمات الدالة على الموت.

---

[249] - عبدالمجيد نوسي : **التحليل السيميائي للخطاب الروائي** ، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى سنة 2002م، ص:108.

وللتمثيل، دونكم هذه الكلمات : الجروح- الأحمر- السهم- الألم- القلب. إذ يمكن أن نتصور هذه الكلمات التي توجد خارج السياق النصي أنها تحيل على الحرب والعنف أكثر مما تحيل على هوى الحب . بيد أن مجموع النص هو الذي يزيل هذا الغموض والصعوبة والالتباس على مستوى القراءة. إلا أن هذه الكلمات المذكورة سابقا وردت في مسرحية (**فيدر**) لراسين، فهي تحيل سياقيا على هوى الحب ليس إلا. ويعني هذا أن السياق هو الذي يحدد التشاكل الدلالي. فالحب في التصنيف المذكور ليس دلالة على اللون، بل دلالة على الحب . كما أن الجروح ليس فيزيائية، بل هي نفسانية، وهذا ما يحدده السياق النصي للمسرحية بشكل واضح وجلي . ومن ثم، فالتشاكل الدلالي هو الذي يساهم في إزالة هذا الغموض الدلالي.

وإذا انتقلنا - مثلا- إلى دراسة التشاكل المنهجي في القصيدة الشعرية، فينبغي دراسة التشاكل البصري الأيقوني والفضائي، والتشاكل الصوتي، والتشاكل الإيقاعي، والتشاكل الصرفي، والتشاكل التركيبي، والتشاكل البلاغي، والتشاكل الدلالي والمنطقي، وتشاكل الضمائر، والتشاكل التداولي(المقصدية والرسالة والرهان).

أما في مجال المسرح ، فيمكن رصد التشاكل على مستوى الدلالة، بتتبع المسارات الدرامية والمشاهد الركحية، بغية تحديد المتواتر والمتردد من التيمات والحوافز والمواضيع البارزة، والانتقال من التعيين نحو التضمين، ورصد التشاكل التعبيري على مستوى القالب، والسينوغرافيا، والتشخيص، والإخراج، والتلقي، والكتابة، والمقصدية.

أما على صعيد السرد والحكاية، فيتم تقطيع العمل إلى متواليات ومقاطع نصية . وبعد ذلك، يتم الحديث على المستوى التركيبي بالتركيز على التحولات الإنجازية لفاعل الفعل وفاعل الحالة، وتحديد البرامج السردية بالإشارة إلى التحفيز، والتأهيل، والإنجاز، والتقويم . والانتقال بعد ذلك، إلى البنية العاملية، ورصد أدوار الفاعل العاملية والغرضية والمعجمية والانفعالية والكلامية والتفكيرية على مستوى المسارات التصويرية ضمن البنية الخطابية.

وعلى مستوى البنية العميقة، تحدد الحقول المعجمية، ويرصد التشاكل الدلالي القائم على المقومات السياقية أو المقولات التصنيفية المتواترة(الكلاسيمات). وبعد ذلك، يحدد التشاكل السيميولوجي بالتركيز على القيم الخلافية والسمات النووية المتواترة.

وعند الانتهاء من إبراز التشاكلات الدلالية والسيميولوجية ، يتم الانتقال إلى المربع ال سيميائي لتحديد مستخلصات التشاكل في شكل عمليات منطقية أصولية تأسيسية تتمثل في علاقات التضاد، وعلاقات شبه التضاد، وعلاقات التناقض، وعلاقات التضمن.

وخلاصة القول، تلكم نظرة مختصرة ومقتضبة إلى التشاكل السيميوطيقي من حيث مفهومه، ودلالاته السيميائية، وتصوراته الن ظرية، وآلياته المنهجية والتطبيقية.

المبحث السابع: الحواريــة

تعرف فرانسواز أرمينكو (Françoise Armengaud) الحوارية بأنها" مكون لكل كلام، وتعرف كتوزيع لكل خطاب إلى لحظتين تلفظيتين توجدان في علاقة حالية، ويقدم المبدأ الحواري من خلال الحدود التالية : كل تلفظ يوضع في مجتمع معين لابد من أن ينتج بطريقة ثنائية، تتوزع بين المتلفظين الذين يتمرسون على ثنائية الإصاتة وثنائية العرض، على حد تعبير فرانسيس جاك، وإن كل كلام إلا وله مالكان تقريبيان، وربما كان من المضبوط القول بأن سيدة الكلام الحواري هي العلاقة التخاطب ية ذاتها."[250]

بمعنى أن الملفوظ التخاطبي دال مادام يتموضع في مجتمع المتحاورين والمتناظرين. ومن ثم، يمتلكون علاقات حوارية وتخاطبية . ومن ثم، تقوم الحوارية على عرض الملفوظات المتبادلة، فتترابط الحوارات الحالية مع الحوارات السابقة والحوارات اللاحقة.

---

[250] - فرانسواز أرمينكو: **المقاربة التداولية**، ترجمة: سعيد علوش، المؤسسة الحديثة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى سنة 1987م، ص:112.

علاوة على ذلك، يمكن الحديث عن أنواع من الحوارية ، فهناك حوارية حجاجية فلسفية وتداولية كما عند فرنسيس جاك، وحوارية أدبية كما عند الروسي ميخائيل باختين ، وحوارية بوليفونية لسانية ولغوية كما عند أزوالد دوكرو. كما تنقسم الحوارية أيضا إلى حوارية صريحة، وحوارية مضمرة، وحوارية متعددة الأصوات.

هذا، وتحقق الحوارية مجموعة من الوظائف والأهداف " نجد في الدرجة الأولى أنها تمنح للتلفظ طبيعة نسبية وتفاعلية . وتحكم في الدرجة الثانية عند المتكلمين- وأكثر في اللحظات التلفظية – نشاطين لايفترقان عن إرادة القول والفهم : في الدلالة والفهم، . حين، تكون العلاقة التخاطبية غير متعادلة، أو حين تكون موضوعا لنفي صراعي في الخطاب . وتحكم الحوارية في الدرجة الثالثة الدلالة العميقة للتلفظ : مادامت الآلية الإحالية والمضمون القضوي، والقوة الإنجازية للجملة في وضعية تخاطبية.

وتعد آثار الحوارية في مفهوم المتكلم هامة بصفة خاصة. إذ تلغي استقلال الفاعل المتكلم تجاه الدلالات الموصلة. ويحيل التحليل المتعالي، في علاقة بهذا، لا على الفاعل، بل على العلاقة التخاطبية نفسها."[251]

ومن هنا، فالحوارية تتجاوز الجملة مادام التخاطب قائما على السؤال والجواب، وتجاوز للمتكلم إلى العلاق ة التخاطبية التي تجمع بين المتكلم والمتلقي، ووجود إحالة على الأشخاص وإحالة على العالم سياقا ومقاما.

---

[251] - فرانسواز أرمينكو: **المقاربة التداولية**،ص:112.

أما فيما يخص الحوارية المتعددة في الأدب، فتنبني على تعددية في الأطروحات والأفكار والإيديولوجيات ووجهات النظر، وتعدد في الرواة والسراد، وتعدد في اللغات والله جات والأساليب، واعتماد السخرية والباروديا والتهجين والأسلبة والتناص . بمعنى أنها رواية تفاعلية نسبية تحتكم إلى دمقرطة السرد والرؤية والإيديولوجيا.

هذا، ويعرف ميخائيل باختين الرواية البوليفونية بقوله :" إن الرواية المتعددة الأصوات ذات طابع حواري على نطاق واسع . وبين جميع عناصر البنية الروائية، توجد دائما علاقات حوارية .أي: إن هذه العناصر جرى وضع بعضها في مواجهة البعض الآخر، مثلما يحدث عند المزج بين مختلف الألحان في عمل موسيقي .حقا إن العلاقات الحوارية هي ظاهرة أكثر انتشارا بكثير من العلاقات بين الردود الخاصة بالح وار الذي يجري التعبير عنه خلال التكوين، إنها ظاهرة شاملة تقريبا، تتخلل كل الحديث البشري وكل علاقات وظواهر الحياة الإنسانية، تتخلل تقريبا كل ماله فكرة ومعنى."[252]

وهكذا، تنبني الرواية البوليفونية على تعدد المنظورات السردية ووجهات النظر(الرؤية من الخلف- الرؤية الداخلية - الرؤية من الخارج)، بالإضافة إلى تعدد الضمائر السردية (ضمير المتكلم- ضمير المخاطب- ضمير الغائب)، وتعدد الرواة والسراد الذين يعبرون عن اختلاف المواقف الفكرية، وتعدد المواقف الإيديولوجية، واختلاف وجهات النظر تواصلا

[252] - ميخائيل باختين: **شعرية دويستفسكي**،ص:59.

وتبليغا واقتناعا. بمعنى أن كل قصة نووية يسردها سراد مختلفون، كل سارد له رؤيته الخاصة إلى زاوية الموضوع . أي :يعطي المؤلف للشخوص الحرية والديمقراطية في التعبير عن وجهات نظرها، دون تدخل سافر من المؤلف لترجيح موقف على حساب موقف آخر، بل يترك كل شخص يدلي برأيه بكل صراحة وشفافية، فيعلن منظوره تج اه الحدث والموقف بكل صدق وإخلاص، ثم يعبر عن نظره وإيديولوجيته بكل مصداقية، دون زيف أو مواربة أو تغيير لكلامه . كأن تعبر شخصية ما عن رؤيتها الإسلامية، وتعبر شخصية أخرى عن رؤيتها الاشتراكية، وشخصية ثالثة عن الرؤية الشيوعية، وشخصية رابعة عن رؤية أرستقراطية، هكذا دواليك. لكن للقارىء الحق الكامل في اختيار الرؤية التي يراها مقنعة ووجيهة، دون أن يفرض عليه الكاتب أو المؤلف أو السارد المطلق رؤية معينة ، عبر مجموعة من الآليات كترجيح وجهة نظر شخصية معينة، وتسفيه آراء الشخصيات الأخر عن طريق التقويم الذاتي والانفعالي، وإصدار أحكام القيمة.

المبحث الثامن:الإبـلاغ أو التواصـل

من المعلوم أن من أهم القضايا التي انصبت عليها اللسانيات الحديثة والمعاصرة منذ ظهور كتاب (**محاضرات في اللسانيات العامة**) مع فرديناند دو سوسير (Ferdinand de Saussure) سنة 1916م قضية وظائف اللغة. وقد عرف دو سوسير اللغة بأنها نظام من العلامات وظيفتها الأولى هي التواصل[253]. ومن ثم، بدأ الدارسون في تتبع وظائف اللغة، وترتيبها، وتصنيفها، وتنميطها، في ضوء نظريات وتصورات مختلفة. ومن بين هذه النماذج النظرية التصنيفية التي اهتمت بتجميع وظائف اللغة، بشكل من الأشكال، يمكن الحديث عن التصور التواصلي، والتصور السردي، والتصور التداولي، والتصور المنطقي، والتصور الفلسفي، والتصور الثقافي، والتصور النفسي، والتصور التربوي، والتصور السيميائي، والتصور الأنتروبولوجي...

---

[253] -A regarder: Ferdinand de Saussure : **Cours de linguistique générale**, Payot, Paris, 2005.

ومن بين الدارسين الذين اهتموا بوظائف اللغة، نستحضر كلا من: كارل بوهلر(Bühler)، وكارل بوبر (Karl Popper)، ومالينوفسكي (Malinowski)، ورومان جاكبسون (Jakobson)، وبريتون (Britton)، وموريس (Morris)، وهاليداي (Halliday)، ورولان بارت (R.Barthes) ، ودوكرو (Ducrot) ، وغيرهم ... وإن كان الاهتمام بوظائف اللغة قد طرح في الحقيقة على محك النقاش في مدرسة براغ التشيكية من جهة، وفي المدرسة البنيوية الفرنسية الوظيفية من جهة أخرى.إذاً، ما الوظيفة اللغوية؟ وكيف تعامل الباحثون والدارسون مع وظائف اللغة الإنسانية ؟ وماهي أهم النماذج النظرية التي استخدموها في تحديد وظائف اللغة ؟

المطلب الأول: مفـــهوم الوظيفــة اللغويـــة

نعني بالوظيفة (Function) ذلك الدور الذي يؤديه عنصر لغوي ما داخل ملفوظ ما، أو داخل نص أو خطاب ما ، مثل: الفونيم (الصوت)، والكرافيم (الوحدة الخطية)، والمورفيم (المقطع الصرفي)، والمونيم (الكلمة)، والمركب(العبارة)، والجملة، والصورة البلاغية ، أو ذلك الدور الذي يؤديه العنصر السيميائي من رمز، وإشارة، وأيقون، وصورة، ومخطط داخل سياق تواصلي ما ...وهكذا، فالفاعل النحوي له داخل الجملة دور معين، ووظيفة نحوية، والفعل له وظيفة محددة، والمفعول به له وظيفة كذلك، والحروف والظروف لها وظائف معينة . بمعنى أن كل عنصر لغوي له وظيفة ما داخل وضعية تواصلية معينة. وقد تهيمن داخل جملة أو

نص أو ملفوظ ما وظيفة محددة على باقي الوظائف الأخرى.وهنا، نتحدث - إذاً- عن الوظائف الأساسية والوظائف الثانوية . ومن ثم، فقد ارتبط الاهتمام بالوظيفة في إطار المدرسة اللسانية التشيكية براغ (Prague)، والمدرسة اللسانية البنيوية الوظيفية ، ومن أهم اللسانيين الوظيفيين، نستدعي: رومان جاكبسون (Roman Jakobson)، وتروبتسكوي(Nicolaï Troubetskoy)، وكا رشفسكي(Sergei Karcevski)، وفندريس (J.Vendrysès) ، وبنيفنست(E.Beneveniste)، وأندري مارتينيه (A.Martinet)، وتانيير(L.Tesnière)، وكوجينحايم (G.Gougenheim)، وبرون(L.Brun)...[254]

المطلب الثاني: وظائف اللغة عند كارل بوهلر وكارل بوبر

كان الاهتمام بوظائف اللغة في ال ثقافة الغربية منذ سنة 1918م ، مع الباحث النفسي الألماني كارل بوهلر(Karl Bühler)[255]، ثم تبعه في ذلك كارل بوبر (Karl Popper) الذي أضاف سنة 1953م الوظيفة الرابعة إلى الوظائف الثلاث التي سطرها كارل بوهلر ، وهي الوظيفة الحجاجية . وقد انطلق كارل بوهلر من التصور النفسي في رصد وظائف اللغة التي

---

[254] - Jean Dubois et autres : **Dictionnaire de linguistique**, Larousse, Paris, 1991, p : 388.

[255] - Bühler, K. Spraschtheorie: **die Darstellungsfunktion der Sprache**, Jena, Fischer, 1934.

ترتبط بالشخص المتكلم في علاقته بمجتمعه وثقافته، وهذه الوظائف الثلاث، هي: الوظيفة التعبيرية الانفعالية المرتبطة بالمرسل ؛ والوظيفة التأثيرية الانتباهية المرتبطة بالمخاطب ؛ والوظيفة التمثيلية المرتبطة بالمرجع. وكانت هذه الوظائف معروفة ، بشكل من الأشكال ، لدى الفيلسوف اليوناني أفلاطون. وقد تمثل اللغوي رومان جاكبسون بعض هذه الوظائف في نموذجه التواصلي بطريقة من الطرائق.

المطلب الثالث: وظائف اللغة حسب مالينوفسكي

قدم مالينوفسكي (Malinowski) تصورا أنتروبولوجيا في دراسة النص الثقافي في علاقته بسياقه التكويني [256]، وضمن بيئته التي تحيط به، من أجل تحصيل الدلالة والوظيفة . وهكذا، فقد قام مالينوفسكي بدراسة استكشافية في إحدى جزر المحيط الهادي، حيث مواطن الشعوب البدائية الغريبة، مثل: أهالي تروبرياند (Trobriand)، وقد حاول مالينوفسكي التأقلم مع حياة هؤلاء ، فتعلم لغتهم، ثم تمثل طريقة عيشهم؛ مما مكن الباحث من التعرف إلى لغتهم ووظائفها التواصلية . وهكذا، استطاع مالينوفسكي أن يبرز وظائف أخرى للغة التواصلية، من بينها : الوظيفة

[256]-Malinowski, B. The problem of meaning in primitive languages, Supplement 1 in C.K. Ogden & I.A. Richards (eds)**, The Meaning of Meaning**, International Library of Philosophy, Psychology and Scientific Method, London, Kegan Paul, 1923.

البراجماتية، والوظيفة السحرية، كما حدد وظائف ثانوية أخرى للغة تتعلق بالسرد والحدث.

المطلب الرابع: وظائـــف اللغة عند بريتـــون

ينطلق بريتون (Britton) من التصور التربوي المتعلق بمجال التعليم[257]، ليحدد ثلاثة أنواع من الوظائف هي : أولا، الوظيفة التبادلية (transactionnelle) التي تركز على تبادل الأحداث والأدوار ، والتشديد على وظائف العلاقات بين مختلف المتحدثين . وثانيا، الوظيفة التعبيرية (expressive). وثالثا، الوظيفة الشعرية (poétique). والهدف من هذه الوظائف كلها هو التثبت من القدرات الكفائية لدى التلاميذ في الإنشاء الكتابي. لذا، فقد استدعى الباحث هذا النموذج الديد كتيكي النفسي لتقوية هذه الوظائف لدى المتعلم في سياقها التعبيري والتواصلي.

المطلب الخامس: وظائف اللغة عند مـــوريس

ينطلق موريس (Morris) من البعد المنطقي في تحديداته التصنيفية لوظائف اللغة[258]، وقد تحدث عن الإنسان على أنه من جنس الحيوان . ومن ثم، فقد تحدث عن الكلام التعبيري الذي يتعلق بالتعبير عن مختلف الانفعالات والمشاعر والأحاسيس الوجدانية . وتحدث أيضا عن الكلام الإخباري الذي يتعلق بتبادل المعلومات والأخبار بين الأطراف المتكلمة.

---

[257] - Britton, J. **Language and Learning,** Harmondsworth, Penguin, 1970.

[258] -MORRIS, D.: **The Naked Ape**, London, Jonathan Cape, 1967.

وأشار إلى الكلام الاستثماري أو الكلام الوظيفي الذي يتعلق باستثمار الكلام في ماهو جمالي ولعبي . وانتقل إلى الكلام التواصلي الذي يؤدي وظيفة حفاظية، ويعضد بنية التواصل بين الأطراف . ويشبه هذا التنظيم الوظائفي للكلام ما وضعه كارل بوهلر، وقد تأثر رومان جاكبسون كذلك بهذا النموذج في الستينيات من القرن العشرين، وخاصة فيما يتعلق بالوظيفة الحفاظية المرتبطة بالقناة.

المطلب السادس: وظائف اللغة عند رومان جاكبسون

يستند التواصل اللساني - حسب **رومان جاكبسون (Roman Jackobson)-** إلى ستة عناصر أساسية[259]، هي: المرسل، والمرسل إليه، والرسالة، والقناة، والمرجع، واللغة . وللتوضيح أكثر، نقول : يرسل المرسل رسالة إلى المرسل إليه، حيث تتضمن هذه الرسالة موضوعا أو مرجعا معينا، وتكتب هذه الرسالة بلغة يفهمها كل من المرسل والمتلقي . ولكل رسالة قناة تواصلية حافظة، ك الظرف بالنسبة للرسالة الورقية، والأسلاك الموصلة بالنسبة للهاتف والكهرباء، والأنابيب بالنسبة للماء، واللغة بالنسبة لمعاني النص الإبداعي ... ويعني هذا أن اللغة ذات بعد لساني وظيفي، وأن لها ستة عناصر، وست وظائف : المرسل ووظيفته

[259] - JAKOBSON, R**. Essais de linguistique générale**, Paris, Éditions de Minuit, 1963.

انفعالية، والمرسل إليه ووظيفته تأ ثيرية، والرسالة ووظيفتها جمالية، والمرجع ووظيفته مرجعية، والقناة ووظيفتها حفاظية أو تواصلية، واللغة ووظيفتها وصفية وتفسيرية. ومن ثم، فإن الذي وضع هذا النموذج اللساني الوظيفي التواصلي هو **رومان جاكبسون** ، وقد أثبته في كتابه (**اللسانيات والشعرية**) سنة 1963م[260] ، حيث انطلق من مسلمة جوهرية ، وهي أن التواصل هو الوظيفة الأساسية للغة، وارتأى أن للغة ستة عناصر أساسية، ولكل عنصر وظيفة ما:

ـ عناصر التواصل ووظائف اللغةـ

أرقام العناصر والوظائف	عناصر التواصل	مصدر التواصل	الوظيفة
1	المرسل	الرسالة	انفعالية
2	الرسالة	الرسالة	شعرية
3	المرسل إليه	الرسالة	تأثيرية
4	القناة	الرسالة	حفاظية وتواصلية
5	المرجع	الرسالة	مرجعية
6	اللغة	الرسالة	وصفية

[260]-JAKOBSON, R. : « Linguistique et poétique », **Essais de linguistique générale**, Paris, Minuit, 1963, p. 209-248.

وقد تأثر **جاكبسون** ، في هذه الخطاطة التواصلية ، بأعمال **فرديناند دوسوسير((Ferdinand. De Saussure** ، والفيلسوف المنطقي اللغوي **جون أوسطين (John L. Austin).**

وعليه، فكثير من النصوص والخطابات والصور والمكالمات الهاتفية عبارة عن رسائل يرسلها المرسل إلى مرسل إليه، حيث يحول المتكلم رسالته إلى نسيج من الانفعالات والمشاعر والأحاسيس الذاتية، ويستخدم في ذلك ضمير المتكلم . ومن ثم، يتخذ المرسل بعدا ذاتيا قوامه التعبيرية الانفعالية. بمعنى أن الوظيفة الانفعالية التعبيرية هي التي تحدد العلائق الموجودة بين المرسل و الرسالة، وتحمل هذه الوظيفة في طياتها انفعالات ذاتية، وتتضمن قيما و مواقف عاطفية و مشاعر وإحساسات،يسقطها المتكلم على موضوع الرسالة المرجعي . أما المرسل إليه، فهو المخاطب الذي توجه إليه رسائل المتكلم بضمير المخاطب، بغية إقناعه أو التأثير فيه، أو إثارة انتباهه سلبا أو إيجابا . ومن هنا، فإن الوظيفة التأثيرية هي التي تحدد العلاقات الموجودة بين المرسل والمتلقي، بتحريض المتلقي، وإثارة انتباهه، وإيقاظه عبر ال ترغيب و الترهيب، وهذه الوظيفة ذاتية بامتياز، مادمت قائمة على الإقناع والتأثير.

إذاً، يتحول الخطاب اللفظي أو غير اللفظي إلى رسالة ، وهذه الرسالة يتبادلها المرسل و المرسل إليه ، فيساهمان في تحقيق التواصل المعرفي و الجمالي، وهذه الرسالة مسننة بشفرة لغوية ، يفككها المستقبل، ويؤولها بلغته الواصفة. وتتجسد هذه الرسالة ذات الوظيفة الشاعرية أو الجمالية

بإسقاط المحور الاستبدالي على المحور التأليفي، أو إسقاط محور الدلالة والمعجم على محور التركيب والنحو انزياحا أو معيارا . ويعني هذا أن الوظيفة الجمالية أو الشعرية هي ا لتي تحدد العلائق الموجودة بين الرسالة و ذاتها، وتتحقق هذه الوظيفة بإسقاط المحور الاختياري على المحور التركيبي، وكذلك عندما يتحقق الانتهاك و الانزياح المقصود.

كما تهدف الرسالة - عبر وسيط القناة- إلى الحفاظ على التكلم، وعدم انقطاعه: (آلو....آلو...هل تسمعني جيدا؟....). أي: تهدف وظيفة القناة إلى تأكيد التواصل، واستمرارية الإبلاغ، وتثبيته أو إيقافه، والحفاظ على نبرة الحديث والكلام المتبادل بين الطرفين.

وللغة كذلك وظيفة مرجعية، ترتكز على موضوع الرسالة باعتباره مرجعا وواقعا أساسيا، تعبر عنه تلك الرسالة . وهذه الوظيفة في الحقيقة موضوعية، لا وجود للذاتية فيها، نظرا لوجود الملاحظة الواقعية، والنقل الصحيح، والانعكاس المباشر....

وثمة وظيفة أخرى مرتبطة باللغة ، وتسمى بالوظيفة الوصفية أو الوظيفة الميتالغوية القائمة على الشرح والوصف والتفسير والتأويل .

وتهدف هذه الوظيفة إلى تفكيك الشفرة اللغوية، بعد تسنينها من قبل المرسل. والهدف من السنن هو وصف الرسالة لغويا، وتأويلها وشرحها وفهمها، مع الاستعانة بالمعجم أو القواعد اللغوية و النحوية المشتركة بين المتكلم والمرسل إليه.

ومن باب التنبيه، فنحن ، هنا، نحتكم إلى القيمة المهيمن ة (La valeur dominante) كما حددها رومان جاكبسون، لأن نصا ما قد تغلب عليه وظيفة معينة دون أخرى، فكل الوظائف التي حددناها سالفا متمازجة، إذ قد نعاينها مختلطة بنسب متفاوتة في رسالة واحدة، حيث تكون الوظيفة الواحدة منها غالبة على الوظائف الأخرى حسب نمط الاتصال . ومن هنا، تهيمن الوظيفة الجمالية الشعرية على الشعر الغنائي. في حين، تهيمن الوظيفة التأثيرية على الخطبة ، وتهيمن الوظيفة الميتالغوية على النقد الأدبي، وتغلب الوظيفة المرجعية على النصوص التاريخية، وتهيمن الوظيفة الانفعالية على النصوص الشعرية الرومانسية، وتغ لب الوظيفة الحفاظية على المكالمات الهاتفية.

المطلب السادس: وظائف اللغة عند اللسانيين التداوليين

ينطلق أركان وبوربو (**Arcand et Bourbeau**)، في كتابهما(**التواصل الفعال، من المقصدية إلى وسائل التعبير**)[261] ، من مقاربة وظيفية تداولية مبنية على المقصدية، وليس الأساس عندهما هو القيمة المهيمنة، كما نجد ذلك واضحا عند رومان جاكبسون، بل المهم هو الوظيفة التداولية أو التواصلية. بمعنى أن السؤال ليس هو : ما الوظيفة المهيمنة في الإرسالية؟ بل السؤال المهم : لأي غرض استخدمت من أجله

[261]- ARCAND, R. et N. BOURBEAU : **La communication efficace. De l'intention aux moyens d'expression**, Anjou (Québec), CEC.1995.

الإرسالية؟ ولأي هدف؟ وهنا، ينبغي تحديد المقاصد العامة والأساسية لكل مقطع تواصلي . ويميز الباحثان بين الوظائف ذات المقاصد المباشرة، والوظائف ذات المقاصد غير المباشرة . كما يتحدثان أيضا عن وظائف السبب، ووظائف النتيجة، ووظائف الوسيلة، ووظائف الهدف...

هذا، ويقترح اللسانيون التداوليون بما فيهم سيمون ديك وأحمد المتوكل ، ضمن اللسانيات الوظيفية، مجموعة من الوظائف التركيبية والدلالية والتداولية. ومن بين هذه الوظائف التداولية التي تم التركيز عليها عند سيمون ديك (Simon Dik)، نذكر : وظيفة المبتدأ، ووظيفة الذيل، ووظيفة البؤرة، ووظيفة المحور. وأضاف الباحث المغربي أحمد المتوكل، في كتابه (**اللسانيات الوظيفية**)، الوظيفة الخامسة [262]، وهي وظيفة المنادى. ومن جهة أخرى، فهذه الوظائف داخلية (البؤرة- المحور) من جهة، ووظائف خارجية (المبتدأ- الذيل- المنادى)[263] من جهة أخرى .

هذا، وقد حدد **هاليداي(Michael Halliday)** سنة 1973م سبع وظائف للغة الإنسانية[264]، وهذه الوظائف هي:

1- **الوظيفة الأداتية** : تستعمل اللغة لتحقيق الرغبات والحاجيات، وتحصيل المصالح والمنافع؛ مثل: " أنا أريد".

---

[262] - أحمد المتوكل: **اللسانيات الوظيفية**، ص:250-252.

[263] - حافظ إسماعيلي العلوي: **اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة**، ص:373-374.

[264]-Halliday, M.A.K.: **Explorations in the functions of language**, London, Edward Arnold1973.

2- **الوظيفة التنظيمية**: تستعمل اللغة للتأثير على سلوك الغير، وتعديله سلبا أو إيجابا؛ مثل: " افعل ما أقوله لك!".

3- **الوظيفة التفاعلية**: تستعمل اللغة من أجل الدخول في علاقة مع المحيط؛ مثل: " أنا وأنت".

4- **الوظيفة الشخصية :** تسمح اللغة لصاحبها من التعبير عن انفعالاته الشعورية واللاشعورية، والتعبير عن أحاسيسه ومشاعره الوجدانية والفردية، وتبيان ذوقه الشخصي، وخصوصياته الذاتية ؛ مثل: " أنا-ها أنذا- إنه أنا..."

5- **الوظيفة الخيالية:** تساهم اللغة في بناء عوالم خيالية ممكنة، واستثمار اللغة في التخييل، وبناء التصورات الافتراضية والإبداعية ؛ مثل:" تخيل أنه سيكون مثل هذا...- يمكن القول..."

6- **الوظيفة الاستكشافية** : تسمح اللغة بطرح الأسئلة والإشكاليات الاستكشافية والتوقعية من أجل بناء المعرفة، وتحصيل المعارف والعلوم؛ مثل: " لماذا هذا؟"

7- **الوظيفة الإعلامية أو الإخبارية** : تسمح بنقل المعلومات المختلفة، وتبليغها إلى الآخر؛ مثل: " يجب أن أقول لك..."

وبعد ذلك، ينتقل هاليداي على غرار الإبستمولوجي التكويني جان بياجيه (**Jean Piajet**) للتعامل مع الطفل لغويا، بتحديد ثلاث مراحل أساسية يمر بها الطفل في أثناء اكتسابه للغة ، وهذه المراحل هي:

❶ يكون الطفل ، في المرحلة الأولى التي تمتد من الشهر الأول إلى الشهر الخامس عشر، متحكما في مجمل الوظائف الأساسية الخارجية عن مجال اللغة، فالمستوى الصوتي لا يتوافق مع المستوى الدلالي، والكلمات لا تتبين بشكل واضح.

❷تعد المرحلة الثانية التي تمتد من الشهر السادس عشر إلى الشهر الثاني والعشرين مرحلة تحول وانتقال نحو استعمال اللغة، كما يستعملها البالغون. وهنا، تقوم اللغة بأدوارها الوظيفية المت نوعة المستويات في شكل وظائف كبرى مؤثرة.

❸تشبه لغة الطفل لغة البالغ في المرحلة الثالثة التي تمتد من الشهر الثاني والعشرين إلى سن البلوغ ، وتظهر في هذه المرحلة ثلاث وظائف جديدة: الوظيفة التفكيرية (fonction d'idéation)، والوظيفة العلائقية الشخصية (la function interpersonnelle)، والوظيفة النصية (la function de texture).

ويعني هذا أن ثمة ثلاث وظائف لغوية كبرى هي: وظيفة التفكير القريبة من وظيفة التمثيل والمعرفة ، وتسمح بتكوين فكرة حول الذات والمحيط ، ببلورة مجموعة من التجارب الذاتية والموضوعية، وتتخذ هذ ه الوظيفة صيغة منطقية. ومن ثم، تنقل لنا جمل هذه الوظيفة معظم تجارب الذات ، في شكل أحداث ، وعلاقات، وحالات، وظروف، وأشياء... والوظيفة العلائقية التي تتحكم في مجل الوظائف التأثيرية والانفعالية والتعبيرية ، وتساهم في تكوين الآراء . بمعنى أن هذه الوظيفة قائمة على استحضار

المرسل والمرسل إليه، ورصد مختلف العلاقات الشخصية الموجودة بينهما، وتبيان صيغ التعبير كالأمر، والنداء، والرجاء، والالتماس....

أما الوظيفة الثالثة، وهي الوظيفة النصية، فتحيل على إنتاج النص بواسطة مجموعة من الروابط والوسائل اللغوية بغية تحقيق اتساق النص، وتماسكه، وانسجامه.

المطلب السابع: وظائف اللغة من خلال المنظور الفلسفي

يذهب مجموعة من اللسانيين إلى أن اللغة وظيفتها التواصل، كما هو حال فرديناند دو سوسير الذي يرى في كتابه(**محاضرات في اللسانيات العامة**) أن اللغة نسق من العلامات والإشارات، هدفها التواصل ، حينما يتحد الدال مع المدلول بنيويا وعضويا، أو حين تتقاطع الصورة السمعية (الدال) مع المفهوم الذهني(المدلول)[265]. وهو المفهوم نفسه الذي كان يرمي إليه تقريبا ابن جني في كتابه (**الخصائص**) عندما عرف اللغة بأنها " أصوات يعبر بها قوم عن أغراضهم "[266]. ويعرف أندري (André Martinet)اللغة بأنها عبارة عن تمفصل أو تلفظ مزدوج، وظيفته التواصل. ويعني هذا أن اللغة يمكن تقسيمها إلى تمفصل أول وهو المونيمات (الكلمات)، وبدورها تنقسم إلى فونيمات (أصوات)، ومورفيمات(مقاطع صرفية)، وهي تشكل

---

[265] - فرديناند دو سوسير : **محاضرات في علم اللسان العام،** ترجمة: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، الطبعة الأولى سنة 1987م، صص:142-143.

[266] - انظر: ابن جني **: الخصائص**، عالم الكتب للطبع والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، طبعة 2006م.

التمفصل الثاني. لكن الأصوات لا يمكن تقسيمها إلى وحدا ت أخرى؛ لأن الصوت أصغر وحدة جزئية لاتتجزأ، وعندها تنتهي الكلمة . وإذا جمعنا الفونيمات بعضها ببعض كونا بذلك مونيمات . وإذا جمعنا الكلمات مع بعضها البعض كونا جملا. وإذا جمعنا الجمل بين بعضها البعض كونا الفقرات والمتواليات . وتكون الفقرات بدورها ما يسمى النص اتس اقا وانسجاما. ومن ثم، يكون النص- من خلال عمليات التأليف والاستبدال- ما يسمى باللغة، ومن أهم أهدافها الأساسية والبارزة وظيفة التواصل[267].

وعلى أي، إذا كان الوظيفيون يرون أن اللغة واضحة ، تؤدي وظيفة التواصل الشفاف بين المتكلم والمستمع، فإن أزوالد دوكرو (Oswald Ducrot) يرى أن اللغة ليست دائما لغة تواصل واضح وشفاف، بل هي لغة إضمار وغموض وإخفاء . ويعني هذا أن الفرد قد يوظف اللغة كلعبة اجتماعية للتمويه، والتخفية، وإضمار النوايا والمقاصد . وقد يكون هذا الإضمار اللغوي ناتجا عن أسباب دينية، وسياسية، واجتماعية، واقتصادية، ونفسية، وأخلاقية. فمثلا، لا يستعمل مهرب المخدرات اسم مهرباته بطريقة مباشرة، بل يستعمل الرموز للإخفاء، كأن يقول لصديقه : هل وصلت الحناء ؟ كما أن أسلوب الأمر في الشريعة الإسلامية يستعمل

[267] - André Martinet : **Éléments de linguistique générale**, Paris, Armand Colin, 1960.

للوجوب، والدعاء، والندب، وهذا يعني أن اللغة فيها أوجه دلالية عدة؛ مما يزيد من غموضها، وعدم شفافيتها التواصلية[268].

ومن جهة أخرى، يذهب رولان بارت (Roland Barthes) ، في تعامله مع وظيفة اللغة ، مذهبا بعيدا؛ إذ يعتبر اللغة بعيدة كل البعد عن التواصل، ويجعلها لغة سلطة، مصدرها السلطة . ويعني هذا أن الإنسان عبد للغة ومتحرر منها في الوقت نفسه. فعندما يتحدث المتكلم لغة أجنبية، فهو خاضع لقواعدها وتراكيبها، وخاضع أيضا لمنظومتها الثقافية والحضارية والقيمية، ولكنه يوظف ، في الوقت نفسه، هذه اللغة كيفما يشاء، ويطوعها جماليا وفنيا . وللتمثيل، فلقد استبدت اللغة الفرنسية كثيرا بالشعب الجزائري لمدة طو يلة؛ مما أخضعته لقواعدها التركيبية، وسننها اللساني والثقافي والكينوني . وعلى الرغم من ذلك، نجد مجموعة من الأدباء الجزائريين ، بقدر ما هم خاضعون لهذه اللغة الأجنبية، يتخذونها سلاحا لهم بكل حرية للتنديد بالاستعمار الفرنسي، ونقده نقدا شنيعا، والهجوم عليه بشكل عنيف ومقرع، بتطويع تلك اللغة لخدمة الذات الجزائرية ، وخدمة مصالحها المحلية والوطنية والقومية . كما قد تلتجئ السلطة الحاكمة إلى فرض اللغة التي تناسبها من أجل تثبيت سيطرتها السياسية، وتقوية منظومتها الإيديولوجية، وتعضيد مصالحها الاقتصادية ، إذ تفرض

---

[268] - O.Ducrot : **Dire et ne pas dire**, Hermann, 1972, pp : 1-6.

كل طبقة ح اكمة لغتها بالقوة والاقتصاد، كما أن اللغة هي التي تمنح السلطة السياسية والشرعية القانونية لتلك الفئة الحاكمة[269].

وهكذا، نستنتج أن اللغة قد تكون أداة للتواصل الشفاف، كما يمكنها أن تكون لغة للإضمار والتمويه والإخفاء، كما يمكن أن تكون أداة للسلطة من جهة، وتكون سلطة قمعية فعلية من جهة أخرى.

المطلب الثامن: ترنس هوكس والوظيفـــة البصرية أو الأيقونية

هناك من الدارسين والباحثين ، ولاسيما السيميائيين منهم، من يزيد الوظيفة السابعة إلى الخطاب اللساني، وهي الوظيفة الأيقونية [270]، بعد ظهور كتابات **جاك دريدا** (J . Derrida)، وان بثاق السيميوطيقا التواصلية.

وتسمى هذه الوظيفة السابعة بالوظيفة البصرية أو الأيقونية ، كما نجد ذلك جليا في تصورات ترنس هاوكس [271] النظرية. وتهدف هذه الوظيفة إلى تفسير دلالة الأشكال البصر ية و الألوان والخطوط الأيقونية بغية البحث عن المماثلة أو المشابهة بين العلامات البصرية ومرجعها الإحالي. بمعنى

---

[269]- Roland Barthes: **Leçon,** Éditions du Seuil, Paris, 1978,12-15.

[270] - ترنس هوكز : **البنيوية وعلم الإشارة** ، ترجمة مجيد الماشطة، الطبعة الأولى سنة1996، بغداد ، العراق، ص:114.

[271]- ترنس هوكس : (مدخل إلى السيمياء) ، **مجلة بيت الحكمة** ،المغرب، العدد 5، السنة الثانية، سنة 1987م، ص:120.

أن جميع المنتجات البصرية والأيقونية والصور التشكيلية تحمل في طياتها وظيفة بصرية أو كاليغرافية أو أيقونية .

المطلب التاسع: وظائف اللغة حسب لويس هيبير

ثمة وظائف لغوية أخرى يشير إليها لويس هيبير (**Louis Hébert**) في مقاله(**وظائف اللغة**)[272]، ونستحضر من بين هذه الوظائف : الوظيفة المعرفية، والوظيفة التمثيلية، والوظيفة التعيينية، والوظيفية الإخبارية أو الإعلامية، والوظيفة التعبيرية، والوظيفة الأمرية ، والوظيفة العلائقية ، والوظيفة الاتصالية، والوظيفة الميتاسيميائية، والوظيفة الإستيطيقية، والوظيفة البلاغية...

المطلب العاشر: وظائف السارد حسب جيرار جنيت

لم يهتم جيرار جنيت (**GENETTE**) بوظائف اللغة، ولكنه اهتم بوظائف السارد على مستوى الخطاب السردي، في كتابه (**صور 3**)[273]. وقد حصر وظا ئف السارد في خمس وظائف محورية، هي الوظيفة السردية؛ ووظيفة التنسيق القائمة على توزيع الأدوار الحكائية بين السراد والشخصيات من جهة، وتنظيم السرد والحوار من جهة أخرى ؛ والوظيفة الإبلاغية أو التواصلية التي تتحقق من خلال تواصل الراوي والمروي له؛

---

[272] - Louis Hébert:(Les fonctions du langage), **site Signo,** http://www.signosemio.com/jakobson/fonctions-du-langage.asp.

[273] -GENETTE, G. : **Figures III,** Paris, Seuil.1972.

والوظيفة الإشهادية التي تتمثل في نقل الواقع بصدق وأمانة وحرفية واقعية. بمعنى أن السارد يقدم - هنا- شهادة صادقة وأمينة حول الواقع، ضمن ما يسمى بنظرية الإيهام بالواقعية ؛ والوظيفة الإيديولوجية التي تتمثل في تقديم رسالة تعليمية ما، أو الدفاع عن أطروحة إيديولوجية ما.

ومن ناحية أخرى، فقد حدد جيرار جنيت أربع وظائف للعنوان في كتابه (**العتبات/ Seuils**)، باعتباره نصا موازيا أو عتبة تحيط بالنص خارجيا وداخليا، وهذه الوظائف الأربع هي : الإغراء، والإيحاء، والوصف، والتعيين[274].

المطلب الحادي عشر: عبد الله الغذامي والوظيفة النسقية

يرى الناقد السعودي عبد الله الغذامي ، في كتابه(**النقد الثقافي: قراءة في الأنساق الثقافية العربية**)، أنه لابد من ربط النقد الثقافي بالنسقية[275].

وإذا كان رومان جاكبسون قد حدد ست وظائف لستة عناصر : الوظيفة الجمالية للرسالة، والوظيفة الانفعالية للمرسل، والوظيفة التأثيرية للمتلقي، والوظيفة المرجعية للمرجع، والوظيفة الحفاظية للقناة، والوظيفة الوصفية

---

[274] - انظر: حميل حمداوي: (السيميوطيقا والعنونة)، **مجلة عالم الفكر**، المجلد 25، العدد3، يناير/ مارس، سنة 1997م، ص:106.

[275] - عبد الله الغذامي : **النقد الثقافي: قراءة في الأنساق الثقافية العربية**، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان ، الطبعة الأولى سنة 2000م.

للغة. فقد حان الوقت لإضافة الوظيفة النسقية للعنصر النسقي [276]. بمعنى أن النقد الثقافي يهتم بالمضمر في النصوص والخطابات الرسمية وغير الرسمية، ويستقصي اللاوعي النصي، وينتقل دلاليا من الدلالات الحرفية والتضمينية إلى الدلالات النسقية. ويعني هذا كله أن النقد الثقافي يستند إلى ثلاث دلالات : الدلالة المباشرة الحرفية، والدلالة الإيحائية المجازية الرمزية، والدلالة النسقية الثقافية . و" إذا قبلنا - يقول عبد الله الغذامي- بإضافة عنصر سابع إلى عناصر الرسالة الستة، وسميناه بالعنصر النسقي، فهو سيصبح المولد للدلالة النسق ية، وحاجتنا إلى الدلالة النسقية هي لب القضية، إذ إن ما نعهده من دلالات لغوية لم تعد كافية لكشف كل ماتخبئه اللغة من مخزون دلالي، ولدينا الدلالة الصريحة التي هي الدلالة المعهودة في التداول اللغوي، وفي الأدب وصل النقد إلى مفهوم الدلالة الضمنية، فيما نحن هنا نقول بنوع مختلف من الدلالة هي الدلالة النسقية، وستكون نوعا ثالثا يضاف إلى الدلالات تلك . والدلالة النسقية هي قيمة نحوية ونصوصية مخبوءة في المضمر النصي في الخطاب اللغوي. ونحن نسلم بوجود الدلالتين الصريحة والضمنية، وكونهما ضمن حدود الوعي المباشر، كما في الصريح ة، أو الوعي النقدي، كما في الضمنية، أما الدلالة النسقية فهي في المضمر وليست في الوعي، وتحتاج إلى أدوات

[276] - عبد الله محمد الغذامي و عبد النبي اصطيف: **نقد ثقافي أم نقد أدبي**، دار الفكر، دمشق، سورية، الطبعة الأولى سنة 2004م، ،ص:24.

نقدية مدققة تأخذ بمبدإ النقد الثقافي لكي تكتشفها، ولكي تكتمل منظومة النظر والإجراء."[277].

وما يهمنا في هذه الدلالات الثلاث هي الدلالة الثقافية الرمزية التي تكتشف على مستوى الباطن والمضمر، فتصبح أهم من الدلالتين السابقتين : الحرفية والجمالية.

وهكذا، نجد عبد الله الغذامي يضيف الوظيفة السابعة إلى النظام التواصلى الموجود عند رومان جاكبسون، وهي الوظيفة النسقية الخاصة بعنصر النسق الثقافي، بينما هناك من السيميائيين من يضيف الوظيفة الأيقونية إلى هذا النظام التواصلي الجاكبسوني.

وخلاصة القول: يتبين لنا، مما سبق ذكره، أن اللغة عبارة عن نظام من العلامات والرموز والإشارات والأيقونات، وظيفتها البارزة هي التواصل. وقد تأكد لنا ، بكل وضوح وجلاء، أن الحديث عن وظائف اللغة وصفا وتصنيفا وتنميطا، قد بدأ في الحقيقة في أحضان مدرسة براغ والمدرسة اللسانية البنيوية الوظيفية على حد سواء، وتوسع هذا الاهتمام مع المدارس اللسانية الأخرى، كالتوليدية التحويلية والتداوليات الوظيفية. ومن ثم، يمكن الحديث عن مجموعة من المنظورات والنظريات التي اهتمت ، بشكل من الأشكال ، بوظائف اللغة، كالمنظور الفلسفي، والمنظور اللساني، والمنظور السيميائي، والمنظور النفسي، والمنظور التداولي، والمنظور

[277] - عبد الله محمد الغذامي وعبد النبي اصطيف: نفسه، ص:26-27.

السردي، والمنظور الإعلامي، والمنظور التواصلي، والمنظور التربوي، والمنظور الثقافي، والمنظور الأنتروبولوجي...

المبحث التاسع: المقبوليـــة

نعني بالمقبولية (Acceptability) قبول نص ورفض آخر بناء على مجموعة من المعايير والقواعد والمرتكزات والأسس اللغوية واللسانية والنصية. كما هو الحال عند نوام شومسكي الذي يميز بين الجملة اللاحنة

والجملة المقبولة. فالجملة الأولى هي التي لاتحترم قواعد النحو أو الدلالة أو الصياغة التداولية. في حين، تحترم الجملة الثانية القواعد التي سطرها التركيب أو علم الدلالة أو علم التداول، بعد تطور اللسانيات التوليدية التحويلية ، وانفتاحها على مجموعة من مستجدات اللسانيات المعاصرة.

ويعني هذا أن النص المقبول هو ذلك النص الذي يخضع للسلامة النصية، ويتسم بالاتساق والانسجام وقواعد التنسيق والتنضيد والترابط والتماسك التركيب والمعنوي .أي: ذلك النص الذي تتوفر فيه الوحدة العضوية والموضوعية.

ومن هنا، فالمتلقي هو الذي يحكم على مدى مقبولية النص وسلامته من حيث اللغة، والتركيب، والدلالة، والوظيفة . أي: يتثبت من سلامة بناء النص من حيث الروابط التركيبية والعمليات الضمنية . بمعنى يتأكد من سلامة النص وابتعاده عن التفكك والهشاشة والهلهلة النصية . ومن الشروط الأساسية لقبول النص هو اتسامه بالاتساق من جهة، وتوفره على خاصية الانسجام من جهة ثانية . أضف إلى ذلك أن النصوص السليمة والمقبولة هي التي تراعي أفق انتظار القارىء ، وتستجيب لرغباته القرائية والفنية والجمالية والشعورية واللاشعورية. علاوة على ذلك، لابد أن يتميز النص بالترابط وتسلسل الأحداث وتشابكها بطريقة متدرجة ومنطقية وسببية، وإلا يكون مفتقدا لعنصر التسلسل؛ مما قد يسبب في غموض الإرسالية، وعدم قدرة المتلقي على فهمها واستيعابها.

وتتميز التداوليات النصية بكونها اهتمت كثيرا بالمقبولية النصية عندما ربطتها بالاتساق والانسجام.ومن ثم، " تندرج أعمال فان ديك ضمن إطار التقليد الألماني والنرويجي في مجال اللسانيات النصية الذي تطور إبان الستينيات والسبعينيات .وتعد مقاربته مقاربة معرفية لكون تفكيره قد انصب على القدرات التي من خلالها تتعرف الذوات إلى النصوص المقبولة: أي النصوص السليمة البناء من حيث تنظيمها الصوري، مقارنة بتسلسلات أخرى لاتتمتع بهذه الصفة.ويستند نحو النص عند فان ديك إلى مسلمتين رئيسيتين (مشابهة النص للجملة، ووجود نحو نصي توليدي)، كما أنه ينتظم وفقا لهندسة ذات مستويات ثلاثة (المستوى النصي المكبر، والمستوى النصي المصغر، والمستوى النصي الأعلى).[278]"

وهكذا، يتبين لنا أن النص هو الذي يتسم بالشرعية والمقبولية والاتساق والانسجام والتنسيق والتنضيد والالتحام.

المبحث العاشر: تنميــط النصـوص

تسعى لسانيات النص إلى تجنيس النصوص وتنميطها وتصنيفها وتنويعها، وفق مقاييس نحوية ولسانية وتركيبية ودلالية ومعجمية ووظيفية.

---

[278]- آن بافو وجورج إليا سرفاتي: نفسه، ص:315.

ويعد الجنس الأدبي مبدأ تنظيميا للخطابات الأدبية، ومعيارا تصنيفيا للنصوص الإبداعية، ومؤسسة تنظيرية ثابتة ، تسهر على ضبط النص أو الخطاب، وتحديد مقوماته ومرتكزاته، وتقعيد بنياته الدلالية والفنية والوظيفية من خلال مبدأي الثبات والتغير. ويساهم الجنس الأدبي في الحفاظ على النوع الأدبي، ورصد تغيراته الجمالية الناتجة عن الانزياح والخرق النوعي. و يعتبر الجنس الأدبي كذلك من أهم مواضيع نظرية الأدب، وأبرز القضايا التي انشغلت بها الشعرية الغربية والعربية على حد سواء. لما للجنس الأدبي من أهمية معيارية وصفية وتفسيرية في تحليل النصوص، وتصنيفها، ونمذجتها، وتحقيبها ، وتقويمها، ودراستها من خلال سماتها النمطية، ومكوناتها النوعية، وخصائصها التجنيسية. كما تساعدنا معرفة قواعد الجنس على إدراك التطور الجمالي والفني والنصي، وتطور التا ريخ الأدبي، باختلاف تطور الأذواق، وتنوع جماليات التقبل أوالتلقي، فضلا عن تطور العوامل الذاتية المرتبطة بشخصية المبدع من ناحية الجنس والوراثة، وتطور العوامل الموضوعية التي تحيل على بيئة الأديب بكل تجلياتها الطبيعية، والجغرافية، والاجتماعية، والتاريخية، والدينية

وثمة عدة أنواع من النصوص نذكر منها : النص الحجاجي، والنص السردي، والنص الوصفي، والنص الإخباري، والنص التفسيري، والنص الحواري. وثمة نصوص أخرى كثيرة لاداعي للتوقف عندها.

وعليه، فـللجنس الأدبي هو مؤسسة ثابتة بقوانينها ومكوناتها النظرية والتطبيقية، حيث يتعا رف عليها الناس، إلى أن يصبح الجنس قاعدة معيارية في تعرف النصوص والخطابات والأشكال ، والتمييز بينها تجنيسا وتنويعا وتنميطا. ويتحدد الجنس الأدبي بوجود قواسم مشتركة أو مختلفة بين مجموعة من النصوص، باعتبارها بنيات ثابتة متكررة ومتواترة من جهة، أو بنيات متغيرة ومتحولة من جهة أخرى . وهذا ما يجعل تلك النصوص والخطابات تصنف داخل صيغة قولية أو جنس أو نوع أو نمط أدبي معين . لكن عناصر الاختلاف الثانوية لا تؤثر ، بحال من الأحوال، في الجنس الأدبي؛ لأن المهم هو ما يتضمنه من عناصر أساسية قارة وثابتة، وكلما انتهك جنس أدبي ، ظهر على إثره جنس أدبي آخر توالدا وتناسلا وانبثاقا.

وإذا كانت القرون الأدبية ، قبل القرن العشرين، تؤمن بنظرية الأجناس الأدبية تمثلا وانضباطا وفصلا، فإنه بعد منتصف القرن الماضي، أصبحت الأجناس الأدبية متداخلة ومختلطة، حيث يصعب الحديث عن جنس أدبي معين .لذا، و جدنا جماعة تيل كيل - مثلا- تثور على هذه النظرية بشكل جذري، رافضة عملية التصنيف ، مستبدلة الجنس الأدبي بالعمل أو الأثر الأدبي أو الكتاب. وفي هذا السياق، يقول رينيه ويليك :" لاتحتل نظرية الأنواع الأدبية مكان الصدارة في الدراسات الأدبية في هذا القرن. والسبب الواضح لذلك هو أن التمييز بين الأنواع الأدبية لم يعد ذا أهمية في كتابات معظم كتاب عصرنا . فالحدود بينها تعبر باستمرار،

والأنواع تخلط أو تمزج، والقديم منها يترك أو يحور، وتخلق أنواع جديدة أخرى إلى حد صار معها المفهوم نفسه موضع شك."[279]

وتأسيسا على ماسبق، ما الجنس الأدبي؟ وما أهم أنماطه النوعية ؟ وما قوانين التجنيس ومعاييره؟

المطلب الأول: مصطلــح الجنــس الأدبــي

من المعلوم أن للجنس الأدبي مصطلحات عدة ، مثل : الجنس الأدبي (genre littéraire) عند تودوروف، وماري شيفر، وروني ويليك، وأوستين وارين ...؛ ونظرية الأجناس عن د فان تيغم (Van Tieghem)؛ ونظرية الأشكال عند سبيتزر (Spitzer)؛ والمقولات التجنيسية (Les gatégories géneriques) عند دومينيك كومب (Dominique Combe)؛، والأشكال الثابتة (les formes fixes) عند أندري جول(André Jolles)؛ والأنواع (Kinds)عند جون إركين (John Erskine)؛ والأنماط (Types) عند جيرار جنيت ؛ ونظرية الصور (Figures)؛ ونظرية الخطابات ؛ ونظرية الأدب ؛ وجامع النص (archetexte) عند جيرار جنيت ؛ والأنواع الشعرية (espèces poétiques)؛والأشكال الطبيعية (formes naturelles)؛ والأجناس أو الأنواع الصغرى (sous-genre)؛ وأصناف النصوص (Les classes des textes)؛ وصيغ التخييل(modes de fiction) أو

[279] - رونيه ويليك : **مفاهيم نقدية،** عالم المعرفة، ترجمة : محمد عصفور، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد:110، السنة 1987م، ص:376.

نظرية الصيغ (Théories des modes) عند شولز (R.scholes)؛ والمتعاليات النصية (Transtextualités)عند جيرار جنيت . وأخيرا، الأشكال الأدبية (les formes littéraires)...

المطلب الثاني: مفهـــوم الجنـــس الأدبـــي

يعد الجنس مفهوما اصطلاحيا أدبيا ونقديا وثقافيا يهدف إلى تصنيف الإبداعات الأدبية حسب مجموعة من المعايير والمقولات التنميطية، كالمضمون، والأسلوب، والسجل، والأسلوب ... وغالبا ، ما يتجلى في عتبة التجنيس أو التعيين التي تتربع في وسط صفحة الغلاف الخا رجي أو الداخلي من الكتاب، وهي بمثابة عقد بين المبدع والمتلقي. ومن ثم، يهتدي القارىء إلى التعامل مع العمل على هدي ذلك التجنيس الذي أقره المبدع،فيعتبره عملا واقعيا أو عملا تخييليا . وترتبط عملية التجنيس بالقارىء الذي يعتمد على أفق انتظاره التخييلي في التعامل مع النص الأدبي. ويعني هذا أن المتلقي يستند إلى مجموعة من الاتفاقات التجنيسية التي يمتلكها، والتي من خلالها يقرأ ذلك النص تحليلا وتقويما . وبتعبير آخر، يمتلك القارىء معرفة خلفية تجنيسية ، يستكشف بها النص تشريحا وتأويلا . ومن ثم ، فالجنس هو بمثابة عقد نصي أو ا تفاق خطابي بين المرسل والمرسل إليه أو بين الكاتب المبدع والمتلقي المفترض.

وعليه، يتحدد الجنس الأدبي بوجود مجموعة من العناصر الأساسية المشتركة التي تلتقي فيها مجموعة من النصوص الأدبية، لكن قد تكون هناك عناصر ثانوية يمكن أن تختلف فيها الأجناس والأنواع الأدبي ة.

فالمهم هو احترام العناصر الرئيسة، دون العناصر الثانوية . وتبعا لذلك، فكلما اختلت العناصر الأساسية ، ننتقل توا إلى جنس أدبي آخر في ضوء قانوني التحول والتغير . وإذا تتبعنا تاريخ الأجناس الأدبية، فقد كان الإخلال بالنوع أو الجنس في ثقافات معينة مذمة وتقصيرا وتنقيصا، بينما كان يعد في الثقافات الأخرى فضيلة وتميزا وحداثة وتجديدا وتجريبا . وهكذا، فعندما" نتحدث - يقول عبد الفتاح كليطو- عن نوع من الأنواع ، فإنك لامحالة تستند أثناء حديثك، بصفة صريحة أو ضمنية، إلى نظرية في الأنواع. خصائص نوع لا تبرز إلا بتعارضها مع خصائص أنواع أخرى. تعريف النوع لاتبرز إلا بتعارضها مع خصائص أنواع أخرى . تعريف النوع يقترب من تعريف العلامة اللغوية عند دوسوسير: النوع يتحدد قبل كل شيء بما ليس واردا في الأنواع الأخرى .إذا تأملت نوعين (المدح والهجاء مثلا) ، فإنك ستلاحظ خصائص متعارضة ومتبادلة الارتباط؛تحديد النوع يقتضي منك أن تعتبر الترادف في مجموعة من النصوص والتعارض بين النوع وأنواع أخرى . لهذا، فإن دراسة نوع تكون في الوقت نفسه دراسة للأنواع المجاورة."[280]

هذا، وقد استلزمت نظرية الأجناس الأدبية مسألة التقسيم على غرار البلاغة العربية التي تم تشذيرها إلى المعاني والبيان والبديع، فقد قسم كل علم إلى عناصر وفروع كثيرة . وينطبق هذا أيضا على الأنواع الأدبية التي تم تصنيفها إلى جنسين كبيرين : النثر والشعر . فقسم الشعر إلى

[280]- عبد الفتاح كليطو: **الأدب والغرابة**، ص:22.

أغراض وفنون ثانوية وفرعية. كما قسم النثر إلى فنون وأنواع وأنماط .
وقد رأينا في تراثنا العرب ي القديم أن هناك من كان يفضل الشعر على النثر، ومن كان يفضل النثر على الشعر.

وبناء على ماسبق، فالأجناس الأدبية مقولات مجردة نظرية وسيطة تربط النص بالأدب من جهة، وتصله بالمتلقي من جهة أخرى . كما أن هذه المقولات هي التي تسعفنا في فهم الأعمال الأدبية وتأويلها و تقويمها، وتساعدنا على تصنيف النصوص وتجنيسها وتنميطها، وهي التي تخلق أفق انتظار القارىء أثناء التعامل مع النصوص والأعمال الفنية . وبهذا، تتحول هذه المقولات المجردة إلى بنيات ثابتة متعالية، وأشكال تصنيفية جاهزة، تعتمد عليها المؤسات الاجتماعية : الثقافية، والتربوية، والأدبية، وغيرها من المؤسسات المجتمعية، في التمييز بين النصوص والخطابات والأشكال التاريخية، وتصنيفها إلى أنواع وأشكال وأنماط ، ضمن خانات وأقسام ونظريات مجردة، تقوم بعمليات: الوصف والتفسير والتأويل.

المطلب الثالث: تصنيف النصوص

أصبحت نظرية الأجناس الأد بية - اليوم - جزءا لايتجزأ من نظرية الأدب، بل أصبحت من أهم المستندات النظرية والتطبيقية التي تتكز عليها لسانيات النص و النقد الأدبي في تعامله ما مع النصوص والآثار الأدبية والفنية . ومن ثم، لايمكن الاستغناء عنها إطلاقا في عملية التصنيف، والتعيين، والقراءة، والتقويم، والتأويل، والتوجيه.

وثمة مجموعة من النصوص التي ترتكن إليها لسانيات النص، ونذكر بعضا منها:

الفرع الأول: النـــص الحجاجـــي

يقصد بالنص الحجاجي ذلك النص الذي يهدف إلى الإقناع، والتأثير، والاقتناع، واستخدام أساليب التفسير والبرهنة والحجاج. ومن ثم، تذهب التداولية الحجاجية إلى أن النص أو الخطاب عبارة عن روابط لغوية حجاجية. وخير من يمثل هذه المقاربة الحجاجية أوزوالد دوكرو (Ducrot) الذي أدخل البعد التداولي ضمن الوصف اللساني، باعتباره أحد مكوناته الرئيسة إلى جانب التركيب والدلالة على غرار شارل موريس. ويعني هذا أن البعد التداولي للملفوظ يوجد في اللغة نفسها، وليس مرتبطا بسياق تلفظي ما. ومن ثم، فالعلاقات الموجودة بين الملفوظات هي علاقة حجاجية، وليست منطقية استنباطية . بمعنى أن القواعد الحجاجية هي التي تتحكم في ترابط ملفوظات النص، وتسلسلها في علاقاتها بمعانيها، وليست هي القواعد المنطقية والاستنباطية . أي: إن الروابط الحجاجية هي التي تتحكم في اتساق النص وانسجامه ، كالضمائر، وحروف العطف، والأسماء الموصولة، وأسماء الإشارة، وروابط الإثبات والنفي، والاستنتاج، والاستدراك ...ومن ثم، يتحقق تواصل الملفوظات عبر أفعال الكلام، وليس عبر الصفات من جهة، وفهم الملفوظ يعني فهم أسباب تلفظه من جهة أخرى . ومن ثم، اهتم دوكرو كثيرا بالروابط التعبيرية التي تخلق اتساق النص وانسجامه . واهتم كذلك

بالتمفصلات اللغوية التي تساهم في خلق النص الحجاجي برهنة واستدلالا وترابطا وهيكلة.

وهكذا، فا لنص الحجاجي هو ذلك النص الذي يستعمل مجموعة من الآليات والروابط الحجاجية للتأثير، والإقناع، والتأثير، مثل : أسلوب التعريف، وأسلوب السرد والوقائع، وأسلوب الوصف، وأسلوب التمثيل، وأسلوب الشرط، وأسلوب الاستدراك، وأسلوب المقارنة، وأسلوب التقابل، وأسلوب التضمن، إ لى جانب التضاد، والتناقض، والإثبات، والنفي، والفصل، والوصل، والاستشهاد...

الفرع الثاني: النـص السـردي

النص السردي هو ذلك النص الذي تتوفر فيه الحبكة السردية القائمة على البداية، والعقدة، والصراع، والحل، والنهاية . علاوة على ذلك، فالسردية (la narrativité)هي مجموعة من الحالات والتحولات التي يتعرض لها عنصر ما داخل نص أو خطاب ما . بمعنى أن السردية هي بمثابة تعاقب حالات وتحولات داخل سياق خطابي ما، تكون مسؤولة عن إنتاج المعنى. ومن هنا، فالتحليل السردي هو الذي يهتم برصد تلك الحالات والتحولات داخل النص السردي. ومن هنا، تدرس لسانيات النص النصوص السردية التي تتعاقب فيها الأفعال، والحالات، والتحولات، والأزمنة، والأمكنة، والشخوص، وتتنوع فيها اللغات والأساليب والأصوات والصيغ.

وهكذا، يتبين لنا ، مما سبق ذكره، أن أول خطوة منهجية نبدأ بها أثناء تعاملنا مع النص السردي هي تقطيع النص إلى متواليات سردية ،

والتركيز على المكون السردي، وتتبع الخاصية السردية ، ومدارسة الأفعال، والحالات، والتحولات، ومدارسة البرنامج السردي عبر محطاته الأربع: التطويع، والكفاءة، والإنجاز، والتقويم. وقد بينا أن الكفاءة تتضمن أربعة مؤهلات أساسية هي: الواجب، والإرادة، والقدرة، والمعرفة. وهنا، يمكن الحديث عن جهات الإمكان (الواجب والإرادة)، وجهات التحيين والتنفيذ(القدرة والمعرفة). وبما أن الفاعل نوعان : فاعل الحالة والفاعل الإجرائي، فإن الموضوع بدوره نوعان : موضوع القيمة، وموضوع الجهة. ويمكن كذلك الحديث عن البـرنامج السردي المضاد الذي يقوم به البطل أو الفاعل المعاكس أو الذات المضادة لتقويض البرنامج السردي الذي يقوم به الفاعل الإجرائي من أجل تحصيل الموضوع المرغوب فيه.

وعلى أي حال، يقوم التحليل السردي على مبدأين أساسيين هما : مبدأ التقابل أو التضاد المبني على المح ور الاستبدالي أو البراغماتي (محور التعويض والانتقاء)، ومبدأ التعاقب أو التتابع أو التسلسل القائم على المحورالتركيبي (الترابط المنطقي).

الفرع الثالث: النص الإخباري أو الإعلامي

يقصد بالنص الإخباري أو الإعلامي (**texte informatif**) ذلك النص الذي يهدف إلى الإ بلاغ والإخبار والإعلان ، وتقديم معلومات دقيقة ومستفيضة حول موضوع ما. ومن ثم، نتحدث عن نص إ خباري عندما نريد أن نخبر المتلقي ونزوده بمجموعة من المعارف والموارد والأخبار .

علاوة على ذلك، يكون الكاتب، في النص ا لإخباري، محايدا بذاته،

ولايصدر الأحكام مهما كانت طبيعة الأخبار والتجارب والأحداث المنقولة. ويعني هذا أنه لابد أن يكون موضوعيا في رصد الأخبار وتحليلها ، وتبيان مصادر الخبر، والابتعاد عن الإيديولوجيا أو مناصرة فئة أو نقابة أو حزب أو طائفة سياسية أو عرقية أو دينية ما. بل ينبغي أن تكون الحقيقة من أجل الحقيقة، و يكون الخبر صادقا لايراد منه غير الإخبار لا مصلحة أخرى ذاتية أو موضوعية.

وينبغي أ يضا أن ينقل المخبر الخبر كيفما وقع وحدث ، دون تحليله وتفسيره وتأويله. وهذا ما يتطلبه العمل الصحفي الذي ينقل لنا أخبارا ووقائع وأحداثا ينبغي أن تكون صادقة وصحيحة وموضوعية.

ومن ه نا، يجيب النص الإ خباري عن أسئلة ستة : من؟ ماذا؟ أين؟ متى؟ كيف؟ لماذا؟ وللإجابة عن سؤال لماذا ينبغي أن يكون الجواب مختصرا ومقتضبا ومركزا، وإذا طال الجواب أصبح النص تفسيريا.

ولابد أن يستند النص الإخباري إلى الروابط النصية التي تحقق للنص اتساقه وانسجامه، ويخضع للتقسيم الثلاثي: المقدمة، والعرض، والخاتمة.

الفرع الرابع: النص التفسيري

يمثل النص التفسيري **(le texte explicatif)** مستوى عاليا ضمن درجات النص الإخباري . والغرض من هذا النص هو تعميق الموضوع بشكل دقيق، باستجلاء الأسباب القريبة والبعيدة، ورصد حيثيات الموضوع، ومناقشته من منظورات مختلفة ومتنوعة، والبحث عن

الخلفيات التي تتحكم في تلك الوقائع والأحداث المنقولة . ويعني هذا أن النص التفسيري لايكتفي بنقل الأحداث ووصفها ، بل يهدف إلى تفسيرها وفق بناها الداخلية، و سياقاتها الخارجية السياسية، والا قتصادية، والاجتماعية، والتاريخية، والثقافية، والدينية، والنفسية، والحضارية...

أي: ينصب النص التفسيري على الخبر بوصفه وتفسيره وفق أسبابه ونتائجه. علاوة على ذلك، تهيمن الوظيفة التفسيرية على الخبر فهما وتفسيرا وتأويلا. ومن ثم، تتوقف لسانيات النص عند المتتاليات التفسيرية لدراستها لسانيا، وتبيان مضامينها الدلالية، واستكشاف سماتها الفنية والجمالية والتداولية والنصية.

وأهم سؤال يجيب عنه النص التفسيري هو سؤال" لماذا؟". بل يمكن القول أنه يجيب عن الأ سئلة التفسيرية التالية : كيف؟ لماذا؟ وفي أية ظروف سياقية؟ إ لا أن النص التفسيري لا يتطلب الروابط الحجاجية كالنص الحجاجي، بل يحتاج إلى أدلة حسية ملموسة : بصرية، وسمعية، وذوقية، وشمية، ولمسية...

وعليه، فلابد أن يتحقق في النص التفسيري مقومات الاتساق والانسجام، ويتضمن خطوات تركيبية ثلاث : الاستهلال، والعرض، والخاتمة . بل يمكن الانطلاق من المعلومات و الأخبار المعروفة ، ثم الانتقال إلى الأخبار غير المعروفة، ثم البحث عن معلومات جديدة . ومن ثم، يكون الكاتب محايدا وموضوعيا، مع توظيف مص طلحات ومفاهيم العلوم الإنسانية أثناء تفسير الأحداث المنقولة، وتبيان خلفياتها.

يبدأ النص التفسيري بطرح الموضوع وتعريفه، وعرض الد عوى، ثم شرح الأحداث وتفسيرها، واستعمال أساليب النقاش والتحليل والاستنتاج والاستدراك، والترجيح بين الآراء، وذكر الأمثلة ، والاعتماد على الوثائق الشفوية والمكتوبة والبصرية، والاستعانة بالأدلة العقلية والتاريخية ، وتمثل أسلوب المقارنة حتى الوصول إلى النتيجة ، وغلق الموضوع.

المطلب الرابع: النص الوصفـي

يقصد بالنص الوصفي ذلك النص الذي يغلب عليه الوصف أو الوظيفة الوصفية ، بتشغيل نسق من النعوت، والأوصاف، والأحوال، والصور البلاغية، والتمييز ، والمقارنة ، والصفة المشبهة، وصيغ المبالغة، وصيغ المدح والذم...

وغالبا، ما ينصب الوصف على عناصر رئيسية أربعة هي : الشخصيات، والأمكنة، والأشياء، والوسائل . ومن ثم، فالمتواليات الوصفية هي التي نجدها في النصوص السردية، والنصوص الوثائقية، والنصوص الخطابية بصفة عامة. ويلتقي النص الوصفي مع النص الإخباري والنص التفسيري في تعميق الموضوع، بوصف الحدث تزيينا أو تقبيحا . ويتضمن الوصف بداية ووسطا ونهاية. ويعتمد على المقاطع والصور الوصفية التي تنصب على مجموعة من الظواهر لوصفها ونقلها ورصدها واستجلائها .

ويتميز النص الوصفي بالربط والتماسك والاتساق والانسجام ، باستخدام مجموعة من الروابط التركيبية والدلالية والمعجمية والسياقية.

ويتكون النص الوصفي من الواصف، والموصوف، والموصوف له، وأدوات الوصف، ووظائف الوصف . ومن ثم، يرتكز هذا النص على روابط الوصف المكاني (حيث-أمام- تحت-)، وروابط الوصف الزماني(قبل- بعد...)، وروابط الوصف المنطقي (بداية- بعد ذلك- أثناء...)

وثمة منهجيات نقدية وتحليلية عديدة لمقاربة المكون الوصفي في الرواية -مثلا- . ومن هنا، نقترح منهجية إجرائية للتعامل مع المعطى الوصفي في النص. وتستند هذه المنهجية إلى هذه الخطوات التطبيقية:

❶ تلخيص النص بتكثيف أحداثه ، واختصار متنه الحكائي إذا كان نصا سرديا.

❷إبراز فنيات النص من النواحي الجمالية والأسلوبية والبنائية بشكل عام.

❸تقطيع النص إلى مقاطع وفقرات ومتواليات وصفية.

❹ تحديد تيماته وموضوعاته الدلالية.

❺تبيان سياقه النصي والذهني والمرجعي.

❻ دراسة مورفولوجية الوصف مع تحديد مكوناته البنيوية.

❼استخلاص دلالات الموصوفات فهما وتفسيرا.

❽البحث عن وظائف الوصف التداولية ومقاصده الفنية والجمالية.

المطلب الخامس: النص الحواري

يقصد بالنص الحواري ذلك النص الذي يستخدم الحوار ، كما هو الحال في المسرح. ويتضمن الحوار كلاما متبادلا بين الأطراف المتحاورة .ومن ثم، يمكن الحديث عن أنواع ثلاثة من الحوار:

❶ **الحوار المباشر (Dialogue):** هو الذي يكون بين شخصين أو أكثر، ويعبر عن اختلاف وجهات النظر، وتعدد الأصوات والمنظورات والأساليب واللغات في إطار بوليفونية تعددية . كما يتضمن هذا الحوار وظيفة تواصلية، واستخدام الجمل الحرفية والاستلزامية ذات البعد التداولي. وغالبا، ما يكون الحوار خا ضعا لتقسيم ثلاثي : قبل الحوار، وأثناء الحوار، وبعد الحوار . ويتضمن الحوار مجموعة من الإرشادات الركحية التي يكتبها المؤلف بين قوسين ، أو يدونها بخط عريض، وتحدد مواصفات الشخصيات، وتحمل إ شارات خاصة متعلقة بالديكور والسينوغرافيا.

❷ **الحوار الداخلي (Monologue):** وهو حوار ذاتي في شكل مناجاة أو تداع حر أو هذيان أو استرسال حر ، تتحدث فيه الشخصية مع نفسها استبطانا وتأملا ووجدانا وانفعالا. ويعبر هذا الحوار عن الصراع الداخلي والتمزق النفسي.

❸ **الحوار الصامت:** هو حوار يقوم على الصم ت والرفض ، واستعمال نقط الحذف، ووجود أسئلة بدون أجوبة تعبيرا عن رفض المتحاور وصمته وامتناعه عن الكلام إما خجلا وإما تمردا وثورة.

وعليه، يساهم الحوار ، بمختلف أنواعه الموجودة، في ترابط النص وتماسكه وتنسيقه وتنضيده واتساقه وانسجامه. وغالبا، ما تحضر المقاطع والمتواليات الحوارية في مختلف النصوص، فتكون إما مهيمنة ومدمجة (بكسر الميم) (النصوص الحوارية)، وإما تابعة ومدمجة (بفتح الميم) (النصوص السردية).

وعليه، ينمط النص إلى مجموعة من الأنواع والأصناف، مثل : النص الحجاجي، والنص الإخباري، والنص التفسيري، والنص الوصفي، والنص التفسيري. ولابد للسانيات النصية من التوقف عندها بشكل دقيق، باستخلاص مكوناتها البنيوية والتركيبية والدلالية واللسانية.

الخاتمـــــــة

إذا كان النص عبارة عن جمل م تتابعة ومترابطة ومتماسكة لغويا ودلاليا.ومن ثم، يتخذ طابعا مجردا معزولا عن سياقه التواصلي، فإن الخطاب عبارة عن ملفوظ شفوي أو مكتوب، مرتبط بأطراف التواصل، وسياقه الوظيفي التداولي.

وإذا كانت لسانيات الجملة منذ بنيوية سوسير إلى لسانيات نوام شومسكي تدرس الجملة، فإن لسانيات النص تدرس مافوق الجملة. أي: تعنى بدراسة الجملة الكبرى .أي: النص. لكن هاريس كان اللساني الأول الذي درس الخطاب تركيبيا وفق المنهجية التوزيعية، حيث درس الخطاب في ضوء المكونات المباشرة وغير المباشرة ، وكان يعتبر النص أو الخطاب جملة كبرى.

وثمة عدة مقاربات تندرج ضمن لسانيات النص أو تقترب منها ، بحال من الأحوال، مثل: المقاربة المعجمية، والمقاربة اللسانية التركيبية، والمقاربة الفلسفية، والمق اربة المنطقية، والمقاربة الحاسو بية، والمقاربة السيميوطيقية، والمقاربة التداول ية، واللسانيات الاجتماعية، والم قاربة الحجاجية، والمقاربة التلفظية، إلخ...

ومن أهم القضايا التي ترتكز عليها لسانيات ال نص نذكر اتساق النص وانسجامه، ودراسة الحوارية والتناص، وتجنيس النصوص وتنميطها، والتمييز بين النص واللانص، والتركيز على البعد الوظيفي التواصلي، وتحليل السياق التداولي، والتوقف عند المقصدية النصية...

وتنبني منهجية لسانيات النص على تجنيس النصوص وتنميطها، وتقطي ع النصوص، وتحديد طبيعة المتواليات النصية، واستخلاص روابط النص على مستوى الدال والمدلول، والتوقف عند الاتساق والانسجام والتشاكل على حد سواء.

ثبت المصادر والمراجع

☜المصادر الإبداعية:

1- عبد الله العروي : **أوراق**،المركز الثقافي العربي، الدار الب يضاء، المغرب، الطبعة الأولى سنة 1989م.

☜المصـــادر العامة :

2- ابن جني**: الخصائص**، عالم الكتب للطبع والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، طبعة 2006م.

3- ابن رشيق القيرواني**: العمدة**، الجزء الثاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الجيل، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة، 1972م.

4- ابن قتيبة: **الشعر والشعراء**، الجزء الأول، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ب.ت.

5- ابن طباطبا: **عيار الشعر**، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى سنة 1992م.

6- ابن منظور: **لسان العرب**، الجزء الرابع عشر، دار صادر، بيروت، لبنان، طبعة 2003م.

7- حازم القرطاجني : **منهاج البلغاء وسراج الأدباء** ، تونس، طبعة 1966م.

☜المراجـــع باللغة العربيـــة:

8- إبراهيم صالح الحندود : **الجمل المختلف في إعرابها،** الدراسات اللغوية 1/5 ، 2004م.

9- أحمد عفيفي : **نحو النص : اتجاه جديد في الدرس النحوي** ، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى سنة 2001م.

10- أحمد عمار مداس : **لسانيات النص نحو منهج لتحليل الشعر** ،عالم الكتب الحديث، الطبعة الثانية 2009م.

11- أحمد المتوكل :**اللسانيات الوظيفية** ، منشورات عكاظ، لرباط، المغرب، الطبعة الأولى سنة 1988م.

12- أحمد المتوكل:**الجملة المركبة في اللغة العربية** ، منشورات عكاظ، الرباط، المغرب، الطبعة الأولى سنة 1989م.

13- أريكشيوني: **فعل القول من الذاتية في اللغة** ، ترجمة: محمد نظيف، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى سنة 2007م.

14- الأزهر الزناد: **نسيج النص،** المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى سنة 1993م.

15- أيمن عبد الرزاق الشوا : **مبادئ أساسية في فهم الجملة العربية** ، دار اقرأ، دمشق، سورية، الطبعة الأولى سنة 2006م.

16- أيمن محمود موسى: **لسانيات النص،** عالم الكتب، الطبعة الأولى سنة 2015م.

17- تزفيطان تودوروف: **الشعرية**، ترجمة: شكري المبخوت ورجاء بن سلامة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، الطبعة الأولى سنة 1987م.

18- تمام حسان: **الخلاصة النحوية**، عالم الكتب، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى سنة 2000م.

19- ثناء سالم: **دراسات تطبيقية في اللسانيات المعاصرة**، الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى سنة 2008م.

19- جون أوستين**: نظرية أفعال الكلام العام**، ترجمة: عبد القادر قينيني، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى سنة 2006م.

20- حافظ إسماعيل علوي: **اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة**، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان ، الطبعة الأولى سنة 2009م.

21- حسني عبد الجليل يوسف: **إعراب النص.. دراسة في إعراب الجمل التي لامحل لها من الإعراب** ،دار الآفاق العربية، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى سنة 1997م.

22- حسين منصور الشيخ : **الجملة العربية**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى سنة 2009م.

23- حسين الواد : **في مناهج الدراسات الأدبية** ، منشورات الجامعة، المغرب، الطبعة الثانية، سنة 1985م.

24- رولان بارت: **درس السيميولوجيا**، ترجمة عبد السلام بنعبد العالي، دار توبقال، الدار البيضاء، طبعة 1985م.

25- رونيه ويليك: **مفاهيم نقدية،** عالم المعرفة، ترجمة: محمد عصفور، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد:110، السنة 1987م.

26- سعيد الأيوبي : **عناصر الوحدة والربط في الشعر الجاهلي** ، مكتبة المعارف ، الرباط، الطبعة الأولى سنة 1986م.

27- سعيد علوش : **المصطلحات الأدبية المعاصرة** ،منشورات المكتبة الجامعية، الدار البيضاء،الطبعة الأولى سنة 1984م.

28- سعيد علوش :**عنف المتخيل في أعمال حبيبي** ، المؤسسة الحديثة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأول سنة 1986م.

29- شكر محمود عبد الله : **دلالة الجملة الاسمية في القرآن الكريم** ، دار دجلة، الطبعة الأولى سنة 2009م.

30- شوقي ضيف : **البلاغة: تطور وتاريخ، دار** المعارف، القاهرة، مصر، طبعة 1965م.

31- صلاح فضل : **بلاغة الخطاب وعلم النص** ، عالم المعرفة، العدد : 164، الكويت، السنة1992م.

32- صالح فاضل السامرائي : **الجملة العربية والمعنى** ، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى سنة 2000م.

33- صالح فضل السامرائي : **الجملة العربية ..تأليفها وأقسامها** ، دار الفكر، عمان، الطبعة الأولى سنة 2002م.

34- عبد السلام سليمي : **دراسة في التركيب** ، كلمات للنشر والطباعة والتوزيع، سلا، الطبعة الأولى سنة 2010م.

35-عبد السلام المسدي : **الأسلوبية والأسلوب** ، الدار العربية للكتاب، طبعة 1982م.

36- عبد الفتاح أحمد يوسف : **لسانيات الخطاب وأنساق الثقافة،** دار العربية للعلوم ناشرون بيروت، لبنان /ودار الاختلاف الجزائر، الطبعة الأولى سنة 2010م.

37- عبد الفتاح كليطو :**الأدب والغرابة** ، دار الطليعة ، بيروت ، لبنان،الطبعة الثانية، سنة 1983م.

38- عبد القادر شرشار: **تحليل الخطاب الأدبي وقضايا النص**، منشورات مختبر الخطاب الأدبي في الجزائر، الطبعة الأولى 2006م.

39- عبد الله الغذامي: **النقد الثقافي: قراءة في الأنساق الثقافية العربية** ، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان ، الطبعة الأولى سنة 2000م.

40- عبد الله محمد الغذامي وعبد النبي ا صطيف: **نقد ثقافي أم نقد أدبي** ، دار الفكر، دمشق، سورية، الطبعة الأولى سنة 2004م.

41- عبد المجيد نوسي: **التحليل السيميائي للخطاب الروائي،** شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، الطبعة الأولى سنة 2002م.

42- عبد الهادي بن ظافر الهشري : **إستراتيجية الخطاب** ،دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ، سنة 2004م.

43- عبد الهادي الفضيلي : **دراسات في الإعراب** ، تهامة للنشر، جدة، السعودية، الطبعة الأولى سنة 1984م.

44- عبد الهادي بن ظافر الهشري : **إستراتيجية الخطاب**،دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ، سنة 2004م.

45- علي آيت أوشان: **اللسانيات والبيداغوجيا ، نموذج النحو الوظيفي** ، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى سنة 1998م.

46-غنيمي هلال: **النقد الأدبي الحديث،** دار الثقافة، دار العودة، بيروت، لبنان، طبعة 1973م،

47- فان ديك: **النص والسياق،** ترجمة: عبد القادر قينيني، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، الطبعة الأولى سنة 1999م.

48- فخر الدين قباوة : **إعراب الجمل وأشباه الجمل** ، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، 1981م.

49- فرانسواز أرمينكو : **المقاربة التداولية** ، ترجمة : سعيد علوش، المؤسسة الحديثة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى سنة 1987م.

50- فرديناند دو سوسير : **محاضرات في علم اللسان العام،** ترجمة: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، الطبعة الأولى سنة 1987م.

51- فيليب هامون: **سيميولوجية الشخصيات**، ترجمة: سعيد بنكراد، دار الكلام، الرباط، الطبعة الأولى سنة 1990م.

52- كريم حسن ناصح الخالدي :**نظرات في الجملة العربية** ، دار صفاء ومكتبة المجتمع العربي، عمان، الأردن، الطبعة الأولى سنة 2005م.

53- ماري آن بافو وجورج إليا سرفاتي : **النظريات اللسانية الكبرى،** ترجمة: محمد الراضي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى سنة 2012م.

54- محمد حماسة عبد اللطيف : **العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث**، دار الفكر العربي، القاهرة، بدون تاريخ نشر.

55-محمد حماسة عبد اللطيف : **في بناء الجملة العربية،** دار القلم، الكويت، الطبعة الأولى سنة 1982م.

56- محمد الماكري **: الشكل والخطاب** ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى سنة 1991م.

57- محمود أحمد نحلة : **مدخل إلى دراسة الجملة العربية** ، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى سنة 1988م.

58- مجدي محمد حسين: **الجملة الاسمية**، دار ابن خلدون للنشر، الطبعة الأولى سنة 2004م.

59- المصطفى حسوني: **بنية الجملة في العربية،** دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى سنة 2014م.

60- مصطفى حميدة : **نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية**،دار نوبار للطباعة، الطبعة الأولى سنة 1997م.

61- مهدي المخزومي : **النحو العربي ..قواعد وتطبيق على المنهج العلمي الحديث،** بدون ناشر، الطبعة الثالثة سنة 1985م.

62- مهدي المخزومي : **في النحو العربي .. نقد وتوجيه،** دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية 1986م.

63- محمد الأخضر الصبيحي : **مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه،** دار العربية للعلوم ناشرون بيروت، لبنان/ودار الاختلاف الجزائر، الطبعة الأولى سنة 2010م.

64- محمد محمد يونس علي : **مدخل إلى اللسانيات** ، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى سنة 2004م.

65- محمد خطابي : **لسانيات النص** ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى سنة 1991م.

66- محمد خطابي وآخرون : **لسانيات النص وتحليل الخطاب** ، مؤلف جماعي، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة الأولى 2013م.

67- محمد الحناش : **البنيوية في اللسانيات** ، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى سنة 1980م.

68- محمد مفتاح: **دينامية النص،** المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى سنة 1987م.

69- محمد مفتاح : **في سيمياء الشعر القديم** ،دار الثقافة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى سنة 1989م.

70- محمد مفتاح: **تحليل الخطاب الشعري (إستراتيجية التناص)**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى سنة 1985م.

71- محمود أمين العالم، عبد العظيم أنيس : **في الثقافة المصرية** ، دار الأمان ، الرباط، الطبعة الثانية، 1988.

72- نعمان بوقرة : **المصطلحات الاساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب**،جدارا للكتاب العالمي، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، الطبعة الأولى 1429هـ 2009م .

73- يوسف حسين بكار : **بناء القصيدة العربية** ، دار الثقافة ، مصر ، طبعة 1979م.

☛المراجـــع الأجنبـــية:

74-A. Crane, Paul. "Texture in Text: A Discourse Analysis of a News Article Using Halliday and Hasan's Model of Cohesion" (PDF). Retrieved 10 August 2012.

75-Adam, J.M : **Linguistique et discours** littéraire.fernand Nathan. Paris1984.

76-Adam, J.-M. **Éléments de linguistique textuelle.** Bruxelles-Liège : Mardaga.1990.

77-Adam Jean-Michel, **Analyse de La linguistique textuelle - Introduction à l'analyse textuelle des discours**, Paris : Armand Colin, collection "Cursus", 2005.

78-A. Hénault: **Les enjeux de la sémiotique**, PUF, 1993.

79- A. J. Greimas, **Du sens. Essais sémiotiques**. Le Seuil, 1970

80- A.J.Greimas: **Maupassant, la sémiotique du texte: exercices pratiques**, éditions du Seuil, Paris 1976.

81-A.J.Greimas.J.Courtés:**Sémiotique.Dictionnaire Raisonné de la théorie du langage**. Hachette Université, Paris, 1979, Sémiologie**.**

82-Al-Amri, K. H. (2007). "Text-linguistics for students of translation". King Saud University. Retrieved 10 August 2012.

83-André martinet : **Eléments de linguistique générale**, Armand. Collin, Paris, France, 1960.

84-ARCAND, R. et N. BOURBEAU : **La communication efficace. De l'intention aux moyens d'expression**, Anjou (Québec), CEC.1995.

85-Arrivé Michel: (Pour une théorie des textes polyisotopiques), in: **Langages**, sept. 1973, n°31.

86-Bakhtine **: Marxisme et la philosophie du Langage**, 1929.

87-Bally:(Les notions grammaticales d'absolu et de relief), In: **essais sur le langage**, Minuit, Paris, 1969.

88-Benveniste, E: **Problèmes de linguistique générale2**, ED, Gallimard, Paris, 1974.

89- Benveniste: **Problèmes de linguistique générale** 1, ED, Gallimard, Paris, 1966.

90-Britton, J**. Language and Learning,** Harmondsworth, Penguin, 1970.

91-Brown G.and George Yule: **Discourse analysis**.C.U.P.London 1983.

92-Bühler, K. Spraschtheorie: **die Darstellungsfunktion der Sprache**, Jena, Fischer, 1934.

93-Cervoni, J: **L'énonciation**.paris:PUF, 1992.

94-Chaïm Perelman et Lucie Olbrechts-Tyteca **: Traité de l'argumentation : La nouvelle rhétorique**, Presses Universitaires de France, Paris, 1958.

95-Kerbrat-Orecchioni (Catherine): (Problématique de l'isotopie, in: **Linguistique et sémiologie**, 1976, 1.

96-C.K.Orecchioni: **L'énonciation de la subjectivité dans le langage**, Paris, Armand Colin, 1980.

97-C. L. HAMBLIN: **Fallacies** (London, Methuen, 1970), rééd. (Newport, VA, Vale Press, 1986).

98-C. Levi-Strauss: **Anthropologie structurale**, Plon, Paris, 1958.

99- Combettes : **Pour une grammaire textuelle**.Bruxelles : De Boeck –Duclot, 1983.

100- Culioli, A : **Pour une linguistique de l'énonciation**.3tomes.paris : Orphys, 1990-1999.

101-De Beaugrande, R., & Dressler, W. U. (1981) **Introduction to text linguistics** / Robert-Alain De Beaugrande, Wolfgang Ulrich Dressler. London ; New York : Longman, 1981.

102-Delas, D et J.Filiolet **: Linguistique et poétique**.larousse.paris.1973

103- Eggins, S. **An Introduction to Systemic Functional Linguistics**. London: Pinter1994.

104-François Rastier: (systématique des isotopies), in:**Essais de Sémiotique poétique**, Larousse, Paris, 1972.

105-François Rastier : **Sémantique interprétative**, PUF, 1987.

106-Ferdinand de Saussure : **Cours de linguistique générale**, Payot, Paris, 2005.

107-Fillmore :(Deictic categories in the semantics of come), **Foundations of language** 2, 1966**.**

108-FROMILHAGUE, C. & SANCIER, A. : **Introduction à l'analyse stylistique**, Bordas, 1991.

109-GENETTE, G. *:* **Figures III,** Paris, Seuil.1972.

110-Groupe M: **La rhétorique de la poésie**, PUF, Paris, 1799ons du Seuil, Paris 1976.

111-Halliday, M.A.K.: **Explorations in the functions of language**, London, Edward Arnold1973.

112-Halliday, M.A.K. and Hasan, R. **Cohesion in English** London: Longman.1976.

113- Halliday MAK and R Hasan***. Language, Context, and Text: Aspects of Language in a Social-Semiotic Perspective.*** Geelong: Deakin University.1985.

114-Jacques .F **: De la textualité. Pour une textologie générale et comparée,** Maisonneuve, 2002. Trad. espagnole par P. Jacomet, Santiago 2006.

115-Jean Dubois et autres : **Dictionnaire de linguistique**, Larousse, Paris, 1991.

116-J. Courtés, **La sémiotique du langage**, Nathan, 2003.

117-J.L.Austin: **Quand dire, c'est faire**, Editions du Seuil, Paris, 1970.

118-John R.Searle: **les actes de langage**, Collection, savoir Herman, Paris, 1972.

119-Hatim, Basil & Ian Mason: **Discourse and the Translator**. London: Longman.1990.

120- H.Grice. (Logic and conversation), In Steven David (Ed), **Pragmatics: A** reader, New York, Oxford University press, 1991.

121-Lundquist : **L'analyse textuelle.Paris.CEDIC,1983**.

122-Maingueneau, D **: Les termes clés de l'analyse du discours**.Paris : Seuil, 1966.

123-Mainguenau, D : **Eléments linguistique pour le texte littéraire**, éd Bordas, Paris, 1986.

124-Malinovski, B. The problem of meaning in primitive languages, Supplement 1 in C.K. Ogden & I.A. Richards (eds)**, The Meaning of Meaning**, International Library of Philosophy, Psychology and Scientific Method, London, Kegan Paul, 1923.

125-Michel Foucault **:** **L'Ordre du discours**, Paris, Gallimard, 1971,

126-Medina, Beatriz López (2002/2003). "The role of text linguistics in the foreign language class" (PDF). *Encuentro Revista de investigación e innovación en la clase de idiomas*: 148–156. Retrieved 10 August 2012.

127-MORRIS, D: **The Naked Ape**, London, Jonathan Cape, 1967.

128-N.Chomsky: **Santactic Structures**, The Hague, Mouton, Tra.Fr.Ed. Seuil. Paris, 1967.

129-O.Ducrot : **Dire et ne pas dire**, Hermann, 1972.

31-O. Ducrot :(Analyse pragmatique), **Communication** 32,1981.

130- Paul Ricoer: **La métaphore vive**.Seuil, Paris, 1975.

131- Paul Ricœur : **Du texte à l'action. Essais d'herméneutique II**, Le Seuil, 1986.

132-Philippe Blanchit *: [Avec Calvet, L.-J. et Robillard, D. de],* ***Un siècle après le Cours de Saussure, la Linguistique en question***, Paris, L'Harmattan, 2007.

133-Roger Fowler. **Language in the News: Discourse and Ideology in the Press**. London/ New York: Routledge.1991.

134-Roland Barthes: **Leçon,** Éditions du Seuil, Paris, 1978

135-R.Jakobson: **Essais de linguistique générale**, Minuit, Paris, 1963.

136- Samet. J.and Scank. R: (Coherence and connectivity) in linguistics and philosophy – Vol 7. N°1.

137-S.Toulmin **: The Uses of Argument** (Cambridge, Cambridge University Press, 1958), Trad., Les Usages de l'argumentation (Paris, PUF, 1992). Voir aussi la dernière version« Updated » en anglais de 2003.

138-Van Dijk: **Text and Context**.Longman.london.1977.

139-W. James : **le pragmatique**, traduction E.Le Brun, Edition Flammarion, 1968.

140-Weinrich Hharold: **Le temps**, Seuil, Paris, 1973.

141-Werlich, E: **A text grammar of English**. Heidelberg: Quelle & Meyer.1976.

142- Wunderlish, Dieter: (Pragmatique, situation d'énonciation et deixis), **Langages**, 26, juin1972**.**

143- Zellig Sabbetai Harris: (Discourse Analysis), in ***Language,*** vol. XXVIII, 1952.

☛المقـــالات العربيـــة:

144- ترنس هوكس: (مدخل إلى السيمياء) ، **مجلة بيت الحكمة**،المغرب، العدد5، السنة الثانية، سنة 1987م**.**

145- ترنس هوكز : **البنيوية وعلم الإشارة** ، ترجمة مجيد الماشطة، الطبعة الأولى سنة1996، بغداد ، العراق.

146- جميل حمداوي: (السيميوطيقا والعنونة)، **مجلة عالم الفكر**، المجلد 25، العدد3، يناير/مارس، سنة 1997م.

147- رضوان الرقبي: (الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله)، **مجلة عالم الفكر**، الكويت، العدد2، المجلد 40، أكتوبر- ديسمبر 2011م.

148-عبد الجليل غزالة (نحو النص بين النظرية والتطبيق)، **أنوال الثقافي**، المغرب، العدد 26-1986 .

149- محمد مفتاح : (النقد بين المثالية والدينامية) ، **الفكر العربي المعاصر، من النص إلى الخطاب**، بيروت، لبنان، عدد 60 -61.

☛المطبوعـــات:

150- عبد الكريم بوفرة : **علم اللغة الاجتماعي، مقدمة نظرية،** مطبوع جامعي، جامعة محمد الأول، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، وجدة، المغرب، الموسم الجامعي،2011-2012.

الفهرســـــة

الإهـــداء
المقدمة.....
الفصل الأول: من لسانيات الجملة إلى لسانيات النص.....
الفصل الثاني: نشأة لسانيات النص وأهم مقارباتها.....
الفصل الثالث:لسانيات النص: أبحاث، وأهداف، ومنهجية.....
الفصل الرابع: قضايا لسانيات النص.....
الخاتمة.....
ثبت المصادر والمراجع.....
الفهرسة

الســـــيرة الذاتيـــــة:

- جميل حمداوي من مواليد مدينة الناظور (المغرب).
- حاصل على دبلوم الدراسات العليا سنة 1996م.
- حاصل على دكتوراه الدولة سنة 2001م.
- حاصل على إجازتين :الأولى في الأدب العربي، والثانية في الشريعة والقانون.
- أستاذ التعليم العالي بالمركز الجهوي لمهن التربية والتكوين بالناظور.
- أستاذ الأدب العربي، ومناهج البحث التربوي، والإحصاء ا لتربوي، وعلوم التربية، والتربية الفنية، والحضارة الأمازيغية، وديداكتيك التعليم الأولي...
-أديب ومبدع وناقد وباحث، يشتغل ضمن رؤية أكاديمية موسوعية.
- حصل على جائزة مؤسسة المثقف العربي (سيدني /أستراليا) لعام 2011م في النقد والدراسات الأدبية.

- حاصل على جائزة ناجي النعمان الأدبية سنة2014م.

- رئيس الرابطة العربية للقصة القصيرة جدا.

- رئيس المهرجان العربي للقصة القصيرة جدا.

- رئيس الهيئة العربية لنقاد القصة القصيرة جدا.

- رئيس الهيئة العربية لنقاد الكتابة الشذرية ومبدعيها.

- رئيس جمعية الجسور للبحث في الثقافة والفنون.

- رئيس مختبر المسرح الأمازيغي.

- عضو الجمعية العربية لنقاد المسرح.

-عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية.

- عضو اتحاد كتاب العرب.

-عضو اتحاد كتاب الإنترنت العرب.

-عضو اتحاد كتاب المغرب.

- من منظري فن القصة القصيرة جدا وفن الكتابة الشذرية.

- خبير في البيداغوجيا والثقافة الأمازيغية.

- ترجمت مقالاته إلى اللغة الفرنسية و اللغة الكردية.

- شارك في مهرجانات عربية عدة في كل من: الجزائر، وتونس، ومصر، والأردن، والسعودية، والبحرين، والعراق، والإمارات العربية المتحدة،...

- مستشار في مجموعة من الصحف والمجلات والجرائد والدوريات الوطنية والعربية.

- نشر العديد من المقالات الورقية المحكمة وغير المحكمة، وعددا لا يحصى من المقالات الرقمية . وله (114) كتاب، وأكثر من ستين كتابا رقميا منشورا.

- ومن أهم كتبه: الشذرات بين النظرية والتطبيق، والقصة القصيرة جدا بين التنظير والتطبيق ، والرواية التاريخية، تصورات تربوية جديدة، والإسلام بين الحداثة وما بعد الحداثة، ومجزءات التكوين، ومن سيميوطيقا الذات إلى سيميوطيقا التوتر، والتربية الفنية، ومدخل إلى الأدب السعودي، والإحصاء التربوي، و نظريات النقد الأدبي في مرحلة مابعد الحداثة، ومقومات القصة القصيرة جدا عند جمال الدين الخضيري، وأنواع الممثل في التيارات المسرحية الغربية والعربية، وفي نظرية الرواية : مقاربات جديدة، وأنطولوجيا القصة القصيرة جدا بالمغرب، والقصيدة الكونكريتية، ومن أجل تقنية جديدة لنقد القصة القصيرة جدا ، والسيميولوجيا بين النظرية والتطبيق، والإخراج المسرحي، ومدخل إلى السينوغرافيا المسرحية، والمسرح الأمازيغي، ومسرح الشباب بالمغرب، والمدخل إلى الإخراج المسرحي، ومسرح الطفل بين التأليف والإخراج، ومسرح الأطفال بالمغرب، ونصوص مسرحية، ومدخل إلى السينما المغربية، ومناهج النقد العربي، والجديد في التربية والتعليم، وببليوغرافيا أدب الأطفال بالمغرب، ومدخل إلى الشعر الإسلامي، والمدارس العتيقة بالمغرب، وأدب الأطفال بالمغرب، والقصة القصيرة جدا

بالمغرب،والقصة القصيرة جدا عند السعودي علي حسن البطران، وأعلام الثقافة الأمازيغية...

- عنوان الباحث: جميل حمداوي، صندوق البريد1799، الناظور62000، المغرب.

- الهاتف النقال:0672354338

- الهاتف المنزلي:0536333488

- الإيميل:Hamdaouidocteur@gmail.com

Jamilhamdaoui@yahoo.fr

كلمات الغلاف الخارجي:

يتناول هذا الكتاب لسانيات النص بالدرس و التأريخ والتحليل والمناقشة والاستقراء، على أساس أن لسانيات النص هي فرع من فروع اللسانيات العامة التي وضعها فرديناند دوسوسير (F.De Saussure). وإذا كانت اللسانيات تدرس الجملة ضمن مستويات صوتية، وفونولوجية، وصرفية، وتركيبية، ودلالية، وتداولية؛ فإن لسانيات النص تجاوزت هذه الجملة إلى النص أو الخطاب.

ومن ثم، فقد طبقت اللسانيات النصية مجموعة من المقاييس لتحليل النصوص وتفسيرها، سواء أكانت تلك النصوص شفوية أم كتابية ، عادية كانت أم تخييلية ؛ مثل : الاتساق، والانسجام، والتناص، والسياق، والمقصدية، والارتباط، والدينامية، والتأويل، والتفاعل، والذكاء الاصطناعي، والتوليد، والتحويل، والزمان، والفضاء، والبؤرة، والعنونة،

والتشاكل، والنسيج النصي، والحوارية، والتناسل، والصراع، والبناء النصي، والبنية الدلالية العامة، والموضوع الدلالي، والتغريض، والنص المركزي ، والنص الفرعي، وتنميط النصوص...